

# بيت العنكبوت

# بيت العنكبوت

رواية

العايش زهواني





اسم المؤلف: العايش زهواني

اسم العمل: بيت العنكبوت

تنسيق داخلي: راغب بوتمجت

ردمك: 978-9969-515-27-5

الطبعة الأولى: 2024

الناشر: العكاظية للنشر والتوزيع

الهاتف: 0658908590

للمراسلة الدار: marwa.25cben@gmail.com

---

لا يسمح بنسخ أو استعمال أو إعادة إصدار أي جزء من هذا الكتاب سواء

ورقيا أو إلكترونيا أو أية وسائط أخرى، أو تخزينه في نطاق استعادة

المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي من الناشر

تستثنى منه الاقتباسات القصيرة المستخدمة في عرض الكتاب.

---

رأي الكاتب لا يعني رأي الناشر.

جميع الحقوق محفوظة ©

العكاظية للنشر والتوزيع



## بسم الله الرحمن الرحيم

### توطئة:

الرّواية عبارة عن خيال وإسقاط على الواقع المعاش، أو كما يُقال حقيقة بتصرّف، وقد تتشابه بعض الأسماء فيها مع أخرى في الواقع، وهي لا تمتّ لها بأيّ صلة لا من بعيد ولا من قريب.

## إهداء

إلى الوالدين الكريمين.

إلى زوجتي التي كانت سنداً حقيقياً لي في كلّ المحن...

إلى الشمس التي تضيء نهاري والقمر الذي ينير ليلي...

ابنتيّ الحبيبتين لجين وأسيل.

إلى روح المرحومة ابنتي تسنيم.

إلى كلّ من آمن بقدراتي وكلّ من ساعدني من قريب أو بعيد.

كان يومًا عاصفًا مليئًا بالعجاج، حتى أنّه لا يكاد أحد يرى غيره من مسافة قريبة، في هذه المدينة الحدودية الصغيرة التي تبعد عن عاصمة الولاية بحوالي سبعين ميلا مسافة السّاعة إذا كانت السيارة تسير بسرعة متوسطة.

والتي ارتكز بناؤها زمن الاستعمار الفرنسيّ للبلاد على إنشاء منجم لاستخراج الفوسفات وتكريره، وإرساله عبر قطارات السّكة الحديدية، التي أنشأها المستعمر خصيصًا لنقله لموانئ الشّمال، وإيصاله بحرًا إلى مصانع التّكرير الفرنسية، والذي كان يدّر الخير الكثير، فيستخرج منه العديد من أنواع الأسمدة والكثير من المكوّنات الكيميائية الطّبية والصيدلانية، ويعدّ مورد الرزق الأساسي للبلدة، فجلّ سكان المدينة يعملون بهذا المنجم أو أحد فروعهِ كإدارة الوحدة التي أقيمت داخل المدينة نفسها، وأحيطت بسيّاح كبير ضمّ المباني الإداريّة، وبعض سكنات الإداريين والعَمّال من ذوي الشّأن الكبير، وهذا طبعًا من أكبر محاسن هذا المنجم الذي ورثته المدينة عن الاستعمار.

لكن للأسف الشديد فمن مساوئ هذا المنجم أنّه كان قريبًا جدًّا من البلدة، وعلى مسافة السّبعة أميال فقط، وكان ينفث من فوهة أفرانه العملاقة الكثير من الغبار كأنّه بركان دائم الثوران، والذي يحمل في

طَيَّاتِه شَتَّى أَنْوَاعِ الْأَمْرَاضِ الصَّدْرِيَّةِ، وَجَعَلَ السَّكَّانَ يَحْسُونُ بِالِاخْتِنَاقِ، رَغْمَ مُحَاوَلَاتِ الْمُدْرَاءِ وَالْقَائِمِينَ الْمُتَعَاقِبِينَ عَلَى تَسْيِيرِهِ عِبْرَ السَّنَوَاتِ الْمُتَكَرِّرَةِ لَجَلْبِ الْعَدِيدِ مِنْ أَنْوَاعِ الْفَلَاتَرِ، الَّتِي يَقَالُ أَنَّهَا تَصْفِي الْهَوَاءَ الْحَارَّ الْمُنْبَعِثَ مِنَ الْأَفْرَانِ، إِلَّا أَنَّهُ يَبْدُو أَنَّهَا لَمْ تَجْدِي نَفْعًا فَالْمَدِينَةُ فِي تَدْهَوْرٍ مُسْتَمِرٍّ، فَمَوْقِعُهَا كِبْوَابَةٌ لِلصَّحْرَاءِ وَمَنَاخُهَا الْقَارِي، وَقَلَّةُ الْإِخْضَارِ فِيهَا زَادَا مِنَ الطِّينِ بَلَّةً، حَيْثُ كَانَ لَا يَمُرُّ فِيهَا خَرِيفٌ أَوْ شَتَاءٌ، إِلَّا وَيَكُونُ نَصْفُ أَيَّامِهِ عَجَاجًا وَزَوَاجِعَ رَمْلِيَّةً.

فِي هَذَا الْيَوْمِ الْمَغْبَرِ بِالْعَجَاجِ مِنْ شَهْرِ سَبْتَمْبَرٍ، أَوَّلُ أَيَّامِ الْخَرِيفِ اتَّجَّهَ مُحَمَّدٌ الَّذِي نَجَّحَ لَتَوْهُ فِي شَهَادَةِ الْبِكَالُورِيَا إِلَى مُحْطَةِ الْحَافَلَاتِ مُتَوَجِّهًا إِلَى عَاصِمَةِ الْوَلَايَةِ، حَيْثُ تَقَعُ الْجَامِعَةُ الْوَحِيدَةُ بِالْمَنْطَقَةِ، لِيَتِمَّ إِجْرَاءَاتُ تَسْجِيلِهِ الْجَامِعِيِّ وَيُكْمَلَ بَقِيَّةُ الْإِجْرَاءَاتِ الْإِدَارِيَّةِ الْآخَرَى وَيَحْصَلَ عَلَى غُرْفَةِ الْإِقَامَةِ أَيْضًا، وَالَّتِي سِيَمَكُثُ فِيهَا خِلَالِ سَنَوَاتِ الدِّرَاسَةِ هُنَاكَ.

كَانَتْ الدَّوْلَةُ تَوْفِّرُ كُلَّ ذَلِكَ مَجَّانًا لِجَمِيعِ الطُّلُبَةِ دُونَ تَمْيِيزٍ وَلَا اسْتِثْنَاءٍ، وَبِالْأَحْرَى فَإِنَّهَا تَنْتَهِجُ سِيَاسَةَ الدَّعْمِ الْاجْتِمَاعِيِّ، حَيْثُ يَكُونُ التَّعْلِيمُ فِي كُلِّ أَطْوَارِهِ مِنَ الْإِبْتِدَائِيِّ وَالْمَتَوَسِّطِ وَالثَّانَوِيِّ إِلَى الْجَامِعِيِّ مَجَّانًا، وَلَا يَتَوَقَّفُ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ بِمِيدَانِ التَّعْلِيمِ فَقَطْ بَلْ يَتَعَدَّاهُ لِلْكَثِيرِ مِنَ الْقَطَاعَاتِ الْآخَرَى، كَالصَّحَّةِ حَيْثُ يَكُونُ الْعِلَاجُ مَجَّانًا أَيْضًا،



والدّعم الاجتماعي المخصّص للمواد الغذائية الأكثر استهلاكاً، والدّولة التي لا تزال فتية، تعتبر أن ثورتها التي نالت بسببها استقلالها، ثورة شعبية قام بها الشعب برمّته، وموارد الدّولة من حقّ جميع الأفراد الاستفادة منها دون استثناء.

فمحمد هذا الشّاب الأسمر متوسط الطول ذو العينين الواسعتين صاحب البنية المتوسطة والشعر الأسود المجعد، الطّموح الذي كان حلمه أن يكون محامياً بارعاً، والذي تربى في أسرة كبيرة تشمل الكثير من الأفراد، فأبوه عي العربي الرّجل المخضرم الذي عايش الكثير من الأجيال، فقد ولد زمن الحرب العالمية الثّانية وعاش زمن الاستعمار والثورة التّحريرية التي قادتها جبهة التّحرير الوطني وكان مسبلاً فيها، يعين الثّوار بتموينهم بالطعام وجلب الأخبار، حيث سجن في كثير من المرات في سجون الاستعمار، ولم يشي أبداً بالثّوار، حتى أنه كسر أحد أصابع يده جراء التعذيب، وبعد الاستقلال حصل على منحة المشاركة في الثورة بدرجة مسبل، وكثيراً ما كان يفتخر بذلك ، وعاش زمن الثّورة الزراعيّة والاشتراكيّة، وزمن العشريّة السوداء أو الحرب الأهلية، وعاش زمن جميع الرّؤساء الذين حكموا البلاد، لكنّه لازال بسيطاً يعيل أسرته التي تتكون من ستة أفراد، ثلاث بنات وثلاثة ذكور، كان محمد أصغر الذكور وأوسط الإناث، فعبي العربي ينحدر من

الريف أين كان يقيم زمن الاستعمار الفرنسي، حيث كان فلاحًا بسيطًا ومربيًا للمواشي، وبعد حوالي عشر سنوات من الاستقلال، قرّر الانتقال إلى لمدينة، حتى يتسنى له تقديم تعليم جيّد لأبنائه الذين بدؤوا يكبرون، فانتقل للعيش في هذه المدينة، التي كانت حينها قرية صغيرة تنمو بسرعة، حيث اشترى شقة صغيرة تتكون من غرفتين ومطبخ وصالة للضيوف، في المدخل الغربي للبلدة.

وأُمّه خالتي فاطمة المرأة الحديدية التي تزوجت من عمي العربي أواخر ثورة التحرير، قبل الاستقلال بثلاث سنوات ورغم إنجابها لسته أفراد إلا أنّها لازالت بصحة جيدة، وتقوم بجمل الأعمال المنزلية بمفردها، وكانت لا تفوتها صغيرة ولا كبيرة بأيّ شأن يخصّ أسرتها وزوجها وأبناءها إلا وتجدها حريصة عليه حرصًا شديدًا، رغم أنّها بلغت من العمر عُتْيًا إلا أنّها لا تقصّر في أداء واجباتها، كما تتابع وتهتمّ بكلّ ما يخصّ منزلها ولا تفوتها شاردة أو واردة.

أنزل محمّد حقائبه ووضعها في الدولاب الجاني رفقة معاون السائق، ثم صعد ليختار مكانًا له بالزّاوية آخر الحافلة، في انتظار امتلاء مقاعدها وانطلاقها، حيث كانت الرياح تهبّ بقوة محمّلة بالأتربة والغبار، تكاد تقتلع الحافلة برمتها من مكان توقّفها، وكان السائق يحتمي كوبًا من القهوة، وهو يقوم بتدوير أقراص المذياع، ثم

انبعث صوت المذيع من الإذاعة المحلية، حيث كان يبث أخبار الأرصاد الجوية، محدّراً من الاضطرابات الجوية، وينصح السائقين بتوخي الحذر المطلوب أثناء القيادة، وعدم الإفراط في السرعة، وترك مسافة الأمان، وإشعال الأضواء لعدم وضوح الرؤية من شدة العجاج.

تفقد محمد محفظته التي كانت على ركبتيه وفتحها ليخرج مجموعة من الوثائق، والصور الشمسية والطابع البريدية، ثم قسمها في مجموعات وأخذ بعض الأطراف وخط عليها بعض الجمل والعبارات، ووزّع داخلها تلك الوثائق والصور، وهو يتمتم بينه وبين نفسه، هذا ملف التسجيل للدراسة... وهذا ملف الإقامة... ملف الإطعام والنقل... ثم أعادها في جوف محفظته.

وما هي إلا لحظات حتى بدأ السائق، في استعمال المنبه لعدة مرات متتالية، معلناً عن قرب انطلاق الحافلة، وبدأ مساعده يصيح أمام الحافلة بأعلى صوته، هيا... هيا... تعالوا جميعاً... سننطلق...

وكان يقصد بعض الركاب الذين يحجزون أماكنهم، ثم يذهبون للمقهى المقابل لتناول كوب من القهوة أو الشاي، أو يبقون على الجوانب والحواف يدخنون بعض السجائر ويتبادلون أطراف الحديث، في انتظار انطلاق الحافلة.

وبعد دقائق امتلأت الحافلة عن آخرها وانطلق السائق بروية، ثم صاح بدون سابق إنذار قائلاً؛ يا له من يوم عصيب، إن الله يرجمنا بهذا العجاج لشدة معاصينا، وعدم تراحمنا وبعдна عن الدين، قال ذلك بعنف وغلظة وهو يقطب حاجبيه، وكأنه كان يخبئ تلك الكلمات التي كانت تكاد تفجر رأسه من شدة التفكير فيها.

فردّ عليه شيخ في الثمانين من عمره كان يجلس خلفه في أول الحافلة، يرتدي قميصاً تقليدياً، ويضع عروجا على رأسه، ووجهه قد أكلته تجاعيد السنين، وبرفته عجز في الستين: نعم أصبت كل هذا الهم والغم من شدة المعاصي التي يرتكها شباب اليوم الذين لا يستحون على أنفسهم ويقلدون الكفار في كل صغيرة وكبيرة، ثم هز رأسه والتفت وراءه، ليشمل ركاب الحافلة بنظرة خاطفة وكأنه يجمع التأييد وأعقب قائلاً؛ زمان لم تكن الثلوج والأمطار تتوقف في مثل هذا الوقت من نهاية الخريف، وقرب حلول الشتاء، فالخير يأتي ببركة أهله.

وقاطعه السائق من جديد متلهفاً، وكأنه وجد السند لأفكاره طوال الطريق، إن الزمان تغير كثيراً والناس التهمتهم الدنيا وحب ملذاتها، ولم تبقى في قلوب الناس الرحمة كما كانوا زمان، أليست رحمة الله تأتي برحمة البشر لبعضهم البعض.

ونطق أحد الشبان كان ينصت إليهم بانتباه، ويجلس برفقة ثلاثة شبان آخرين في منتصف الحافلة، وكان مظهرهم عصريًا ولباسهم شبابيًا، وتصفيقة شعورهم تواكب أغلبها الموضة العصرية، ويوحى مظهرهم بأنهم طلبة جامعيين في سنواتهم الأخيرة قبل التخرج، وهم معتادون على ارتياد الحافلة، ويعرفون السائق أشد المعرفة.. مخاطبًا السائق والشيخ معا ونصف ابتسامة: أنتم مصابون بالهذيان ولا أعرف من أين تأتون بهذه التخاريف، وانفجر بقية أصدقائه ضحكا وهم يقهقهون، ثم واصل أحد زملائه الكلام، لا أعرف لماذا كلّ الشيوخ والذين فاتهم قطار الحياة ينزّهون جيلهم كأنهم أنبياء لا يخطئون، وقاطعه ثالث وهو ينظر لزملائه مستهزئًا: ربّما أفعالكم كانت أشنع من جيل اليوم بكثير إلا أنكم لا تحسّون ولا تعترفون بذلك فلا أحد يذم نفسه بالتأكيد.

وردّ عليهم السائق متذمّرًا دون أن يترك لهم مجالاً لإطالة الحديث، أنتم شباب اليوم يدفعكم العنفوان ولا تدركون ما تفعلون أو حتى ما تقولون، والغريب فيكم أنكم تجهلون دينكم، ولا تتبعون تقاليدكم، ثم سكت برهة وهو يتجاوز أحد الشاحنات بصعوبة بالغة وأكمل قائلاً: أنتم لا تجيدون سوى تقليد ما يأتي من وراء البحار، وما تشاهدونه في دور السينما وشاشات التّلفاز.

وردّ عليه أحد الشبان، قائلاً؛ المشكلة ليست فينا بل فيكم أنتم الكهول والشيخوخ فأنتم متعصّبون ومنغلقون على أنفسكم ولا تؤمنون إلا بما وجدتم عليه آباءكم وأسلافكم السابقين.

وساد بعض من الصمت، ثم رفع محمد رأسه وقال بصوت هادئ: إن سبب هذا العجاج وجفاف الأرض وقلة الأمطار ليس نتيجة لهذا ولا ذاك بل هو نتيجة لتغيّر المناخ، فاستدار له أولئك الشبان منتهين وأكمل قائلاً؛ وبسبب الاحتباس الحراري الذي حدث منذ انفجار المركبة الروسية تشرنوبيل التي أحدثت ثقباً كبيراً في طبقة الأوزون المحيطة بالكرة الأرضية، والتي تتوسع سنوياً بسبب الزيادة الكبيرة لسكان الأرض الذين لا يحافظون على البيئة، وكذلك بسبب التّقدم الرّهيب للصناعات في العالم، والتي تستعمل أغلبها المواد الأولية المضرة بالبيئة، والتطور السريع للعديد من دول العالم التي كان أغلبها فلاحية وأصبحت صناعية تنافس الكبار، وانتشار المصانع والسيارات والقطارات والطائرات، وما تنفث جميعاً من سموم، ثم أشار بإصبعه لموقع منجم الفوسفات وأردف قائلاً؛ ألا ترون كمية الدخان التي تخرج من فوهاته كل يوم، كما أن العجاج نفسه من ناحية أخرى يعد سنة الله في الطبيعة، والتي في بعض مواسمها تسهل عملية ولادة بعض الحيوانات، لتخفي صغارها عن الضواري المفترسة، حتى يشتد عودها

كما أن الرياح تلقح عديد الأشجار والأزهار ببعضها، جراء نقل ذرات الطلع بينها، إضافة إلى أن مناخ هذه المنطقة نفسه، يساعد على حدوث الزوايح الرملية والعجاج بطبيعته الشبه صحراوية، وأراضها الجرداء القاحلة القليلة الأشجار، التي كانت في زمن ما تخصص لرعي الأغنام وزراعة محاصيل الشعير والقمح.

فسكتوا وعمّ الهدوء كلّ أرجاء الحافلة، وأخذ الجميع يحّدق ناحية محمد، وكأنهم يستلهمون ممّا يقول ما عدا ذلك الشيخ، وكأنه لم يفهم شيئًا ممّا كان يسمع، وأن رأسه قد أغلقت منذ زمن بعيد على ما بداخلها من أفكار، وأصم أذنيه عن تهذيب أفكاره ومفاهيمها، وردّ مستهزئًا أنتم شبان اليوم تتفلسفون كثيرا ولا تعرفون شيئًا عن الحياة. وأكمل السائق كلام الشيخ معقبا؛ وبنبرة استهزاء، إن شبان اليوم لا يعرفون إلا تقليد وتصديق وإكبار وإجلال كل ما يأتي من وراء البحار، ولا يأبهون بشيء سوى للملذات الحياة، ولا يدركون أنهم مستعمرون فكريا وعقائديا.

نظر إليه أولئك الشبان وتهامسوا بينهم، في وشوشة وابتسامات وقهقهات منخفضة، وكان لسان حالهم غير آبهين بشيء، أما محمد فقد دندن برأسه مبتسما، وواصل شرحه قائلا؛ لقد قلت لكم إنها سنة الله في خلقه، وقد قرأت أنّه ذكر لنا ابن خلدون في مقدمته

المشهورة عن أهمية الغبار فقال؛ إن الأرض بعد تقلب الفصول من فصل إلى فصل، تبدأ بلفظ أمراض وحشرات لو تركت لأهلك العالم فيرسل الله الغبار، فتقوم هذه الأتربة والغبار بقتلها.

فالأرض بعد الرطوبة تلفظ الكثير من الأمراض خلال فصل الشتاء، فلا يقتلها ويبيدها إلا الغبار، ويعتبر الغبار بالرغم من أنه ظاهرة مزعجة هو الخط الدفاعي الأول للإنسان ضد الكائنات الحية من حشرات وميكروبات تضر به أو تسبب له الإزعاج، ويتراوح حجم حبة الغبار حسب حجم الحشرة، فبعضها ذات حجم صغير يدخل في عيون الحشرات، أو يدخل في أنوفها وفي جوفها، وفي آذانها حتى يميته، فالحشرات لا يقتلها ويبيدها إلا الغبار، وما من شيء خلقه الله سبحانه وتعالى إلا وله فائدة، ثم تفحصهم جيدا بنظرة ثاقبة تحمل الكثير من الثقة والكبرياء وهو يحك ذقنه الأملس بأصابع يده.

فميت الجميع مشدوهين من عذوبة كلامه وقوة حججه وبراهينه ثم سكتوا جميعا، ولم يعقب أحد عن كلامه هذه المرة، وامتنعوا عن مواصلة الحوار، الذي أوشك أن يصير جدالا لا نهاية له، بين جيلين مختلفين كل منهما يريد الفوز بالنقاش، ويرى أن رأيه سديد، أما سائق الحافلة فضغط على أحد أقفال المذياع بقوة، فارتفع صوته لتنبعث منه موسيقى القصبة الركوني التقليدية، وتملاً أرجاء الحافلة التي



كانت تسير ببطء في المرتفعات، التي تزداد انحناءاتها كلما تقدمت نحو الشمال، حيث التلال والجبال المرتفعة، والأرض أكثر اخضراراً، وتتوزع فيها بعض الأشجار، عكس ما تركته ورائها جنوباً من أراضي مصفرة ومقفرة وجافة.

وصلت الحافلة إلى المحطة وسط عاصمة الولاية حيث بدأ الركاب في النزول الواحد تلو الآخر، ثم هبط محمد متثاقلاً من شدة التعب، فالرحلة دامت حوالي الساعة ونصف الساعة، ثم تقدم إلى مساعد سائق الحافلة حيث فتح دولاب الأمتعة وأخذ يناول الركاب حقائبهم وأشياءهم، حمل محمد حقيبته على ظهره وهو يمسك محفظته بيده اليسرى، وانطلق مسرعاً نحو الباب الأوسط من السور الروماني الكبير الذي كان يحيط بوسط المدينة العتيقة لعاصمة الولاية، هذه المدينة العريقة التي أنشأها الرومان بعد سقوط قرطاج، رفقة المدن الأخرى التي تحيطها من الغرب لتحميها من هجمات القبائل البربرية، حيث زحف الرومان غرباً وانشئوا الكثير من الحواضر والحصون، وكانت هي أحد أقدم وأكبر تلك الحواضر الرومانية، ثم تعاقبت عليها الكثير من الحضارات، التي تلت سقوط الدولة الرومانية، منها البيزنطية التي جاءت على أنقاض سابقتها، والوندال الذين احتلوها لزمناً، والحضارة الإسلامية التي عمرت طويلاً بمختلف مراحلها، بعد

فتح بلاد المغرب، وآخرها الاستعمار الفرنسي الذي مكث لأكثر من قرن وربع القرن، وهذا ما اكسبها رونقا تقليديا بعبق التاريخ، وتمازجت كل تلك الحضارات القديمة في طياتها، وظهر ذلك جليا في نوعية بناياتها، بين طابع روماني للصور المحيط بوسط المدينة القديمة من كل الجهات، وبأبوابه وأقواسه المتنوعة، والمحلات والبنايات بداخله التي جاءت على المعمار العثماني الإسلامي، والسوق اليومي والكنيسة والفيلات والبناءات التي جاءت على الطراز الأوروبي الفرنسي القديم.

شق محمد طريقه وسط زقاق المحلات المتقابلة تحت البنايات المصطفة على طول الشارع الكبير، الذي يقسم وسط المدينة لنصفين، وينتهي بساحة كبيرة اصطف فيها بعض المقاهي، والمطاعم المتجاورة، وعلى جانبها بضع كراسي من حديد صدئ قديم، وكان الشارع يعج بحركة كبيرة من المارين، وعلى أرصفته بعض الباعة المتجولين يعرضون سلعهم على الأرض وعلى بعض الطااولات الصغيرة، وهم يصرخون بأثمانها البخسة، ومتنافسين على جلب المشترين، كما كانت تتفرع منه على الجانبين مداخل الأزقة الضيقة، حيث يختص كل زقاق فيها بنوع من المنتجات والسلع التجارية والمعرضات، فهذا لألبسة النساء والأطفال وذاك للملابس الرجالية، وآخر للأواني المنزلية، وذلك للأجهزة الإلكترونية وآخر للحرف التقليدية، ولا يكاد

يكون شيء إلا وتجد له مكاناً في محلات وسط المدينة لبيع فيه، حتى أن هناك أزقة بأكملها كانت مطاعم لتقديم الأكولات التقليدية والشعبية والمشايي الشهية.

شق محمد طريقه في الشارع الكبير الذي يقسم وسط المدينة لشقين متقابلين أفقيًا، يلتقي مع الشارع الكبير الثاني الذي يشق وسط المدينة عموديا، في ساحة مستطيلة بالمنتصف، بحيث أن جل الأزقة تتفرع عن هاذين الشارعين الرئيسيين، وهو يهرول مسرعا ليصل لمحطة سيارات الأجرة، ذات اللون الأصفر المعتاد، والتي اصطفت وراء بعضها على الجانب الخارجي الشمالي للصور الروماني القديم والتي تنقل الركاب من وسط المدينة ومحيطها العمراني إلى باقي الأحياء بالحواشي.

وكان صاحب السيارة التي في المقدمة ينادي الحي الجامعي الحي الجامعي، ثم استدار وسأل محمد دون سابق إنذار وهو يهم بفتح الباب الخلفي، هل أنت ذاهب للجامعة؟ شخص واحد وننطلق.

محمد أجل ثم ناوله الحقيبة ليضعها السائق بالصندوق الخلفي للسيارة، وانطلق وسط الزحام الشديد للسيارات فهكذا تبدو المدينة بداية أيام الأسبوع، حيث يعود تلاميذ المدارس وطلاب الجامعات لمقاعد الدراسة والعمال والموظفون لمقرات عملهم، ويأتي الزوار بكثرة

من مختلف البلديات والأرياف وكلّ النواحي المحيطة التابعة للولاية لقضاء حوائجهم المختلفة، فأغلب تلك البلديات تفتقر لأدنى احتياجات ساكنيها، وتواجد كل الإدارات المركزية والهيئات العامة في المدن الكبرى، فهذا جاء لموعد طبيب، وذاك لشراء قطعة غيار، وآخر للإدارات المركزية بغية استخراج بعض الوثائق واستكمال بعض الملفات الإدارية، وهذا ما زاد من الضغط على عاصمة الولاية طيلة أيام الأسبوع، ماعدا أيام العطل الأسبوعية حيث ينخفض الزحام.

وبالرغم من قصر المسافة من وسط المدينة للحرم الجامعي الذي يقع بالمدخل الشمالي الغربي للمدينة، والتي لا تتعدى الميّلين، إلا أن وصول سيارة الأجرة دام أكثر من نصف ساعة، حيث كانت تسير كالسلحفاة وكثيرا ما تتوقف عند إشارات المرور المتتالية، والازدحام والاختناقات المتكررة في أغلب الشوارع والتقاطعات.

نزل محمد وحمل حقيبته ومحففظته واتجه مباشرة صوب الحرم الجامعي، حيث كانت أغلب مبانيه الشاهقة تترأى من بعيد، وبالأخص ذلك البرج الزجاجي الذي يتوسطها، وكان المدخل الرئيسي أو البوابة الكبرى، تشبه إلى حد كبير ذلك القوس الروماني، الذي بني على أحد الأبواب الرئيسة بالسور الروماني المحيط بوسط المدينة، المعروف والذي يرمز للمدينة بأكملها، حتى أنك لا تستطيع أن تفرق بينهما من

شدة التشابه كأنهما توأمان، وما إن لامست قدماه مدخل الباب حتى سأله أحد الحراس، الذين كانوا يقفون أمام الباب، ويرتدون سترات سوداء كتب على ظهرها الأمن الداخلي، إلى أين؟!

رد محمد إلى مصلحة التسجيلات الدراسية الجامعية، وبعدها سأتجه إلى مصلحة حجز غرفة الإقامة، وإتمام إجراءات الإطعام والنقل.

الحارس هل أنت طالب جديد؟!

محمد أجل سيدي.

الحارس تقدم مباشرة إلى الأمام، وعلى اليمين ستظهر لك نيابة المديرية الخاصة بالتسجيلات الجامعية الأولية، وبعد إتمام التسجيلات، ستجد أمامك حراس وأعوان أمن داخلي آخرين، اسألهم وسيوجهونك حيث تريد في كل مرة.

محمد شكرا جزيلا، أكمل محمد طريقه مهرولا وسط تلك المباني المتشابهة والمتقابلة، والتي كانت تبدو كأنها علب كبريت اصطففت في لوحة هندسية رائعة، وفي وسطها مساحات خضراء وأشجار منظمة وبعض الكراسي للجلوس على جانبيها، ويظهر من ملامحها أنها الإقامة الخاصة بالذكور، وفي آخرها مبنى كبير يختلف هندسيا عن سابقه

وبعض الكراسي الإسمنتية للجلوس أيضا، إنها الإدارة والمطعم المركزي الخاصين بالخدمات الجامعية، وهناك أيضا بعض المباني الأخرى، التي عزلت بحائط عن البقية، ويبدو أنها إقامة البنات، ويفصل بينها وبين إقامة الذكور ملعب رياضي ترابي، وكان هناك طريق آخر موازي يربط تلك المباني جميعا بالمطعم والإدارة.

وعند وصوله أمام المطعم المركزي، استدار ناحية اليمين لتظهر أمامه مباني أخرى ضخمة، وعالية تختلف عن سابقتها في الهندسة وال عمران، اتجه صوبها ليتراءى له مبنى آخر كبير، لا يبعد كثيرا عن ذلك البرج الزجاجي الشاهق العلو، وكان يعج بحركة الطلبة ذهابا وإيابا، وعلى مداخله تجمعت أعداد كبيرة من الطلبة المختلفة ألوانهم وبألبيتهم الجديدة وكأنه يوم عيد.

دخل محمد وسأل أحد الطلبة المارين أمامه قائلاً: أخي أين مكتب تسجيلات الطلبة الجدد؟

الطالب: تقدم قليلا حيث يتواجد ذلك التجمع الطلابي وارفع رأسك ستجد لافتة كتب عليها نيابة الجامعة للتكوين العالي في الطورين الأول والثاني والشهادات، ثم اصعد إلى الطابق الثاني واتجه إلى اليسار، هناك تقام التسجيلات الأولية للناجحين الجدد وفي جميع الاختصاصات.

محمد شكرًا لك أخي.

ثم تقدم وصعد السلالم واتجه يسارًا ليجد قاعة فسيحة، حيث اصطفت بعض الكراسي على جانب من أحد جدرانها، وأمامها ازدحم الكثير من الطلبة على أبواب عدد من مكاتبها المتتالية، والتي يبدو أنها جمعت فيها مصالح التدريس لمختلف الكليات مؤقتًا في فترة التسجيلات الأولية، كما يحدث بداية كل سنة جامعية، وكل مكتب يخصص لقسم من الأقسام، وكان على مدخل كل مكتب حارس ينظم دخول الطلبة كل حسب دوره لإتمام إجراءات التسجيل.

تعمق محمد داخل تلك القاعة وهو يشق ازدحام الطلبة، من الداخلين والخارجين والمنتظرين، ويتفحص ما كتب على اللافتات أعلى الأبواب، إلى أن لمح أحدها مكتوب عليه تسجيلات قسم الحقوق والعلوم القانونية، ثم توقف لينظم لذلك الطابور الذي تزاخم فيه الطلبة قبيلة مدخل المكتب، وقد أنهكه الإعياء وظهرت على وجهه الدهشة فهو لم يعتد على مثل هذه الأجواء، من قبل واتكأ على الحائط منتظرًا دوره، حتى غشيته بعض النعاس من شدة التعب، وكان ذلك الطابور يتقدم ببطء شديد، إلى أن حان دوره وكان الزمن قد قارب الظهيرة، ليدخل ذلك المكتب الضيق الذي كان ينم عن كثير من الفوضى، فقد اكتظ بالملفات والوثائق الإدارية المتناثرة على المكتب

نفسه، وعلى تلك الطاولة الطويلة، التي كانت خلف الموظفة، وتوسط المكتب دون تنظيم، وكانت في آخر المكتب خزانتيْن مهترئتين مليئتين بعلب امتلأت بملفات كثيرة، وتكدست فوقها أيضا، جلس على كرسي مهترئ، بينما كانت الموظفة منهكة في ملئ بعض المعلومات في أحد الدفاتر الإدارية.

ثم ما لبثت أن رفعت رأسها قائلة؛ هات ملفك أسرع فما زال خلفك الكثير من الطلبة، الذين تتضاعف أعدادهم كل سنة كالجراد، ثم أردفت قائلة؛ وهي تقطب حاجبيها، إن هذه الأيام لا تنتهي ستمر علينا أيام التسجيلات كأنها أعوام.

أخذ محمد يرتّب وثائق ملفه وهو يسحبها من محفظته، ثم سلّمه إيّاها قائلا؛ تفضّلي سيدتي.

أمسكت الملف وأخذت تتفحصه وثيقة وراء أخرى، ثم تمعنت في الصور الشمسية، وأخذت تقلب شهادة البكالوريا من الجهتين وتهزها يمينا وشمالا، كأنها تتفحص قطعة من الذهب الخالص وقالت؛ في الكثير من الأحيان نكتشف بعض منها مقلدة ومزورة، وأنا أصبحت خبيرة في ذاك، نتاج سنوات عملي الطويلة، ثم هزت رأسها وتمعنت في وجه محمد جيّدا، وأكملت قائلة؛ إن أغلب الطلبة القادمين من



بلديتك مهذبون، ولا يتسببون لنا في مشاكل تذكر أتمنى أن تحذو  
حذوهم.

ردّ محمد بصوت خافت نعم سيدتي وأنا كذلك.

وكانت تتمم وهي تملأ بعض الاستثمارات، وتضع عليها صورا وتضع  
فوقهم بعض الأختام، ثم طلبت منه التوقيع في دفتر التسجيلات، وعلى  
تلك الاستثمارات أيضا، وناولته بطاقتين قائلة؛ هذه بطاقة الطالب  
وهذه تخص المطالعة في المكتبة واستعارة الكتب منها وهذه الشهادة  
المدرسية لعامك الأول، وكل بداية سنة جديدة ستقوم بنفس  
الإجراءات تقريبا، لكن على مستوى الكلية، وستعتاد على ذلك، ثم  
وقفت وهي تفتش بين مجموعة متراكمة من الملفات وقالت دون أن  
ترفع رأسها أيضا، تستطيع الآن الانصراف، وأي معلومات تخص  
مسارك الدراسي طيلة السنوات القادمة، ستجدها لدينا على مستوى  
مصلحة التدريس، أو بالمكتب الملاصق لها وهو لرئيس قسم الحقوق  
والعلوم القانونية الذي ستدرس فيه، وهما يتواجدان على مستوى  
كلية الحقوق وليس هنا فهذه مصالح التدريس المركزية حيث نقوم  
بداية كل سنة بالتسجيلات الأولية فقط، ثم نعود لمكاتبنا الأساسية  
على مستوى كليتنا، يعني أنك بعد اليوم ستجده دائما إلى الكلية.

انصرف محمد وعاد مباشرة إلى الإدارة الخاصة بالخدمات الجامعية، والتي كانت لحسن حظه بنفس الطريق الذي سلكه أثناء قدومه، بمحاذاة المطعم المركزي داخل الإقامة الجامعية نفسها، والملاصقة تمامًا للإقامة الجامعية للطلّابات.

ومع وصوله إلى البوابة اجتاز مسرعاً دون أن يلتفت إلى الحارس، الذي كان منزوياً وراء مكتب خشبي صغير، لكن ناداه قائلاً: إلى أين أيها الطالب؟

محمد: إلى مكتب الإقامة والإطعام والنقل فأنا طالب جديد.

الحارس: الطابق الرابع على اليمين.

محمد: شكرًا.

أكمل محمد طريقه إلى آخر المبنى، ليصعد السلالم من جديد وهو يتأفف أف... هذه السلالم لا تنتهي، ومع وصوله لمدخل الطابق الرابع وجد نفس الاكتظاظ الذي مرّ به أثناء عملية التسجيل للدراسة في مصلحة التدريس بالقسم، وكأنهم نفس الأشخاص نسخوا من جديد، نفس مظاهر الازدحام في كلّ مكاتب إدارات هذه الجامعة، يا إلهي هذا الزحام لا ينتهي، صاح وهو متوجّه للمكتب الأول الخاص بإتمام إجراءات الحصول على غرفة بالإقامة الجامعية، ثم ما فتى أن انظمّ

لذلك الطابور الطويل، فيبدو أنها ستصبح عادة يومية، وعلى الطالب أن يتدرّب على الصبر عليها، فحيث ما ولّيت وجهك أو قصدت مكتبا إداريا للحصول على بعض الوثائق، أو لإتمام إجراء ما تجد الطوابير والصلالم، ويبدو أن الموظفون أيضا يتقاعسون في أداء مهامهم الإدارية، إضافة لكثرة الإجراءات البيروقراطية المعقدة التي تفرضها القوانين الكثيرة.

هكذا كان محمد يحدث نفسه، وبعد انتظار طويل جاء دوره، طرق الباب بادئا بالسلام عليكم، لكنه لم يسمع الرد، وكانت هذه المصلحة لا تختلف كثيرا عن سابقتها، إلا أنّ موظفيها هذه المرة رجلين، رئيس مصلحة الإيواء والإطعام، ورئيس مكتب النقل الجامعي الذي يتبعه، حسب ما قرأه محمد على مكتب ذلك الرجل الأبيض والأصلع السمين، الذي لا يكاد يبرح مكانه من شدة سمنته، وهو يتنقل في أرجاء المكتب ويرتب الملفات والوثائق، ومعاونته الذي كان بجانبه، والذي لا يختلف عنه في المظهر كثيرا، إلا أنه أسمر قصير، ثم هز ذلك السمين الأبيض رأسه قائلاً: هات ملفك ونسخة من الشهادة المدرسية وأرني بطاقة الطالب.

محمد بصوت منخفض وقد أنهكه التعب: تفضل سيدي.

تمعن في البطاقة جيدا ثم نظر إلى محمد ليتأكد أنه صاحبها، ثم أعادها إليه وأخذ يتفحص الملف، وينثر كل وثيقة على حدى فوق مكتبه المهترئ، وبعد بضع دقائق سلمه بطاقتين قائلاً؛ هذه للإطعام احتفظ بها لاستظهارها لحراس المطعم عند الدخول لتناول الوجبات وهذه للنقل، وأضاف له شهادتين قائلاً؛ وهذه إحداها سلمها لمسؤول الجناح حيث ستقيم والثانية احتفظ بها لك.

خرج محمد مسرعا فالساعة قاربت ما بعد العصر، وقد أنهكه التعب والإعياء، واتّجه إلى إقامة الذكور عبر الطريق الذي يمر صعودا، من المطعم المركزي أمام إقامة البنات، ثم الملعب الرياضي وصولا إلى إقامة الذكور، التي كانت على مقربة من الباب الكبير حيث دخل صباحا، كان يرفع رأسه لمداخل كل جناح أ.. ب... ج.. د... س.. نعم إنه الجناح "س" .. ويبدو أن موقعه جميل، فهو يقابل مباشرة الملعب الرياضي ومن وراء الملعب إقامة الإناث، ومع دخول محمد عتبة باب الجناح حتى سمع بعض الضجيج، فالتفت على يمينه ليظهر له مجموعة من الطلاب، أمام مكتب داخل الجناح غير مرقم وذو باب كبير بخلاف البقية، التي كانت مرقمة أعلى أبوابها وذات أبواب صغيرة، والتي كانت تبدو جميعها أنها غرف ما عدا آخر الأروقة، حيث تواجدت الحمامات، كتب في جدرانها أحرف باللغة الأجنبية، وأبوابها مفتوحة

على الدوام، تقدم داخل الرواق الأيمن حيث كانت الغرف متقابلة، حتى وصل لذلك التجمع الطلابي والذي كان كالعادة في طابور أمام مكتب مسؤول الجناح، وكل منهم ينتظر دوره للحصول على غرفة.

تهنّد محمد قائلاً؛ يا إلهي طوابير... طوابير. لا تنتهي، أليس هناك مكان في هذه الجامعة يخلو من الطوابير، ثم انظم إليهم ومافتى أن التحق آخرون وراءه، وبعد حوالي نصف ساعة من الانتظار، حان دوره فدخل لمكتب مسؤول الجناح، وما لبث أن وضع قدماه داخل المكتب إلا وصاح في وجهه أسرع... أسرع... ما زال وراءك الكثير، كان رجلاً في الخمسينات من العمر وجهه بين الحمرة والسمرة متوسط الطول والوزن، يرتدي نضارة طبية وإحدى عينيه بها حول ناحية اليمين، يلبس بذلة كلاسيكية ويبدو أنه حاد الطباع.

قدم له محمد شهادة الإقامة التي جليها من مصلحة الإقامة بالإدارة، ونسخة من شهادته المدرسية وبطاقة الطالب التي جليها من مصلحة التدريس أيضاً.

بسرعة أمسك بها وأخذ يتفحصها الواحدة تلو الأخرى، ويتمعن في قراءتها ويرفع رأسه، ليتأكد من أنه الشخص نفسه الذي أمامه، وسأله قائلاً؛ هل أنت بصحة جيدة.

محمد مستغرب؟! نعم الحمد لله بكامل الصحة والعافية.

ثم استدار خلفه حيث كانت هناك لوحة خشبية، ملتصقة على النصف العلوي من الجدران، وعُلِّقت فيها عشرات المفاتيح المرقمة، في جدول مقسم لمربعات متتالية، وجلب أحد المفاتيح وفتح أحد الدفاتر الكبيرة، وطلب من محمد الإمضاء في أحد الخانات، وهو يقول ما دمت بصحة وعافية الله يديمها عليك، غرفتك ستكون في الطابق الرابع والأخير، ثم سلمه المفتاح قائلاً؛ الغرفة رقم 44.

استلم محمد المفتاح واستدار دون أن ينبس ببنت شفه، من شدة التعب والإعياء، وخرج ليصعد تلك السلالم وهو يتمتم، سالماً... سالماً... طوابير... طوابير... لا تنتهي، وبعد وصوله للطابق الرابع، اتجه في الرواق الأيسر، حيث كانت غرفته الأخيرة، وفتح الباب ثم أشعل الأضواء، ووقف مشدوها قائلاً؛ يا لها من غرفة ضيقة؟!

كانت الغرفة مربعة الشكل تحمل أربعة أسره، كل سريرين فوق بعضهما البعض، ووضع كل اثنين منها في زاوية، وكانت تقابل كل سرير خزانة إسمنتية داخل الجدران نفسها، وفيها أبواب خشبية قديمة مرّ عليها سنين، وتتوسطهما طاولة خشبية أيضاً، وأربعة كراسي متقابلة ليست أفضل حالاً، وفي آخر الغرفة باب يبدو أنه لشرفة صغيرة.

نطق محمد وكأته يهذي من شدة التعب، حتى الأسرة بالطوابق والسالام، ثم رمى حقيبته ومحفظته على الطاولة، وتقدم وفتح باب الشرفة ليتساقط منه الغبار، فالغرفة لم تنظف طيلة العطلة الصيفية، التي امتدت لثلاثة أشهر بأكملها ثم ألقى نظرة من الشرفة حيث يبدوا أن موقعها جميل، ولها إطلالة رائعة حيث تقابل إقامة البنات، وتواجهها ثلاثة أجنحة بأكملها لشرفات الطالبات، وقبلها ملعب الذكور حيث يمكنه مشاهدة المباريات من شرفته، دون الحاجة للنزول للملعب ذاته، ثم استدار وأعاد غلق باب الشرفة وارتقى على أحد الأسرة، وهو يأخذ نفساً عميقاً، يا إلهي يا له من يوم شاق وسفر طويل، واكتظاظ وتنقلات وطواير... طواير وسالام... وسالام... ووثائق... وملفات... وملفات لا تنتهي أبداً وموظفون حمقى وحرّاس في كلّ مكان، ثم تنهّد وأخذ نفساً عميقاً من جديد، وهو يتمتم لا أعرف من سيقاسمني هذه الغرفة الضيقة، من طلبة آخرين سنتكس فيهما لسنين، أتمنى فقط أن يكونوا أشخاص جيدين، ثم أغمض عينيه وهو يفكر في أحداث يومه الطويل، فهذه المرة الأولى في حياته التي تضمه جدران غريبة دون أن يشعر لذلك بأي ضيق.

وعندما جلس في آخر المساء في الشرفة، راح يتناهى إلى مسامعه صخب الحياة الجامعية وضجيجها، ثم ألقى نظرة ليرى الطلبة وهم

يتوافدون على مباني الإقامة، حيث يتوزعون إلى مختلف الأجنحة ويختفون داخلها، وكانوا يحملون أمتعتهم على ظهورهم ومحافظهم بأيديهم، كأنهم مجموعات من النمل العامل، الذي يتوزع عبر المسالك المختلفة إلى حيث جحورهم، في خطوط متعرجة بعد أن تنبع من الطريق الرئيسي الكبير، الذي يشق الحي الجامعي من الباب الرئيسي إلى غاية الإدارة والمطعم المركزي، ثم عاد أدراجه لداخل الغرفة، واختار السرير السفلي بجانب باب الشرفة، وترك السرير العلوي فوق رأسه والسريرين بجانب الباب لمن سيلتحق بالغرفة لاحقا، وأخذ يرتبه وينفض عنه الغبار، وفتح حقيبته وأخذ يرتب أغراضه بتلك الخزانة الإسمنتية المقابلة، التي سيشارك فيها رفقة زميله الذي سينام بالسرير العلوي فوق رأسه، ثم ارتقى على سريره من جديد، وغط في نوم عميق فقد أنهكه التعب والإعياء من أحداث هذا اليوم الشاق والطويل.

كانت الساعة تشير إلى منتصف النهار، حين سمع أحدهم يقوم بفتح باب الغرفة، رفع الغطاء عن رأسه وفتح عينيه ببطء شديد، يبدو أنه التحق طالب آخر قد أنهى إجراءاته الإدارية للتو.

أشعل القادم الجديد الأضواء، ونهض محمد من فراشه في نفس اللحظة، مع انتباهه لوجود محمد مباشرة ألقى عليه السلام.



وأكمل قائلاً؛ دون أن ينظر كلاهما في وجه الآخر، عذرا على الإزعاج يبدو أنك نمت متأخرا جدا ليلة البارحة، حتى تبقى بفراشك لمنتصف النهار، قال ذلك وهو يجلس على أحد الأسرة، من زاوية الباب بعد أن وضع حقيبته ومحفظته، على تلك الطاولة الخشبية الطويلة، التي تفصل بين كلّ طابقيين من الأسرة، وأكمل كلامه؛ يقال إن نوم الرجل وحيداً يجلب له الكوابيس.

محمد وهو يتثائب وينزل من سريره، وعيناه لا زالتا شبه مغمضتين، وهو يقوم بفتحهما بصعوبة بالغة، نعم لقد أنهكني التعب يوم أمس من كثرة الطواير والسلالم والانتظار كان يوماً شاقاً فعلاً.

ثم نظرا كل منهما في وجه الآخر، وتوقفا لبرهة عن الكلام، في دهشة ممزوجة بالفرح، وصاح كلاهما في نفس الوقت، أمين... محمد... فهما من نفس المدينة لا بل درسا سويا بنفس الثانوية، ثم تعانقا، وأردف أمين قائلاً؛ يا رجل لقد سبقتي؛ لم لم تخبرني؟ كنّا على الأقلّ جئنا معاً، وأقلّك والدي بسيارته معنا حتى تخفف عنك عبء السفر.

محمد وهو يهبط للخروج للحمام، لا لم أشأ أن أزعج أحداً، فالمسافة ليست بالبعيدة جداً، ثم أكمل كلامه مازحاً أردت الاعتماد على نفسي من الوهلة الأولى، فقد صرت رجلاً اليوم همهه وخرج من الغرفة.

بينما فتح أمين باب الشرفة لتتنفس وعاد ليرتب أغراضه في الخزانة.

أمين الشاب الودود الذي بلغ العشرينات من عمره بعمر محمد تقريبا، أو قل بينهم بعض الشهور، فهو متناسق قسمات الوجه جميل غاية الجمال، فوجهه البيضاي الضارب إلى الحمرة، الذي يتغير بتبدل الظروف، وأسنانه الرائعة وشفثاه الرقيقتين، وأنفه المستقيم وجبينه العالي، وعيناه العسليتان الواسعتان، إضافة إلى أنه فارح الطول، إن كل ذلك يجعله شابا جميلا، فقد عاش وأخته الصغرى عيشة هنية، فوالده المهندس المعروف سي الشريف المدير الفرعي بمنجم الفوسفات في المدينة، ووالدته الدكتورة شهرزاد فهي الطيبة الوحيدة في البلدة، التي لها عيادة خاصة ويقصدها كل نساء المدينة، فهي أشهر من علم والداني والقاصي يعرفها، ورغم كل هذه المزايا إلا أنه لا زال طفلا ضعيف الشخصية طائشا، وتدفعه حماسة الشباب، وله أفكار غريبة متقلبة، وأحيانا مستحيلة واندفاعاته تتغلب عليه في بعض الواجبات، وقليل التبصر إلى أبعد الحدود، رغم بلوغه العشرين، فربما دلالة قد ساهم في ذلك فهو لا يملك من الصفات إلا الكرامة وطيب القلب، وأنه مؤخرا بدأ يتغير للأحسن، وأصبحت ترسخ لديه بعض الصفات النبيلة الأخرى، حيث صار يهتم بأمور رقيقة

شريفة، وقلبه جميل وعامر بالحب والإخلاص، والأمانة وهذا أساس كل شيء.

عاد محمد للغرفة وهو متزعج وقد أصابه الغثيان وكاد أن يتقيأ في عتبة باب الغرفة، فترك أمين ما بيده وأمسكه قائلاً ما بك؟! هل أنت مريض؟

محمد يا إلهي الحمام متسخ جدا وكريه الرائحة، أجزم أنه لم يُنظَّف منذ سنوات.

أمين ربما العطلة فعلت فعلتها فقط، وبعودة عاملات النظافة لعملهن سيقمن بتنظيفه بطبيعة الحال.

محمد لا أظن ذلك، فالأساتذة والموظفون وعمال الخدمة، يعودون لمناصب عملهم قبل التحاق الطلبة بأسابيع، لا.. لا أظن.. إن هناك تقصيراً وتهاوئاً كبيرين، في أداء الأعمال لدى بعض عمال الخدمة، كما أنني شاهدت عاملة النظافة تجلس في مكتب مسؤول الجناح، مرتدية منئراً أزرق وتمسك بيديها مكنسة... أظنها هي...؟

أمين صحيح أنا كذلك رأيتهما قبل قليل في نفس المكان، لا أعرف لمَ تركت عملها وتبقى في مكتب مسؤول الجناح، لا عليك إذا لم تأتِ عاملة النظافة سنقوم بتنظيفه بأنفسنا.

محمد سنتحرى عن الموضوع من مسؤول الجناح، حين يخف عنه ضغط الطلبة المتواصل، فهو يبدو مشغولا هذه الأيام بتوزيع الغرف وأظن أنه لن يهتم بالموضوع.

أمين: أكيد سنفعل ذلك وإن تحتم الأمر سنرفع شكوى.

محمد: إنَّ المحير في الأمر أنَّ جل المراحىض وعددها ستة متسخة جميعا، وشبابيكها مكسرة والزبالة مرمية أمام أبوابها، يبدو أنَّ هناك إهمالاً كبيراً، ومسؤول الجناح على علم بذلك ما دامت عاملة النظافة جالسة معه في مكتبه، ويبدو أننا سنعيش سنوات عجاف في هذه الجامعة.

أمين: ربما هو نفسه من يوفر لها الحماية، لا عليك يا صديقي كل ما ينقصنا سنقوم به بأنفسنا، حتى لو اقتضى الأمر إصلاح أحد المراحىض الستة في رواقنا، وإغلاقه بقفل محكم لنستعمله بمفردنا، ونرعاه بأنفسنا، فربّما الكثير من الطلبة مفسدون أيضا، ولا يحافظون على التجهيزات، ويتركون قاذوراتهم في كلّ مكان دون أدنى ضمير، وعمال الخدمة لا يقومون بإصلاحها فقد سئموا من تكرار ذلك، ثم قطب حاجبيه قائلاً؛ هل تذكر ما كان يفعله طلبة الثانوية في المراحىض؟ من تكسير وإفساد وعفن أثناء فترات الراحة؟!

محمد: أه.. أه.. نعم.. أذكر ذلك لكن الثانوية لم تكن نقيم فيها، حتى نحس بهذا الانزعاج، كنا على الأقل نعود مساءً لبيوتنا، وأذكر أنني لم أدخل لتلك المراحض سوى مرتين أو ثلاث على أكثر تقدير.

ثم ارتدى سترته، وهو لا زال يعاني من بعض الغثيان، وخاطب أمين قائلاً: يجب أن تحجز السرير الذي فوق راسي، وتترك السريرين الآخرين للقادمين بعدك.

أمين: نعم سأفعل ذلك، وعلى حسب ما أخبرني به مسؤول الجناح، فإنه يرسل أبناء نفس المدينة لنفس الغرف لاحتمالية أن يكونوا يعرفون بعضهم البعض، ولهم نفس العادات والتقاليد، وبذلك تخفّ التوترات والمشاحنات التي قد تحدث بين الطلبة داخل غرف الإقامة.

محمد: للأمانة رأيته سديد، ثم حك رأسه قائلاً: أه... كدنا ننسى موعد الغداء، بعد إتمام ترتيب أغراضك، سنتوجه للمطعم المختلط لتناول أول وجبة غداء.

أمين: أتمنى أن تكون وجباتهم لذيذة.

محمد: على حسب ما أرى فلن تكون كذلك، المهم أن تكون نظيفة. خرجا باتجاه المطعم، وأثناء الطريق نطق محمد قائلاً: حتى أتى لم أسالك عن التخصص الذي اخترته؟

أمين كانت قائمة اختياراتي على رأسها الطب لأرضي والدتي الطبية، وكان الاختيار الثاني هندسة المنشآت الكبرى لأرضي والدي المهندس، وثالث اختيار كان العلوم القانونية الذي أحبه أنا، ولحسن الحظ أن معدلتي بشهادة البكالوريا لم يسمح لي بالالتحاق بالاختصاصين الأول والثاني، وجاء الرّد بالاختصاص الثالث محل اختياري، والذي أحبه وأهواه ثم قهقهه ضاحكا، وحقّ رأسه قائلا؛ عندما يكون الحظ لجانبك هممه ...

محمد: أما أنا كان اختياري الأول للحقوق والعلوم القانونية وكان الرد بما اخترت فعلا دون عناء، ربما لأن المعدل المطلوب لهذا الاختصاص أقل من بعض الاختصاصات التي ينشدها الجميع كالطب والصيدلة والهندسة.

أمين بالتأكيد فالجميع يريدون أن يصبحوا أطباء وصيدلة ومهندسين، ربما يختارون ذلك لضمان منصب عمل بعد التخرج فقط وليس حبا في الاختصاص نفسه.

شقا طريقيهما باتجاه المطعم المركزي المختلط بين الذكور والإناث، وأثناء مرورهم ببوابة إقامة الطالبات، توقف أمين فجأة ونظر ناحيتها بنظرة ثاقبة وتندد قائلا؛ هنا ستكون لي صولات وجولات، من هي سعيدة الحظ التي ستكون صديقة أمين.

ثم أمسكه محمد من يده وأسرع به الخطوات قائلاً؛ طبعاً هذا إذا لم تنجح نورة رفيقتك أيام الثانوية، أما إن حدث ذلك فستواصل معها المسيرة، فلا تتسرع يا صديقي كل شيء بأوانه، ولا زال العام طويلاً وكما يقولون ألدّ الأطعمة تطهى على نار هادئة.

وأكملاً طريقهما مباشرة إلى المطعم، حيث كان عليهما أن يسيرا في طابور طويل كالعادة، وعلى عتبة الباب اصطدما برجلين، كان أحدهما فتىً صغيراً لم تنبت لحيته بعد، ولم يكد ينبت شارباه ما عدا بعض الشعيرات، وتسريحة شعره الغربية، وكان منظره يعبر عن غباوة كبيرة، وكانت ملابسه أنيقة لكنّها مضحكة، فكأنه مرتد لملابس شخص آخر، وكان يزين أصابعه بخاتم من حديد، ويحمل في يده مجموعة من تذاكر الإطعام، والتي كان يقتنهما الطلبة بمبلغ زهيد لا يتعدّى بعض الدنانير، وكان يبتسم ويضحك دون سبب وهو يسلم التذاكر ويقبض ثمنها من الطلبة.

أما صاحبه الذي كان يقف خلف رأسه فهو في نحو الخمسين من العمر سمين بطين، ذو هندام كلاسيكي جميل، وكان أصلعاً ووجهه منتفخ وكان يزين ربطة عنقه بدبوس كبير، وكان يضع نظارة على أنفه المدور الذي يشبه المصباح، إن وجهه يعبر عن السوء والشهوانية، كأن عينيه الشريرتين الخبيثتين الغارقتين في الشحم، تنظران من خلال

شق، وهو مكشر تكشيرة الاستياء، وكان واضحاً أنه مدير المطعم نفسه، وجاء يتفقد بداية تشغيل المطعم، ويقف على عمل العمال ومدى تنظيم إ طعام الطلبة، وليبرز لمسؤوليه وعماله والطلبة أجمعين، حرصه على مراقبة كل صغيرة وكبيرة، وأنه ينزل للميدان ويقوم بعمله في مراقبة جودة العمل، ومدى التزامهم بأداء مهامهم، وربما يكون قد يخفي وراء كل ذلك الحرص، بمغادرة مكتبه وإبراز نفسه للعيان، الكثير من الخداع وذر للرماد في العيون ليداري عيوب أخرى، ويواربها وراء ظهره ويخفيها عن الأنظار في شتى المناسبات، وبالأخص أثناء افتتاح السنوات الجامعية، وسرعان ما يعاود الاختفاء في مكتبه حتى آخر العام.

اشترى أمين مجموعة من التذاكر تكفيهما لعدة أيام ببعض الدنانير الرمزية، وتقدما إلى الداخل حيث كانت هناك ثلاثة شبابيك متتالية، لا يظهر من خلفها شيء، فهي لا تكفي سوى لإدخال طبق حمل الطعام، ما عدا أنه يسمع من ورائها وشوشة للكلام وبعض ضجيج الأواني، وصياح متمازج بين أصوات النسوة والرجال من الطباخين وموزعي الطعام داخل صالة الطهي.

كان الطلبة يحملون من الشباك الأول طبقاً مربع الشكل، صنع من الحديد الأبيض المصقول، طبعت عليه بعض الحفر المربعة المختلفة



الأحجام والتي تشبه الصحنون وفوقه قطعة من الخبز، وقطعتين من الجبن ثم يدخلونه داخل الشباك الثاني، حيث يصب لهم حساء من العدس، وفي الشباك الثالث يحصلون على سلطة من خس مذموم، ثم يتوجهون لقاعة فسيحة رتبت فيها طاولات وكراسي خشبية بأرجل حديدية.

تبع محمد وأمين الطلبة، واختارا لهما مكانا في الزاوية البعيدة مبتعدين عن تجمعات الطلبة الآخرين.

أمين: يبدو أن الوجبات ستكون متشابهة طيلة الأيام والسنين.

محمد: لقد سمعت من قبل عن رداءة الوجبات في المطاعم الجامعية، من ابن خالتي الذي تخرج قبل سنتين حيث أخبرني عن الكثير من المساوئ في الأحياء الجامعية وخاصة مطاعمها.

أمين: وتبدو على وجهه ابتسامة عريضة، والآن سنعيشها بأنفسنا وليس سماعها فقط من أفواه الآخرين، قال ذلك وهو يضع لقمة في فمه بففف عدس مائي، سأتناول بعض السلطة وقطعتي الجبن فقط لن يجتاز هذا حلقي.

محمد: يجب أن نعتاد على سوء الطعام فلا مفر لنا من ذلك، وربما سنعتاد على أشياء أخرى أكثر سوءاً أو نتحملها رغماً عن أنوفنا فليس هناك بديل.

أمين أنا أيضاً سمعت الكثير من السوء عن الحياة الجامعية، من أبناء بلدتنا الذين وطئت أقدامهم الجامعة قبلنا، سواء الذين أنهموا دراستهم ودخلوا عالم البطالة، أو الذين لا يزالون يزاولون دراستهم لحدّ الساعة ولم يتخرجوا بعد، وحسب أقوالهم السوء لا يشمل الإطعام والمبيت فحسب، بل أيضاً الدراسة والمحابة في الحصول على العلامات في الامتحانات، واجتياز السنوات والمكافآت، وبعض المزايا التي يحصل عليها بعض الطلبة كالتريصات التطبيقية آخر السّنوات.

محمد: حقا كما سبق وقلت، سمعنا الكثير من قبل لكن اليوم هو بداية ملامسة كلّ ذلك في الحقيقة والواقع بأيدينا.

نهض الأولاد مغادرين مكان جلوسهم دون أن يكملوا طعامهما، وما إن وصلا عتبة باب الخروج حتى سمعا صوت امرأة تصرخ وراءهما بأعلى صوتها قائلة، عودا إلى مكانكما واحملا طبقكما وضعاهما في المكان الخاص بالغسيل كما يفعل الجميع، فأنا لست خادمكما لأحمل كلّ تلك الأطباق اللّعيّنة، وأمسح كلّ هذه الطاولات العفنة...

هيا... أسرعاء... وقف الولدان مشدوهين، وهما ينظران إليها تارة وإلى بعضهما تارة أخرى، وقد تسمّرا في مكانهما ولا يدريان ماذا يفعلان.

إنها خالتي صليحة... أو صلوحة كما يحلو للجميع أن يناديها، وهي أرملة في الأربعينات من عمرها، لقد كانت امرأة رقيقة العود، وقد وضعت على رأسها طاقيّة وعلى كتفها شالا، و اصطبغ وجهها بلون أحمر قرمزي مختلط بالبياض، وهي تعمل منذ سنوات عديدة في مطعم الجامعة، حيث تقوم بأعمال النظافة داخل قاعة المطعم، وتحمل بقايا بعض الخبز التي يتركها الطلبة ورائهم على الطاولات، وتجمعها داخل أكياس حتى لا ترمى في الزبالة حفاظا على النعمة، وتقوم بمسح الطاولات بذلك الإسفنّج المبلل، الذي يلزم دوما يدها اليسرى، والجميع يحبّها ويمازحها عمدا حتى تخرج ما في جوفها من عصبية، في قالب فكاهي يجعل الطلبة وزملائها العاملين يضحكون ملء جفونهم، ورغم عصبية لسانها السليط إلا أنّ قلبها عامر بالطيبة والحنان، فهي المعيل الوحيد لأربعة صغار بعد أن توفي زوجها، الذي كان حارسا بنفس الجامعة، في حادث مرور قبل خمس سنوات، وهذا ما أكسبها بعض الشفقة والاحترام الزائد من طرف زملائها، باعتبارها زميلتهم في العمل وأرملة أحد زملائهم المتوفين، وقد تحمّلت لوحدها عبئ أسرتها الصغيرة، حتى أن مدير المطعم يسمح لها أن تأخذ أكياس

بقايا الخبز التي تجمعها لبيعها كأعلاف لبعض ملاك الأغنام والدواجن، لتساعد نفسها على التغلب على مصاريف الحياة المرهقة، فهي عاملة بسيطة وأجرها زهيد لا يكفي لتغطية حتى مصاريف الدراسة لصغارها.

التفت الولدان وهما متسمرين في مكانهما، وقد تفاجئا بذلك لكن لحسن الحظّ تدخل أحد حراس المطعم، لتهدئة الوضع قائلاً قبل أن يأتي أيّ رد فعل من محمد وأمين: إنّهم طلبة جدد فأنا لم أرهم من قبل، ويبدو أنّهم لا يدركون ذلك، ثم التفت للأولاد وهو يغمز بعينه اليسرى مبتسماً، وموجّهاً لهما الكلام في الوقت نفسه في المرّة القادمة احملا طريقيكما.

فهم الأولاد إشارة ذلك الحارس والتفتا معا ناحية خالتي صليحة وقالوا بصوت واحد أسفين، نحن لا نعرف ذلك، ثم عادا مباشرة إلى حيث كانا جالسين، وحملا الطّبقين ليضعاهما في آخر المطعم، على أحد الرفوف حيث كانت وراءه مجموعة من الحنفيات، ويبدو أنّه مكان خالتي صليحة حيث تغسل بعد ذلك الأطباق.

ثمّ خرجا مباشرة دون أن يضيفا أي كلمة.

وفي طريق عودتهما للغرفة، وعبر المسلك الذي يمرّ أمام بوابة إقامة الطالبات، توقّفا قليلا واستندا معا على الجدار، وهما يتأملان جحافل الطالبات اللواتي يدخلن ويخرجن، فلم يكونا ليفوّتا مثل هذه الفرصة، فهما قادمان من البلدة الصغيرة المحافظة جدًّا، حيث من الصعوبة جدا أن يستطيع الشاب أن يقترب من أيّ فتاة غريبة، ما عدا بعض العلاقات العاطفيّة، والتي تكون في الخفاء بعيدة عن أعين الأهل والناس، عبر الرسائل والنظرات، ولا يلتقي فيها العاشقان سوى خفية لبعض دقائق ولحظات، وممرّات قليلة جدًّا بعد أشهر في عاصمة الولاية الأكثر تفتّحًا حيث يعيش شبابها علاقات عاطفية على مرأى من الجميع، دون أن يكتشف أهلهم ذلك، حيث يلتقون في عدة أماكن دون أن يجلبوا الانتباه أو يتفطّن لهم أهل الفتاة، خاصّة أنّ المدينة كبيرة وتعجّ بالسكان الذين لا يعرف أكثرهم بعضهم البعض، كما أنّ فيها محيطًا جامعيًا مختلطًا ويحتوي على أغلبية من الطّلبة قادمين من خارج المدينة، ولا يجلب اختلاطهم الرّيب أو الشّك، وفيها العديد من الحدائق والمتنزهات، ومقاهي مخصّصة للعشّاق، وكان عنفوان الشباب يدفعهم من أجل الحصول على صديقة، قد تخفّف عنهم وطأة الوحدة والسنين الدّراسية الطويلة، التي سيجتازونها في المحيط الجامعي، حيث يسعى فيه الكثير الجمع بين الدّراسة، للتتويج بشهادة

جامعيّة تساعده بنسبة كبيرة في الحصول على عمل لائق، وأن يعيش مغامرات عاطفيّة تملأ الفراغ الذي يعيشه طُلاب الجامعات، ويكسر عنهم الروتين اليومي في الإقامات، فمن دون المحاضرات والدّروس وبعض الهوايات الرّياضية والثقافية التي يمارسها الطّالب، قد يجد أغلّهم نفسه في فراغ رهيب خاصّة للمقيمين.

لذلك يتسابق أغلّهم للحصول على صديقة من الحي المقابل للطالبات، للتخفيف من وطأة الوحدة من جهة، والتباهي أمام بقية الزملاء واستعراضاً للعضلات من جهة ثانية، أو حتى الحصول على زوجة مستقبليّة يكونان قد عاشا سوياً قصة حبّ تشبه قصص الروايات والأفلام والمسلسلات.

واتكأ على نصف الحائط الإسمنتي القصير، الموازي للطريق المؤدّي إلى إقامة الذكور والمقابل لواجهة باب إقامة الإناث، حيث يستعمله أغلّهم للجلوس والبقاء لساعات هناك لمراقبة تحرّك الطالبات، والذي كانت خلفه ساحة مربعة صغيرة فيها بعض الشجيرات، وفي وسطها مجسّم إسمنتي لكتاب وقلم، صبغ بألوان العلم الوطني الأبيض والأخضر والأحمر، ومن ورائها الطريق الثاني المتّجه مباشرة من البوابة الرئيسة إلى المطعم وإدارة الإقامة، حيث كان يسلكه أولئك الطّلبة المحافظين الذين يتجنّبون الاختلاط، وكان العديد من الطّلبة

يجلسون على هذا الحائط ويتصيّدون مرور الطّالّبات، وأحياناً تجدهم من العشاق أنفسهم، حيث يبقون واقفين مع رفيقاتهم بعض الدّقائِق قبل انتهاء آخر وقت لدخولهنّ، وبالأخصّ إذا كان الوقت ضيقاً والمحدّد بالساعة السادسة مساءً حيث يتجنّبن التّأخّر عن الدخول حتى لا يتعرّضن للمسائلات من حراس الإقامة أو حتّى منعهنّ من الدخول حسب ما يفرضه القانون الدّاخلي لإقامة الطّالّبات، عكس الذّكور الذين تترك لهم حرية الدّخول والخروج في كلّ الأوقات.

بقيا هناك حوالي ساعة من الزّمن بعد الظّهيرة، ثم اتّجها إلى الغرفة لأخذ قسط من الرّاحة، فيبدو أنّ هذا الأسبوع بأكمله سيمرّ هكذا، الدّراسة لن تنطلق مبكّراً ككل عام، بسبب التّأخير الذي يحدث دوماً في التسجيلات بداية كلّ سنة دراسية، فقد أصبح الأمر معتاداً لدى الجميع، حيث أنّ الوزارة تحدّد التّواريخ ولكّتها في الأخير لا تحترم حرفياً في أغلب الجامعات، بسبب الظروف المختلفة وحسب خصوصية كل جامعة ومنطقتها، وأحياناً يصل التّأخير في بعض منها، لقراءة الشهر جراء الإجراءات الإدارية الكثيرة والمعقّدة المفروضة على الطّالب، وأحياناً أخرى بسبب تأخير الامتحانات الاستدراكية، وتصفيّة ديون الطلبة في بعض المواد الدّراسية، لغاية بداية سنة جديدة، خاصة في النظام الجديد الذي طبّقته الوزارة منذ بضع سنوات فقط، ليحلّ

تدرّجيا مكان النظام الكلاسيكي القديم، والتّعطّل في إعلان القوائم التّهائية للناجحين والراسبين، لتصطدم بدخول طلبة السّنوات الأولى واستقبالهم بأبواب مفتوحة تنظم بداية كل سنة للتعريف بمختلف التخصصات المتوفرة بتلك الجامعة وتوفير الظروف الحسنة للسير التدرّجي معهم لغاية تمكّثهم من التّعرف على هذا العالم الذي يعتبر جديداً عليهم، والانتفاء من عمليّات أخرى كالتحويلات الخارجية والداخلية، وإعادة إدماج بعض الطلبة المنقطعين، والذين كانوا في عطل أكاديمية لأسباب تسمح لهم بالعودة لمقاعد الدّراسة من جديد، وكذلك تسوية ملقّات إقامتهم.

فالكثير من الأسباب المتداخلة تجعل الدّخول الجامعي كلّ سنة يتأخّر بدرجات متفاوتة، بالإضافة إلى القوانين والتّغييرات التي تحدّثها الوزارة كلّ عام لتمشي والظروف المتغيّرة التي تحيط بالدّراسة الجامعيّة خاصة إذا عيّن وزيرا جديدا للقطاع.

دخلا إلى الغرفة حيث ارتى محمّد على السّريّر وهو يتأوّه من الطّعام السيّئ.

بينما سحب أمين أحد الكراسي وجلس عليه ثمّ أردف قائلاً؛ لقد كنت أراقب الطّالبات علّني أرى أحد فتيات ثانويّتنا.



ردّ محمد وهو يتثائب ويستلقي على سريرهِ، أنا أعرف أنك تبحث  
عن معشوقتك نورة التي كنت تتودّد إليها أيّام الثّانوية وكنت تذكرها  
قبل لحظات.

أمين: هل تعرف قوّة العلاقة التي كانت تجمعني بها.

محمد: وهل هناك شيء يخفى في تلك القرية الملعونة، لقد كانت  
علاقتكما حديث كلّ تلاميذ الثّانوية، حتّى أنّ بعض الأساتذة  
والمشرفين يعرفون ذلك، وكانوا يطلقون عليكم أنطونيو وكساندرا  
تشبيها بالمسلسل المكسيكي الشهير هميه

أمين وقد احمرّت وجنتاه وكادتا تنفجران: لكن أنطونيو وكساندرا  
كانا يعيشان سوياً، بينما العلاقة بيني ونورة كانت فقط عبر الرّسائل  
وتبادل النّظرات، وبعض اللّقاءات الخاطفة في بعض زوايا حيم  
وحجرات الدراسة لدقائق معدودة، حينما أسلمها أو أخذ منها بعض  
الرسائل وبطاقات المعايدة، إلّا أنّ الجميع يعرف سرّ أغلب العلاقات.

ثم قام من مكانه وصعد ليتمدّد على سريرهِ وهو ينظر إلى السّقف  
الذي كاد أن يلتصق برأسه، إنّنا كنا نعيش في القرية المحرومة، حيث  
جلّ الناس يدّعون التدين والأخلاق علناً، بينما يمارسون العلاقات  
المحرّمة خفية، ويراقبون بعضهم البعض ويحشرون أنوفهم في كلّ

صغيرة وكبيرة، ويشدّهم الفضول للاطلاع حتى على الأشياء التي لا  
تعنيهم.

ثم قطب حاجبيه واستمال على جنبه وهو يطلّ على محمد، وسأله  
قائلاً: ربّما أنا كان ولعي بنورة واضحاً للعيان لكُنْكَ تعدّ من الملتزمين،  
فهل كانت في قلبك فتاة تخفيها عن الجميع؟

سكت محمد قليلاً ثم هبّ من سريره متوجّهاً إلى الشرفة، ثم التفت  
قائلاً وهو يتهمّد؛ الفتاة التي تسكن قلبي... آه... لا يعلمها إلا الله، لقد  
كنت خلال كلّ تلك السنوات أحتفظ بسرّها لنفسِي، وأكتفي بالنظر  
إليها من بعيد ولم أصارحها بحبيّ خلال كلّ تلك الأعوام، ولا أدري الآن  
إن كانت قد نجحت أم رسبت، وأتذكّر أنّي كلّمتها مرة واحدة فقط  
لبضع دقائق في حفلة آخر السنة، وسألتها عن التّخصص الذي  
ستختاره إن نجحت في شهادة البكالوريا، وكان ردّها بأنّها لا تدري، وأنها  
ترجى ذلك لوقته، وعندما أكثرت من الإلحاح عليها ردّت بأنّ الأقرب  
لقلبها دراسة الحقوق، ولا زالت لا تعرف رأي أهلها ماذا يريدون؟، وفي  
لحظة الوداع آخر الحفلة مضيت بها إلى ركن بعيد لأفضي لها بما في  
قلبي، إلّا أنّ لساني جمد على حين غرّة وخرس واعتراني ارتباك ولعلّها  
ما كانت لتفهم ما أقول لو قلت شيئاً، وذهبت دون أن أنبس بكلمة

واحدة ممّا أردت أن أقوله، ثم تنهّد بعمق وهو يفتح باب الشرفة، إنها زهيرة صاحبة الرداء الأسود والتي كانوا يطلقون عليها اسم سالي.

نزل أمين من سريره ولحق به إلى الشرفة، ونظر إليه نظرة استغراب ثم قال في دهشة: زهيرة! إنها فتاة جميلة ومهذبة وقوية الشخصية وذكية جدا، رغم أنها تبدو مازالت طفلة غرة من نواح كثيرة، تلك الفتاة العالية الأخلاق، لا أظن أبداً أنّها ستقبل بإقامة أي نوع من العلاقات، فهي فتاة ملتزمة إلى حدّ بعيد وليست مثل نورة الأكثر تفتّحاً.

محمد: لقد اعتقدت أنّه على الشاب إذا ما عشق فتاة أن يصحّ لها بذلك، وإلا فإنّ حبه لن يثمر ولسوء الحظّ أنت تعرف أنّ في محيطنا المحافظ كان من الصعب جدا التكلم فيه مع أي فتاة بصورة مباشرة تجعلك تبوح لها بكلّ ما يختلج بصدرك، وكلّ علاقاتنا كانت بالإشارات والتلميحات والنظرات والرسائل والتّعبيرات.

أمين وهو يشبك أصابعه وينحني متكلّنا على حائط مقدّمة الشرفة، وأي نتيجة تراه سيثمر؟ علاقة عابرة لا غير.

محمد: لا، لم أفكر أبداً في علاقة عابرة، كما تزعم إنني أحببتها حقاً بكلّ جوارحي.

وصمت الاثنان معًا لبضع دقائق وخيم بعض الهدوء.

ثم سأل محمد، أمين ماذا عليّ أن أفعل إذن؟

فردّ أمين بهدوء: عليك أن تدرس الوضع أولًا قبل أن تغوص في علاقة لا تعلم فيها شعور وإحساس الطرف الآخر، وقد تجد نفسك في علاقة أحاديّة الجانب وتتمرّغ في حلها وحيدًا.

محمد أحس أنّها تبادلتني نفس الشّعور، من خلال العديد من تلميحاتها طيلة أيّام الثانوية.

أمين: ربّما مجرد احتمال فقط، وقد يكون العكس أو أنّها تشفق عليك لا غير.

ووقفوا سويا على شرفة الغرفة، ورفعوا نظريهما إلى شرفات أجنحة الطالبات التي تقابلهما من وراء الملعب الرياضي.

ثم قال: أمين إذا حدث وأن نجحتا أتمنّى منهما اختيار غرفة في الأجنحة المقابلة لنا، حتى نستكمل حلاوة تلك النظرات هممه

واقترب محمد من أمين ببطء، والعرق يتصبّب على جبينه وألقى بيده المرتجفة على كتفه قائلاً؛ ما أتمنّاه حقا أن تسجّل زهيرة بنفس اختصاصي، وأن نكون في نفس الفوج أيضًا، لنكون بالقرب من بعضنا في كلّ الأوقات ونعوّض أيّام الجفاف التي فاتتنا في السّنوات العجاف.

أمين وهو يهيم بالدخول للغرفة من جديد، لقد جلبت معي مسجلاً هل لديك بعض الشرائط؟ ثم دخل مسرعاً وأخرج مسجلاً إذاعياً صغيراً، وكيساً بلاستيكيّاً أسود مليئاً بالشرائط الغنائية، وأفرغه على الطاولة الخشبية التي كانت تتوسط الغرفة وأوصل المسجل بالكهرباء وأخذ يقلّب بين تلك الأشرطة، وتناول أحدها ليدسّه داخل المسجل، وتنبعث منه أغنية الشاب حسني بموسيقاه العاطفية وكلماته الرومانسية.

تبعه محمد وعادوا الجلوس على سريرهم قائلين، إنه مطربي المفضل أيضاً ولديّ تقريباً كل أشرطة الغنائية، ثم نهض وفتح حقيبته داخل الخزانة وأخرج كيساً مليئاً بمختلف الأشرطة متنوّعة الألوان، وأكمل قائلين وهو يمدّها إلى أمين، وفيها كذلك الشاب نصرو، والشاب خالد ومامي وبعض الشرائط الشرقية القديمة لكوكب الشرق أم كلثوم وعبد الحليم، وأخرى لعمرى دياب وكذلك بعض الأشرطة الغربية فأنا أحبّ التنوع أيضاً، وعاد ليتمدّد على سريرهم من جديد بينما أخذ أمين يرتّب تلك الشرائط التي أفرغها من الكيسين على الطاولة ويفصل كلّ لون غنائي عن الآخر.

غاص الاثنان في تفكير عميق، وهما يستمعان لأغنية الشاب حسني مطرب الشباب الأول، أو ملك الأغنية العاطفية كما تطلق عليه وسائل

الإعلام ويلقبه الشباب كذلك، وكان محمد مستلقيا على ظهره فوق سريره مشبكا أصابعه على جبينه وهو يغمض كلتا عينيه، بينما يجلس أمين في مكانه أمام الطاولة وهو يقلّب الأشرطة، وساد هدوء عميق وإذا بطرق خفيف على الباب، رفع محمد رأسه مخاطبًا أمين: أكيد أنهما طالبان جديدان أرسلهما مسؤول الجناح، نهض أمين يفتح الباب متثاقلاً ليتفاجأ بالطّارقين، إنّهما صلاح وسليم أبناء نفس المدينة، لكنّهما من الطلبة القدامى، فصلاح قد سبقهم بسنتين كاملتين بينما سليم له سنة واحدة.

ثم احتضن أمين كلاهما ودخلا إلى الغرفة ووضعاً أغراضهما على الطاولة التي تتوسّط الغرفة.

نهض محمد ببطء من سريره ثمّ فتح ذراعيه وهو يضمّ كلاهما إلى صدره معاً، وراح يقول بصوت أجش وهو يلفظ كل كلمة على حدى بصورة شديدة الوضوح، أجمل شيء هو اللقاء دون موعد، خير ما فعله مسؤول الجناح، يبدو أنّه يجمع أبناء كلّ مدينة في غرفة واحدة ومتقاربة.

ردّ صلاح وهو ينزع سترته الرمادية ويرميها على أقرب سرير، نعم إن عمي بلقاسم مسؤول الجناح خبير في عمله الطّويل، ويفعل ذلك لأنّه يعرف أنّ أبناء كل مدينة أغلبهم يعرفون بعضهم البعض، وأنّ سكان

نفس المناطق يتقاربون في العادات والتقاليد، ويكونون أكثر انسجامًا معًا، وبذلك يتجنّب الكثير من المشاحنات التي تقع بين الطّلاب، وكذلك يتحاشى الطلبات الكثيرة والمتكرّرة لتغيير الغرف من الطلبة إذا اصطدموا بآخرين لا يعرفونهم ولا يروقون لهم.

وقاطعه سليم بصوت فظ وهو يسحب أحد الكراسي للجلوس، إنّه محقّ في ذلك فعمله الطويل في الميدان جعله يطوعه حسب الظروف، وأكمل كلامه وهو يشملهم بنظرة مبتسمًا وبسخرية: لا تنسوا أنّها غرفتنا قبلكم، وأرسلكما معنا لأنّكما من نفس بلدتنا ولحسن حظّنا سعدنا بانضمامكما لنا.

نهض صلاح وسليم ليرتّبا أغراضهما، في الخزانة المقابلة للسّيرين المتواجدين بجانب زاوية الباب، وكانت تلك الموسيقى العاطفيّة للشباب حسني لازالت تنبعث من المسجل.

بينما محمد وأمين ارتميا على سريرهما من جديد.

كان يبدو أنّ الجميع يعرف بعضهم البعض، فبلدتهم الصغيرة تجعل من المستحيل أن يعيش فيها شخص ويبقى مجهولاً لدى البعض الآخر، حتّى إن سكن فيها شخص غريب فإنهم سرعان ما يعرفون عنه كلّ صغيرة وكبيرة.

صلاح هذا الشاب الأبيض الوسيم قويّ البنية، ذو العينين الخضراوين والشعر الأشقر الأملس، والوجه الأبيض المحمرّ والأنف الطويل، عرف عنه أنّه شاب رياضي يمارس رياضة كمال الأجسام، وقد شارك في عدّة بطولات ودورات محلية، لكنّه لم يفز بأيّ منها ماعدا بطولة الثانوية أيامَ كان تلميذًا فيها، وحصل على المرتبة الرابعة في السنة الماضية بالجامعة، وهو لا زال في السنة الأولى بعد رسوبه لسنتين متتاليتين بقسم علم الفيزياء والكيمياء، والآن ينشط في المنظّمة الطلابية الحرة باللجنة الرياضية، التي تعنى بتنظيم بعض المنافسات الرياضية في المناسبات الرسمية الوطنية والدينية.

أما سليم فهو شاب سمين مدور الرأس ملأت جسمه الشحوم، وعرف عنه ولعه بالفنون، من الرّسم والموسيقى والمسرح، وهو ينشط في اللجنة الثقافية بنفس المنظّمة، التي تعنى بتنظيم بعض الحفلات أيضا في شتى المناسبات، بالتزامن مع التظاهرات الرياضية، التي تنظّمها اللّجنة الرّياضيّة لنفس المنظّمة، وعادة ما تكون آخر حفلة لتسليم الجوائز والهدايا للفائزين، وقد رسب هو الآخر في سنته الأولى باختصاص العلوم الإنسانية والاجتماعية.



وبعدما رتب صلاح وسليم أغراضهما، تمددا هما الآخران على سريريهما ثم نطق سليم قائلاً: إنه يوم عسير، فما أن تكمل الإجراءات الإدارية حتى تجد نفسك منهكا ولا تستطيع النهوض.

صلاح مبتسماً: نحن اعتدنا على ذلك وصرنا مخضرمين، أما أنتما لزال العذاب سيلحق بكما إلى أن تعتادا عليه، وتصبح الأمور مألوفة بالنسبة لكما، قال ذلك واسترسل ضاحكاً ههه

رد أمين مغمض عينيه بشدة: لا عليك ليس هناك عذاب أشد مما كنا نعيشه في تلك البلدة المشؤومة.

وشاطره محمد الرأي قائلاً: مهما كانت الحياة سيئة تملؤها السلاالم والطواير والوثائق الإدارية التي لا تنتهي لن تكون أكثر سوءاً من العيش في تلك القرية المشؤومة التي تقع وسط زوبعة من الغبار ههه

مر ذلك الأسبوع روتينياً أيامه متشابهة، لا تختلف كثيراً عن بعضها.

وكان الأولاد ينهضون من نومهم متأخرين، قبل الظهيرة بقليل ويتوجهون إلى المطعم المركزي، لتناول وجبة الغداء حيث كانت جلها متشابهة، ما عدا بعض التغيرات البسيطة حيث يستبدلون أحياناً حساء العدس بحساء اللوبيا، أو الحمص وبعض العجائن، والبيضتين بحبتي جبن رديء، أو الخس بالبنجر السكري المسلوق، وكانت وجبة

العشاء كذلك لا فرق بينها وسابقتها، وكانت عطلة الأسبوع يوم الجمعة، يقدّمون لهم طبق الكسكسي التقليدي وعليه قطعة من لحم البقر، كأنها لحم حمير من شدة خشونتها وقسوتها.

وكانوا أثناء ساعات آخر المساء يمكثون أحياناً على الحائط الصّغير المقابل لإقامة الطالبات يتمتعون أنظارهم، بمختلف الألوان الزاهية التي ترتديها الفتيات، وهم يتصيّدون أمواج الطّالبات اللواتي يدخلن ويغادرن إقامة الطالبات، علّهم يلتقون بأحد عشيقاتهم القديّمات ليعيدوا إحياء أحلى الذكريات، أو يظفرون بالتّعرف على فتاة جديدة تدخل في قاموس الحبيبات.

وأحياناً أخرى يجلسون متجمّعين في نادي الطلبة، الملاصق للمطعم المركزي حيث يتناولون أكواباً من القهوة والشّاي، ويلعبون الورق أو الدومينو لعدة ساعات، ويحدث ذلك في المجمل مساءً بعد تناول وجبة العشاء، والحق أن صلاح كان مفتونا بلعب الدومينو، وهذا هو السبب في كثير من المشاجرات المزعجة التي وقعت بينه وبين زملائه في السّنوات السّابقة، وكان ممّا يزيد الأمر سوءاً أن يخسر في اللّعب دائماً لأنّه كان حساس الوجدان ومرهف الضمير ولا يحبّ الخسارة ولا يتقبلها، ومن أجل ذلك كان في كثير من الأحيان حزين النّفس.

على عكس سليم الذي كان هادئاً ولا يتحير له بال سواء فاز أو خسر.

أما محمد وأمين لم يكونا ماهرين في اللعب كفاية، لأنه لم تكن من هوايتهما تمضية الوقت بهذا الشكل، فقط ربّما الروتين الجامعي القادم سيجعلهما يعتادان على تمضية بعض الوقت بتلك الطريقة إذا لم تكن لهما انشغالات مغايرة، ولم يمارسوا هوايات أخرى بعد الدّراسة والمراجعة، ففي هذه الجامعة لا فرق بين أن تستيقظ باكراً أو أن تقوم متأخراً أو أن لا تنهض أبداً.

ومع بداية الأسبوع الثاني اتّجه الأولاد إلى كليّاتهم ومصالح التدريس بأقسامهم المسجلين فيها للاطلاع على مخططات استعمال الزمن وتوزيع المواد وقوائم الأفواج الدراسية، وأرقام الحجرات والمدرجات التي سيزاولون فيها الدراسة طيلة السّنة، وحتى الاطلاع على أسماء الأساتذة الذين سيلقنونهم المحاضرات بالمدرجات أو الأعمال الموجّهة بالقاعات كذلك، حيث ذهب صلاح إلى قسم الفيزياء والكيمياء، فهو راسب لسنتين وله الخبرة الكافية لذلك، بينما اتّجه سليم إلى قسم العلوم الإنسانية والاجتماعيّة.

أما محمد وأمين فكانت وجهتهما كلية الحقوق والعلوم السياسيّة.

كان يوماً مشمساً ومعتدلاً، حيث وقف محمد وأمين أمام عمادة كليّتهم، التي كانت في آخر السّاحة المركزية على الجانب الأيمن من البرج الزجاجي لرئاسة الجامعة، حيث مقرّ الرئيس المدير العام للجامعة كما يحبّ أن يطلق عليه ونواب الرئيس والأمين العام للجامعة، ومختلف الهيئات الإدارية المركزية، وخلف عمادة كلية الحقوق تتوزّع حجرات الدّراسة والمدرجات للكلية نفسها.

وقف محمد وأمين يتفحصان تلك اللوحة التّوجيهية الكبيرة التي علّقت على مدخل العمادة، وقد وضّح فيها مختلف الاتّجاهات التي يتشكل منها برج عمادة الكلية، فهي من أربعة طوابق، الطابق السفلي منها لرؤساء الأقسام ومصالح التدريس التي تتبعهم، والطّابق الثّاني للأمانة العامة ومصالحها الإدارية، والطابق الثالث لنواب العميد ورئيس المجلس العلمي، ومصالح طور الدكتوراه، أما الطابق الرابع فهو بأكمله لعميد الكلية، وما يتبعه من مصالح إدارية.

دخل محمد وأمين إلى مصلحة التدريس لقسم الحقوق، وهم يبحثون عن أسمائهم في مختلف الإعلانات المعلقة على الجدار الجانبي للمصلحة، واندمجا وسط تلك المجموعة الطّلابية المتجمّعة أمام باب مصلحة التدريس، وأخذوا يبحثان عن أسمائهم في قوائم الأفواج.

محمد: انظر إنّنا في الفوج الخامس، هذا اسمي هناك وأنت بعدي بأربعة أسماء.

أمين: أه صحيح أنت الرقم سبعة وأنا الرقم إحدى عشرة.

ثم فتح عينيه مقطبًا حاجبيه كأنّه لا يصدق ما تراه عيناه، يا إلهي هل رأيت من معنا في نفس المجموعة؟

محمد: أه... زهيرة الرقم الثاني والعشرين، ونورة أيضًا الرقم الخامس والثلاثين.

أمين: القسم بأكمله يحوي حوالي خمسة وأربعين طالبًا وهناك عشرة أفواج كاملة في دفعة هذه السنة التي تحتوي على أربعمئة وستة وسبعين طالبًا.

محمد وهو يأخذ نفسًا عميقًا، وابتسم ابتسامة عريضة كأنّه عثر على كنز مفقود، وتبدو على محيّاها فرحة لا توصف، قائلاً: أكيد أنه عدد هائل من الطلبة، لكن الشيء الذي أفرحني وأثلج صدري نجاح كلّ من زهيرة ونورة، وتواجهما بنفس الاختصاص، لا بل في نفس الفوج أيضًا، أنا سعيد جدًّا بذلك.

أمين: هيّا لندخل إلى مصلحة التدريس، ونسأل عن موعد انطلاق الدّروس والمحاضرات.

محمد: صحيح، لقد نسينا أنفسنا.

كانت المصلحة عبارة عن صالة فسيحة، قسمت عرضياً إلى نصفين بسور إسمنتي قصير، كان أعلاه مسطحاً وعريضاً كأنه هُيئ على شكل مكتب استقبال، وكان وراءه ثلاثة مكاتب صغيرة متفرقة، ووراء كل مكتب خزانتيْن إحداها صنع من خشب أبيض قديم، والأخرى من حديد رمادي اللون رديء خفيف تآكل أسفله من الصديد، وكانت أغلبها دون أبواب، وتكدّست عن آخرها بعلب كرتونية امتلأت بالملفات وعلى المكاتب والطاولات ملفات مبعثرة هنا وهناك، وكان هناك موظفين مهمكين في العمل على المكتبين الجانبيين، وكانت تجلس بينهما في المكتب الأوسط تلك الموظفة التي سجلتهما في أوّل يوم قدّما فيه إلى الجامعة، ويبدو أنّها هي رئيسة مصلحة التدريس بقسم الحقوق والعلوم القانونية، ولكنها تنتقل بداية كلّ سنة دراسية إلى مصلحة التدريس المركزية برئاسة الجامعة، حيث بداية كلّ سنة جامعية التسجيلات الأولية العامة للطلبة الجدد، حيث تجمّع فيها كلّ الاختصاصات تحت إشراف نائب رئيس الجامعة شخصياً، وتدوم تلك التسجيلات الجامعية لأسبوع كامل، وأحياناً تمّدّد لأيام أو حتى لأسبوع آخر، وتسخر فيها كلّ الإمكانيات لإنجاحها وتغطّيها الصحافة المحلية

وتبث عبر أثر الإذاعة المحليّة وأحيانا القنوات الوطنية أيضًا، وينزل رئيس الجامعة شخصيًّا لإعلان افتتاحها.

رفعت تلك الموظّفة السمرء معتدلة القوام، ذات الوجه البيضاوي المستدير والعينين العسلّيتين رأسها، والتي كانت تضع وشاحًا يغطّي نصف رأسها ويتدلّى تحته شعرها الأملس القسطلّي ثم نطقت... تفضّلًا...

أمين: جئنا فقط نسأل عن موعد انطلاق الدّراسة؟

الموظّفة: ستنطلق هذا السبت إن شاء الله، وستعلّق قوائم استعمال الزّمن لمختلف الأفواج لاحقًا.

محمد: آنسة، فقاطعته مباشرة: أنا مدام نوال رئيسة المصلحة هكذا تستطيع مناداتي من فضلك.

محمد: آسف لا أعرف ذلك، لكنّي أردت فقط أن أسأل عن التخصص، هل يكون في السنة الأولى مباشرة؟

مدام نوال: لا التخصص فقط في الطور الثاني، أما في الطور الأوّل لسنوات الليسانس الثلاث، فالجميع يدرس جذعًا مشتركًا، ثم فتحت ذراعها مشيرة بكلي يديها، إحداها نحو اليمين والأخرى نحو اليسار، وهي تفتح كفّهما وأكملت كلامها قائلةً؛ ما دمت قد وجّهت سؤالك

وكتوضيح لكما، فالمكتب الذي على يميني مخصّص للطور الأول  
الليسانس ويسيره زميلي أنور، وفي نفس اللحظة رفع ذلك الموظف  
الشاب رأسه مبتسما وهو ينظر إليهما، وهذا الذي على يساري  
مخصّص للطور الثاني الماستر ويسيره زميلي وليد، أمّا هذا الأخير فلم  
يحرّك ساكنًا وكان يبدو مشغولًا بالملفات، ثم ضمّت كلتي يديها إلى  
صدرها وكفّاهما مفتوحان، وكلاهما يجتمعان لديّ أنا رئيسة المصلحة،  
قالت ذلك وهي ترمش بعينيها وتميل برأسها نحو اليمين زاهية بنفسها.

محمد وهو يهيمّ بالمغادرة: شكرًا لك.

وتبعه أمين وأثناء وصولهما للبوابة استوقفهما البواب قائلاً: كيف  
اجتزتما؟

أمين: لم نجد أحدًا في الباب فدخلنا مباشرة.

البواب: كان عليكما الانتظار هنا لغاية عودتي، فقد أدخلت بعض  
الرسائل لأمانة رئيس القسم في لحظة وعدت وكان عليّ تسجيلكما في  
دفتر الزيارات.

محمد: لا عليك، نحن طلبة جدد ولا نعلم بهذه الإجراءات وفي المرة  
القادمة سنلتزم بذلك.



البواب... نعم... ما دمتما جديدين ستعتادان على ذلك مع الأيام، لكن في المرة القادمة لا تدخلان حتى أسجلكما في دفتر الزيارات، فهذا في مصلحتكما قبل كل شيء.

إنّه عي علي البواب كما يحلو للجميع بمناداته، الذي اجتاز ربع قرن من العمل في هذا المكان، ولم يتبقّ له الكثير على التقاعد، وهو جدّي في عمله لأقصى الحدود، والجميع يحترمه لكبر سنّه، وأقدميته الطويلة في العمل.

فقد مرّت عليه دفعات كثيرة عبر السنين الماضية، وقد تغيّر الكثير في هذا المكان ما عداه هو الذي بقي راسخاً هنا، حتى في حالات التحويل الإجباري، التي تحدث بين الفينة والأخرى لنقل الموظفين والعمال وتدويرهم على النيابات والكليات والمصالح، فعي علي لا يُمسّ من أيّ كان احتراماً وتقديراً لمكانته، حتى وإن تغيّر المسؤولون يبقى عي علي في مكانه المعهود دون تغيير.

كما يتمتّع أيضاً ببعض التفوذ لدى رئيس القسم، ففي الكثير من الأحيان يقصده بعض الطلبة للتدخل لفض بعض المشاكل التي تعترضهم، خاصة عند تغيير الطلبة لرغباتهم، والتحويلات بين الأفواج والاختصاصات والأقسام، التي تحدث عادة بداية كلّ سنة دراسية، وعند تعرّض بعض الطلبة لعقوبات إدارية أيضاً، وحتى لزيادة بعض

النقاط التي تنقصهم لاجتياز السنوات، فيقصدون عبي علي للتدخل لدى رئيس القسم والأساتذة ورئيسة المصلحة، وكثيرا ما يأتي أغلب ذلك أكله.

اتجهوا إلى قلب الساحة الكبرى، في عملية لاستكشاف أغوار الحرم الجامعي، وأثناء الطريق التقيا بصلاح وسليم العارفين بكل صغيرة وكبيرة في الجامعة.

صلاح وهو يرتب بيده على كتف محمد، سنقوم بجولة وسأعرفكما بأغلب المنشآت هنا، فالحرم الجامعي كبير ويمتد لأكثر من خمس هكتارات كاملة، وقسم لجزأين، الجهة الأولى حيث كنا البارحة خاصة بالخدمات الجامعية، وقد تعرفتما عليها وتشكل من إقامتين للذكور والإناث، والمطعم المركزي ونادي الطلبة والإدارة الخاصة بالخدمات الجامعية برمتها، وهذه الجهة الثانية حيث نتواجد فيها الآن خصّصت فقط للجانب البيداغوجي، حيث يدرس الطلبة ويمارسون نشاطاتهم العلمية، وتشكل من رئاسة الجامعة وأشار بيده لذلك البرج الزجاجي العالي، وقاعة المحاضرات الكبرى، والكليات والمعاهد والمخابر العلمية الخاصة بها.

وعند اقترابهم من رئاسة الجامعة، ظهرت بفخامتها المختلفة عن بقية مباني الجامعة من الكليات والإدارات الأخرى، وكان موقف

سياراتها أكبر حجمًا وتنظيمًا، وتصطفّ فيه أغلى وأفخم المركبات، سواء تلك التي هي ملك للجامعة نفسها، أو ملك خاص لمسؤوليها وموظفيها، وكانت لها بوابة خاصة، ولا يستطيع بقية الأساتذة والموظفين والعمال من غير العاملين داخلها ركن سياراتهم فيه، فقد خصّص فقط لرئيس الجامعة ونواب المدير والأمين العام للجامعة، والمدراء الفرعيين ورؤساء المصالح المركزيين العاملين في رئاسة الجامعة، دون غيرهم وكان يقابلها حديقة صغيرة، تتوسطها نافورة مياه على شكل جرة مائلة، تسيل من فيها المياه، وكان على بوابة البرج عدّة حراس وأعوان أمن واستقبال، يمنعون الطلبة والزوار من الدخول إليها، إلا بعد تقديم سبب كافٍ للزيارة، ويمرّ الزائرون لرئاسة الجامعة بعدد الإجراءات ينفذها حراس الأمن وأعوان الأمن ومكتب الاستقبال.

انهر الأولاد... بالفخامة التي كانت تتمتع بها رئاسة الجامعة دون غيرها، وبإحاطتها بالعناية الشديدة حيث تبدو كأنها قصر ملكي، ومرّوا بجانبها متّجهين إلى الجهة العلوية حيث تقع الكليات الأخرى، التي كانت تتباعد عن بعضها البعض، وتبدو أقلّ تنظيمًا وعناية من رئاسة الجامعة، وكان يقع على الجهة اليمنى منهم قاعة المحاضرات الكبرى، حيث تقام جلّ النشاطات لتغطية المناسبات الدينية والوطنية

والطلابية، ومختلف التّظاهرات العلمية والثقافية، ويقام عادة افتتاح واختتام السّنوات الجامعية، وتوقع اتّفاقيات التّعاون والعلاقات الخارجية مع بقية المؤسسات الجامعية والشركات الاقتصادية، وتستدعى فيها أعلى الهيئات الرسمية والشخصيات المحلية والوطنية.

وكانوا كلّما مروا على كلية أو مبنى أو شيء من هذا القبيل، إلا وشرح لهم صلاح أدق تفاصيله، ولم يشعروا بأنفسهم إلا والساعة تشير إلى الرابعة بعد العصر، ثم عادوا لغرفتهم وقد أنهكهم التّعب، وارتموا على أسرّتهم، ليأخذوا قسطا من الراحة في انتظار وجبة العشاء، التي كانت تقدم لهم بعد المغرب وكثيرا ما كانوا يمرّون بنادي الطلبة لاحتساء فناجين شاي وقهوة وتمضية بعض الوقت في ألعاب الدومينو والورق حيث ينسون أنفسهم في غالب الأحيان إلى منتصف الليل.

ومرّت تلك الأيام الأولى قبل انطلاق الدراسة الفعلية بهذا الروتين، ومع انطلاقها تغيّر كلّ ذلك، حيث كانوا يذهبون معًا كلّ صباح إلى مقاعد الدراسة، وما يلبثوا أن يتفرّقوا بعد ذلك، حيث يتوجّه صالح إلى كلية الفيزياء والكيمياء، وسليم إلى كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، بينما يلتحق محمد وأمين بكلية الحقوق والعلوم السياسية.

كان أول يوم في الدراسة بالنسبة لمحمد وأمين يومًا مميزًا، وكانت حصّة الأعمال الموجهة الأولى في تاريخ النظم القانونية، وبحضور أغلب الطلبة وأستاذ المادة الذي كان لا يزال شابًا فتيًا، وقد تجاوز الثلاثين من عمره بقليل، إنّه الدكتور عز الدين والذي عرف عنه التواضع وقربه من الطلبة، ولم يكن بمثابة الأستاذ فقط، بل كان أيضًا بمثابة الصديق والأخ الأكبر لجميع طلبته وبالأخصّ الذين يطلبون مساعدته حيث كان يوجههم ويسدي لهم النصح والمعونة، وهذا ليس فقط في المجال الدّراسي فحسب، بل كانوا يفضون له بأسرارهم الخاصة أيضًا، ويساعدهم في تجاوز العقبات التي تعترض طريقهم، وكان أنيقًا حسن المظهر يرتدي بدلات كلاسيكية متنوّعة، ومعتدل الجسم وحليق الشّعر، ولا تغيب نظّارته الطبية عن وجهه، وساعته المميّزة ذات الماركة العالميّة ومحفظته الجلدية ذات اللون البني عن يده، وكان دائم الابتسامة وذا أخلاق عالية ورفيعة.

بعد دخول أغلب الطلبة إلى حجرة الدراسة، وضع الأستاذ محفظته الجلدية على المكتب، ووقف على المصطبة أمام السبورة وهو يشمل الجميع بنظرته الهادئة، إلى أن صمت كلّ من في القاعة من الوشوشة، وشدّوا أنظارهم إليه.

الأستاذ عز الدين: السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ومرحبا بكم جميعا في الجامعة، وفي حصّتي بمقياس تاريخ النظم القانونية، والذي ستتعرفون من خلاله على القانون بصفة عامة وتاريخ نشأته، ومراحل تطوره لدى مختلف الأمم واختلافاته، وستبنون القاعدة العلميّة للولوج لبقية المواد والمقاييس إن شاء الله، ثم سحب كرسي المكتب وجلس وهو لا يزال يشمل الجميع بنظرته الهادئة الرزينة، ويوزّعها على مختلف وجوه المتواجدين بالقاعة، سأعرّفكم بنفسي، أنا الأستاذ عز الدين دكتور في القانون العام، ومتخرّج من جامعة العاصمة، وسأكون لكم بمثابة الأستاذ والأخ والصديق، ولا تستحوا مني في أيّ شيء ومرحبا بالجميع، فقط ما أودّه منكم هو الاجتهاد والانضباط في الدراسة داخل القسم وخارجه، والاحترام المتبادل بيننا، وستجدون كلّ ما تتمنّون بإذن الله، ثم رفع كفه اليمنى مشيراً لطالبتين كانتا تجلسان في الطاولة الأولى المقابلة له في الصف، تستطيعان الآن التعريف بأنفسكما، تفضّلا.

بعدما عرّف جميع الطلبة بأنفسهم وضع الأستاذ عز الدين ورقة وقلماً على الطاولة الأولى، وطلب منهم تدوين أسمائهم وألقابهم وتواريخ وأماكن ازديادهم، وبعدما انتهوا من ذلك أخذ يتأمّل تلك الورقة، ثمّ هزّ رأسه قائلاً؛ من لديه سؤال يتفضّل؟

رفعت إحدى الطالبات يدها.

الأستاذ: تفضلي.

الطالبة: فيما يخص الحضور هل هو إجباري في جميع المقاييس؟

الأستاذ: المقاييس مقسمة إلى نوعين محاضرات تلقى في المدرجات، وتخص جميع طلبة الدفعة للسنة وحضورها ليس إجباريا، وأعمال موجهة تدرس في القاعات مثل مقياسي هذا والحضور فيها إجباري على جميع الطلبة، وهي أربعة مقاييس فقط، وتوالت أسئلة بعض الطلبة، وكان الأستاذ يجيبهم بصدر رحب، ويشرح ويوضح لهم وينزع عنهم كلُّ لُبس.

اختار محمد وأمين طاولة في آخر الصف الثالث، وظلا صامتين طوال الحصة، وكانا يتبادلان النظرات مع نورة وزهيرة اللتان اختارتا طاولة في آخر الصف الأول، وقد غمرتهم السعادة والفرح من خلال هذه الصدفة التي جمعتهم من جديد، وزرعت تلك الابتسامات على محياهم، وهم يرشقون بعضهم البعض بعدد النظرات المتتالية كلما سنحت لهم الفرصة بذلك.

انتهى وقت الحصة الأولى سريعا، وهذا بفضل خفة دم الأستاذ عز الدين وحلاوة لسانه، وتواضعه وانسجامه مع طلبته.

لم يحضر أستاذ الحصّة الثانية، وبقي الطلبة جالسين في أماكنهم، ولم يغادروا القاعة لأكثر من ربع ساعة، وزادت وشوشة الكلام فيما بينهم، وارتفعت إلى أن صارت نوعاً من الضجيج.

نهض محمد وأمين واتّجها مباشرة للطاولة التي كانت تجلس فيها زهيرة ونورة.

وبادر أمين بالقول: صباح الخير، مبروك عليكمم النّجاح.

ثمّ أكمل محمد الكلام بصوت خافت لا يكاد يسمع وعيناه تلمعان ببريق عجيب كأنّه إلهام، وكان يبدو على وجهه نوع من الحياء قائلاً؛ سعدنا بلقائكمم، إنّها صدفة عجيبة أن نلتقي جميعنا بنفس الاختصاص والفوج أيضاً.

نظرت البنّتان إلى بعضهما البعض، ثم أعادتا النّظر إلى محمد وأمين، وهما يتبسّمان ابتسامة عريضة بنفس الوقت، ثم نطقت نورة بسرعة، أكيد صدفة عجيبة وجميلة أن يجتمع أبناء وبنات نفس الثانوية والبلدة في اختصاص واحد.

أما زهيرة فقد احمرّ وجهها حتى أصبح بلون الجمر، ثم أخفضت عينها إلى الأرض، ولم تنطق ببنت شفة.



وما هي إلا لحظات حتى دخل أحد الحراس إلى القاعة، وأمر الطلبة بمغادرتها إلى الساحة الخارجية، لأن أستاذ المادة لم يحضر.

غادر جميع الطلبة الحجرة، فالقانون الداخلي الذي كتب في الإعلانات الكثيرة المعلقة في اللوحات الموجودة على واجهات الجدران الأمامية للمدرجات والقاعات، لا يسمح للطلبة بالمكوث داخل المدرجات وقاعات التدريس خارج أوقات الدراسة، حيث يتوجه أغلب الطلبة إلى المكتبة للمطالعة أو نادي الطلبة، أو يتسكعون في ساحات الكليات أثناء ساعات الفراغ، أما الطلبة المقيمون فأغلبهم يعودون لغرفهم لنيل قسط من الراحة، مستغلين قرب الإقامة الداخلية والتصاقها بالأجنحة البيداغوجية للكليات والمعاهد حيث يدرسون.

خرج محمد وأمين مباشرة متوجهين إلى غرفتهما، فعادة في بداية السنة لا يحضر أغلب الأساتذة، كما هو الحال هذا المساء، فالدراسة صباحية فقط بالنسبة لفوجهما، وكان جلّ حديثهما أثناء الطريق تعبيراً عن فرحتهما وبهجتهم بلقاء زميلتهما.

أمّا زهيرة ونورة فقد مرّتا في طريقهما بنادي الطلبة، حيث اقتنتا بعض الأقلام والأوراق والكراريس وما ينقصهنّ من مستلزمات الدراسة، ودخلتا سريعاً إلى الإقامة، وتوجّهتا مباشرة إلى غرفتهن حيث كانت في الجناح (د) والذي يقع على نفس واجهة إقامة الذكور، وكان لا

يفصل بينهما إلا الجدار المحيط بإقامة الطالبات، وتلك الأشجار المصطقة على جانبه، والملعب الرياضي للذكور، ولم تكونا تدریان أن غرفتهما مقابلة تماما لغرفة محمد وأمين، فمسؤولة الجناح أيضًا تستعمل جلّ خبرتها، في تهيئة الجو المناسب العام، الذي يوفر الراحة والسكينة للطالبات، ويجنّبها المشاحنات والمشادات وسوء التفاهم الذي يحدث بين الطالبات إذا كان هناك اختلاف كبير بينهما في العادات والتقاليد والثقافات، لذلك حجزت لزهيرة ونورة نفس الغرفة، رفقة طالبتين أخريين من نفس البلدة.

كانت زهيرة فتاة جميلة بيضاء البشرة كالثلج، ووجهها بيضاوي مستدير كأنه القمر، وعيناها واسعتين سوداوين برّاقتين ليس فیهما شيء، وشعرها ناعم مبعثر على الرأس بخصلات كثيفة كأموّج البحر، وأضفت عليها رزانتها وسكونها وحيائها الكثير من الوقار والهيبة التي تفتقدها الكثير من الفتيات الثائرات، ولها نظرة خرساء كأنّها لغز، إنّ نظرتها هي التي تجلب الانتباه، هي نظرة يلمع فيها ذكاء حادّ ويشيع فيها الرّيب والتّحدي في الوقت نفسه.

على عكس نورة التي كانت نحيفة رقيقة العود، ووجهها مائل للصفرة، وشعرها أشقر متدلي على كتفها، وعيناها زرقاوان بلون السماء، كانت تشبه في مظهرها كثيرا الأوروبيات، وكانت أكثر ثرثرة

وتسرّعا واندفاعا وجراً من زميلتها، حتى أنها كانت تجد نفسها في العديد من المرات قد أقحمت نفسها في أشياء لا تعنيها من قريب أو بعيد، وهذا يرجع كذلك لشدة الفضول، الذي كان ينتابها دوما لمعرفة كلّ ما يدور حولها وكلّ جديد.

مرّ الأسبوعان الأوّلان تقرّيباً على هذا النحو، حيث كان الأساتذة يلتحقون تدريجياً، كما يلتحق بعض الطلبة المتأخرين في التسجيل أيضاً بالصّفوف، لأسباب تتعلّق بتحويلات من اختصاصات مختلفة داخلية وخارجية أيضاً، أو حتّى بعض الطلبة الراسبين والمتخلّين عن الدراسة في العام الماضي، والذين كانوا في عطل أكاديمية وأعيد إدماجهم من جديد.

وهكذا كان الحال بالنسبة للأولاد، على نفس النحو من روتينهم اليومي، الذي بدأوا الاعتياد عليه، فكانوا يلتحقون بحجرات الدراسة وبمدرجات المحاضرات حسب الاستعمال الزمني الخاص بفوجهم، ويتوجّهون للمطعم المركزي لتناول وجباتهم في أوقاتها، وأحياناً يمكثون داخل مكتبة المطالعة، أو يبقون يتسكّعون في ساحة الكلية والإقامة، وفي آخر المساء بعد تناول وجبة العشاء كانوا يفضّلون البقاء في نادي الطلبة، للعب الورق والدومينو والاستماع إلى الأخبار، عبر التلفزة الوحيدة التي كانت متواجدة على مستوى الإقامة، والتي علّقت داخل

مقهى النادي لمتابعة الأخبار أو بعض المباريات الرياضية التي كانت تبث في سهرات نهاية الأسبوع.

أما البنات فكنّ يقضين يومهنّ في المكوث بغرفهن، ولا يغادرن إلا لتناول وجبات الغداء والعشاء، أو للتوجه لحجرات الدراسة والمدرجات، أو الجلوس داخل مكتبة المطالعة لبعض الوقت، أو النادي الداخلي المخصص لإقامة الطالبات.

وفي الأسبوع الثالث بعد التحاق أغلب الطلبة وجلّ الأساتذة، وأخذ المنحى الدراسي يأخذ طابع الجدية في كل المواد، وبدأ الطلبة يتلقّون الدّروس المكثفة تدريجيا في مختلف المقاييس، وتقديم الواجبات التي كانت تفرض عليهم من طرف أساتذتهم، ومع توالي أيام وأسابيع الفصل الدراسي الأول، بدأت تتضح عوالم الطلبة المجتهدين، والمتكاسلين وغير المباليين، وبدأ نبوغ محمد ومهارة نورة يظهران في أغلب المقاييس، بينما كان أمين يتفوّق أكثر في الاقتصاد والمنهجية، أما زهيرة فكانت لها الكلمة العليا في اللّغات الأجنبية.

لكن من الإشكاليات التي كانت تحدث داخل الجامعة أنّ الكثير من الأساتذة لم يكونوا مهتمّين كثيرا بتفوق الطلبة، بقدر اهتمامهم بالمظهر الخارجي للطلاب وجنسه ومكانته الاجتماعية، وكان من الصّعب جدا لأي طالب لا يملك تلك المقوّمات أن يلفت انتباههم أو

يؤثر فهمهم، بل بالعكس كانوا يعدّون ذلك النّوع من الطلبة مزعجين ومن المبالغين في الاهتمام بالدّروس، ويفضّلون الطلبة الهادئين الساكنين الذين لا يهتمّون كثيرا، إلا القلة من الأساتذة الذين كانوا يهتمّون بالمجتهدين ويولونهم مكانة عالية، ويميّزونها عن غيرهم، ومن هؤلاء الأستاذ عز الدين، وأستاذة أخرى لمقياس القانون الإداري تدعى الدكتورة حفيظة، والتي كانت هي أيضا على نفس مستوى زميلها الدكتور عز الدين من رفعة للأخلاق، ومظهر طيب ينمّ عن الهمة العالية في النّفس والهيبة في العلم والوقار، وكان أغلب الطّلبة يقدّرونها هي الأخرى ويرونها بمكانة الأخت الكبرى التي يلجؤون إليها وقت الحاجة.

كان محمد أكثر تميّزا عن الجميع، وكان يهبر الأساتذة في نبوغه وسرعة بدهته في شتى مقاييس القانون، كالقانون الإداري والدستوري وتاريخ النظم القانونية والمدخل العام لدراسة القانون، وكانت له قدرة رهيبة على حفظ المواد القانونية بأرقامها وتواريخ صدورها، والمراسيم التي جاءت فيها، وحتى بعض التعديلات التي أتت عليها، وأظهر الكثير من الالتزام بالدراسة وحلّ الواجبات والاندفاع الشّديد والرّغبة في التعلّم واكتساب المعرفة السريعة، حيث أنّه بنى قاعدة علميّة قانونية في ظرف وجيز تمكنه من الغوص في أعماق هذا

العلم الواسع من جهة، وتفتح له آفاق تطبيقه في الحياة العامة من جهة أخرى، وقد اجتاز اختبارات الفصل الأول بتفوّق منقطع النظير، جعله في مكانة علمية متقدّمة كثيرًا عن بقيّة زملائه وأصدقائه الآخرين.

حتّى أن غرفته راحت تسترعي انتباه الطّلبة في ذلك الجناح، وطفق الطلبة وحتّى بعض العمال إذا لحق بهم أي جور أو ظلم أو إجحاف، يلتجئون إلى محمد، ليسألوه عن الحلول القانونية والإدارية التي يجب أن يتّبعوها لاستعادة حقوقهم دون أن يسقطوا في فخّ التعدي على القانون، أو يعرّضوا أنفسهم للحساب والمسائلات والسقوط في فخ العقوبات التأديبيّة، وكان هو يناقش المواضيع معهم، ويرشدهم للطرق والسّبل الصحيحة، وإذا استعصى عليه أمر يستشير أحد الأستاذين القريبين إلى قلبه، الأستاذ عز الدين أو الأستاذة حفيظة اللّذين كانا يفرحان بذلك، ولا يدّخران أيّ جهد في تقديم النّصيحة والمعونة له، ويجيبان على جميع أسئلته دون إعياء، ولا تذرّ ولا امتعاض، ويمتحنانه ساعات من وقتها متى أراد، لكن محمد في أغلب الأحيان كان يتوصّل إلى الحلّ بنفسه.

وهكذا أخذت مكانته تتعاظم وسط الطلبة، خاصة بعد قضية المطعم المركزي، حين دخل طلبة الإقامة في إضراب لمُدّة يومين كاملين

بسبب رداءة الوجبات المقدّمة لهم، وكان محمد أحد القادة والمؤطّرين الذين شنوا هذا الإضراب، بطريقة اشتملت على كلّ المراحل التي يفرض القانون الداخلي للجامعة على الطلاب القيام بها، قبل الدخول في أيّ نوع من الاحتجاجات والإضرابات المكفولة قانونًا.

وبتوجيه وإرشاد من محمد اتبع زملاؤه كل الخطوات دون أن يخرجوا عنها، عكس ما حدث العام قبل الماضي حيث شن الطلبة إضرابًا لنفس السبب، لكنه كان غير مؤطر وبطريقة فوضوية وعنيفة وصلت إلى حدّ الشّجار مع القائمين على شؤون المطعم، وإغلاقه بالقوّة في وجه العمال والطّالّاب الذين لم يؤيدوهم في شن ذلك الإضراب، ومنعهم من الدخول إليه، وتكسير بعض زجاج النّوافذ والطاولات والكراسي، ممّا استدعى مدير الإقامة للاستنجد بقوات الأمن التي فضت الاعتصام بالقوة وعادت الأمور إلى طبيعتها بعد أيام.

إلا أنّ الطلبة الذين قادوا هذا الإضراب حينها أُحيلوا على مجلس التأديب، وتفاوتت عقوباتهم بين التوبيخ والإنذار والإقصاء لمُدّة سنة، وهناك طالبان طردا نهائيًا وفصلا عن الدّراسة، وهما اللذان قادا هذا الإضراب وحرّضا بقيّة الطلبة على العنف، وهذا ما تجنّبه محمد هذه المرة بحنكته ودهائه وفطنته، حيث أبقى رفضهم تناول الوجبات ووقوفاتهم الاحتجاجية أمام المطعم بطريقة سلميّة منظّمة وهادئة

ومؤسسة قانونًا، حسب ما يحقّ للشريك الاجتماعي ممارسته في إطار القانون، سواء لنقابات الأساتذة والنقابات العمالية أو المنظمات الطلابية ممّا جعل إضرابهم يلقي صدى وأذان صاغية لدى الإدارة، حيث تدخل مدير المطعم بسرعة لتهدئة الأوضاع، ذلك الأصلح السمين الخبيث الذي لم يكن يغادر مكتبه إلا للضرورة القصوى، أو في المناسبات الكبرى أو عند حضور المسؤولين، ونزل مدير الخدمات الاجتماعية بنفسه وحاور الطلاب بأمر من رئيس الجامعة شخصيًا، الذي سمع بالأمر وأولاه الأهمية القصوى، حسب البيان الذي صدر عن ديوان رئاسة الجامعة، وقدم الطلبة بعد ذلك ممثلين عنهم للتفاوض مع الإدارة وتقديم مطالبهم.

وقد اختاروا محمد على رأس الوفد رفقة أمين، وبعض طلبة المنظمات الطلابية التي كانت تنشط في الميدان، لكنها للأسف لم يكن عملها يرقى فيما سبق إلى درجة رضا الطلبة، وكانت تهتم برضا الإدارة وتركي عملها، وتقدم لها الشكر والثناء كلّما سنحت لها الفرصة بذلك، أثناء المناسبات الوطنية والدينية وختام السنوات الدراسية، على بذلها عملاً جباراً لخدمة الطالب، عكس ما هو ملموس في أرض الواقع، أكثر من اهتمامها بمشاكل الطلبة المختلفة وحلّها والدّفاع عن حقوق الطلبة المهدورة، ولم يكن الطلبة يعقدون عليها الأمل كثيرا وكان جلّ



أملهم ورجائهم في محمد وزملائه، لما لامسوه فيهم من قوة للشخصية ووفاء وتفاني في خدمة الطلبة وحلّ مشاكلهم ومن رزانة وهدوء وحنكة وفطنة وكسب النتائج في الميدان.

وكانت من الجهة الداخلية لإقامة البنات، تنامي قوة تأثير نورة وزهيرة في الدّفاع عن الطالبات، والوقوف في وجه جور مديرة الإقامة، وتكلّف مسؤولات الأجنحة في التعدي على حقوق الطالبات، وكنّ كثيرًا ما يتدخّلن لحلّ المشكلات التي تقع بين الفينة والأخرى من شجارات ونزاعات وسوء تفاهم بين الطالبات، وكنّ في أغلب الأحيان ينجحن في حلّ تلك المشكلات والنزاعات ودّياً وتهدئة النفوس، دون أن يصل صداها إلى مسؤولات الجناح أو يبلغ مسامع مديرة الإقامة مدام زكية.

أمّا الجانب الدّراسي فكان يسير كالعادة المتوارثة منذ سنين، فبخلاف الأستاذين عزالدين وحفيظة اللذان كانا يمثلان الصورة الحديثة والمتحضّرة للأستاذ الجامعي، سواء من جانب الالتزام والحرص الشّديد على تقديم أفضل وأحدث طرق التّعليم لطلبتهم، أو من الناحية الإنسانية بقرهم وتواضعهم واهتمامهم بكلّ ما يخصّ الطالب، وتقديم يد العون لكلّ محتاج لذلك، فبقية الأساتذة كانوا لا يخرجون عن الصّورة النّمطية والكلّاسيكية للأستاذ الجامعي الذي

يلقي محاضراته ويقدم دروسه ويختفي دون رجعة، ولم يكن لهم اهتمام كافٍ بالطلبة.

وظهر جلياً التفاف كل من محمد وأمين ونورة وزهيرة وبقية الزملاء على بعضهم البعض أكثر فأكثر، حيث توطدت صداقتهم بقوة، وكانوا يذهبون للمطالعة مترافقين، ويراجعون دروسهم معاً، ويقدمون البحوث الجماعية سوياً، وحتى في أيام العطل الأسبوعية التي يقضونها في الإقامة، كانوا يلتقون أحياناً في المساء أمام باب إقامة الطالبات، أو في تلك الساحة الصغيرة التي تقابلها، وكان جل حديثهم عن الدراسة والمشاكل التي تحدث بين الطلبة كما أنهم أصبحوا يخططون للانضمام لأحد المنظمات الطلابية المعتمدة من رئاسة الجامعة، وأن يرشحوا أنفسهم جميعاً في الانتخابات الطلابية التي ستجرى آخر السنة الدراسية لتجديد عضويتها.

ورغم قريتهم من بعضهم البعض وتواجههم سوية في أغلب الأوقات إلا أن محمد لم يستطيع مصارحة زهيرة بحبه، وكان يخبئ ذلك في قلبه، ويكتفي ببعض النظرات الخاطفة التي يرمقها بها، وبعض التلميحات والإيحاءات التي تظهر في معاملته الخاصة لها، والتي لم تؤت أكلها حيث كانت زهيرة تتظاهر بعدم فهمها أو ربما تتجاهلها عمداً في الكثير من الأحيان، وكان يبقى ساهراً إلى وقت متأخر من الليل

جالسا في الشرفة، يراقب غرفتها البعيدة والتي لم يكن بابها ينفتح كثيرا، ماعدا في الأيام المشمسة، بحيث تخرج إحداهنّ لنشر بعض الأفرشة أو الثياب المغسولة.

ومع آخر أيام الفصل الدراسي حيث كانت تُجرى الامتحانات الفصلية، وكان جلّ الطلبة منشغلون بمراجعة ومذاكرة دروسهم استعدادًا للاختبارات، استغلّ محمد تلك الفترات التي كانوا يراجعون فيها دروسهم سويًا في المكتبة أثناء الظهيرة وأحيانا أخرى في المساء ليتقرّب منها أكثر وحاول مصارحتها، لكن وجود بقيّة زملائهم برفقتهم، وخاصة نورة التي كانت لا تفارقها كظلها، حرّمه من ذلك، فقرّر أن يستغلّ فرصة خروجها من قاعات إجراء الامتحانات حتى ينفرد بها ويكونان وحيدين، ويكون له الوقت الكافي للتعبير عن مشاعره واختيار الكلمات المناسبة التي قد تجعلها تتأثر بذلك، وتوافق على ربط علاقة الحب التي حلم بها طويلا، وقد مرّ يومان متتاليان من حصص الاختبارات ولم تُتَح له الفرصة المناسبة للانفراد بها، حيث كانت تخرج متأخرة كثيرا، تقريبا مع انتهاء وقت إجراء الامتحان وتغادر رفقة نورة، وفي اليوم الثالث عند إجراء امتحان القانون الدستوري كان محمد قد فرغ من إجابته باكرا، لكنّه بقي في مكانه ينتظر إكمال زهيرة للإجابة ليستغل فرصة الانفراد بها، وقبل نصف ساعة من نهاية وقت

الامتحان نهضت زهيرة وسلّمت أوراق إجابتها للأستاذ وخرجت مسرعة، فقام محمد بعدها بدقيقة وسلّم أوراق إجابته ولحق بها سريعا، وقد صمّم هذه المرّة أن يستميلها إلى جانب ما وينهي المسألة دفعة واحدة، ويصارعها بالحب المكتنز في جوفه منذ سنوات الثانوية، فاستجمع قواه ولحقها عند مخرج باب المدرّج حيث كان يجرى الامتحان، وناداهها بصوت خافت لمّرتين فاستدارت وابتسمت ثم وقفت تنتظره.

محمد: صباح الخير

زهيرة: عمت صباحا

محمد: كيف كانت إجابتك؟

زهيرة: لا أعرف، إنّ السّوالين الأوّل والثالث راجعتهما البارحة جيدا، أما السّؤال الثاني فلم يكفيني الوقت لأجيب عليه إجابة كاملة والسّؤال الرّابع كان مفخّخا.

محمد: أعرف أنّك ستجيبين ببراعة كبيرة، أما بالنسبة لي فكانت جلّ الأسئلة سهلة وقد راجعتها كثيرا، ألا تتذكّرين السّؤال الأوّل نفسه الذي قدمناه في البحث.

زهيرة: أه صحيح هو نفسه.

ثم بدأ يسير جنبًا إلى جنب معها ويتقدّمان بخطوات متناقلة حتى وصلا إلى الكرسي تحت شجرة التوت التي انتصبت قبالة المدرّج، وجلسا سويا في انتظار لحاق أمين ونورة وصمت الاثنان معًا لبرهة.

ثم تمهّد محمد ونظر إلى الأفق البعيد مخاطبًا زهيره، في هذه اللحظة يجب أن أكون صريحًا معك قبل كلّ شيء، وستوافقين أنت نفسك على هذا بعد أن تصغي إلى حديثي حتّى النهاية، قال ذلك ونهض من مكانه في احترام يشبه الإجلال لأصبح أقرب المقرّبين منك وصديقك المبجل، أنا أعلم أنّه ليس لي في هذا حق، لكن اسمعي لي أن أكون جديرًا بهذا الحق، كانت بعض عباراته تنبئ أنها مهيأة، وكان في مواضع أخرى من هذا الخطاب الغريب يخفي شعورا يعبر عن ذاته، أردت أن أصارحك بإعجابي الشديد بجمالك وبرفعة أخلاقك منذ أمد بعيد، لكن للأسف لم تسمح لي الفرصة بذلك، فأنت تعرفين قريتنا التي نعيش فيها ومدى صعوبة العلاقات العاطفية فيها، وأنا أحترمك ولم أكن أريد أذيتك بالتسبب لك بمشاكل مع أهلك، فخبّأت ما في قلبي طويلاً، فأنا كنت ولا زلت أحلم بأن ألاقى قلباً أفضي إليه بأموري وأكاشفه أسراري، فاخترتك أنت منذ زمن طويل، ولم أكن أعرف ماذا سيكون ردّك، ثمّ عاود الجلوس وصمت منتظرًا ردّة فعلها.

كانت زهيرة تصغي إليه إصغاءً شديداً، وتتلَقَّف الكلام بشراهة واضحة على استحياء مطأطئة رأسها وتنظر إلى الأرض وهي تفكّر بما كان يقوله محمد، ثم نطقت قائلة؛ إني أعرف أنك صديق ونعم الصديق، ولقد سعدت قبل هذا بلقائك عدّة مرّات، حتّى ولو كانت أغلّيتها خاطفة وبمجرّد نظرات وابتسامات عابرة تنمّ عن الاحترام المتبادل، وسأقول لك الحقيقة دون خداع، أنا كنت ولازلت أحبّك حب الأخت لأخيها، وأرجو أن تحبني أنت أيضاً حب الأخ لأخته، وفي تلك اللحظة رفعت رأسها ونظرت إلى عينيه وكأنّ روحها كلّها انتقلت إلى نظرتها، وأردفت قائلة؛ لا زالت السنوات طويلة ونحن لازلنا صغاراً على مثل هذه العلاقات، لكنّي سأترك ذلك للأيام حتى نتعرف على بعضنا أكثر فأكثر بحسب المواقف، وسنبقى أصدقاء مقربين ثم تهتد بعمق وتابعت؛ يجب أن تعرف أولاً أنّي لم أدخل في علاقة تذكر ولم أفكر بها أبداً، وصراحة أنت تحظى بإعجابي منذ مدّة طويلة، ثم ما لبثت أن خفضت عينها مرة أخرى كأنها لم تعزم أمرها وقالت؛ ببساطة سنترك الأيام تحدّد كل ذلك.

وهما لا يزالان في ذلك الحوار حتى لحقت بهم نورة ثم أمين أيضاً، وعاد الحوار لأسئلة الامتحان ومدى صعوبتها وحلولها، وبعد لحظات نهضوا من مكان جلوسهم وساروا رويدا رويدا إلى المطعم المركزي، حيث

افترقوا لتتجه نورة وزهيرة إلى جهة الطالبات ومحمد وأمين إلى جهة الطلاب، ويلتحق بهم صلاح وسليم في الطابور أيضا، وبعد تناول وجبة الغداء اتجهوا إلى غرفهم مباشرة لأخذ قسط من الراحة، وكانوا يتحاورون حول مواضيع الامتحان، أما محمد فكان طوال الطريق صامتا وغائبا في التفكير، ومع دخول باب الغرفة سأله صلاح قائلا: ما بك يا محمد؟! يبدو أنك لم توفق في إجاباتك بالامتحان؟

نظر محمد إليه وهو يسحب أحد الكراسي للجلوس، إجاباتي كانت أغلبها بالتّمام، أنت تعرف أنني فقيه في القانون كأني طبيب في مركز صحي، فالعلة ليست في الامتحان أبدا.

ثم سأله سليم بابتسامة ساخرة: فيم العلة إذن يا طبيب القانون هههه؟

محمد: لقد استجمعت كلّ قواي وصارحت زهيرة بحبي الطويل منذ أيام الثانوية.

أمين وهو متلهّف: وما كان ردّها هل وافقت؟ هل قبلت؟

محمد: لقد كان الحوار طويلا، لكني لم ألقَ منها إجابة صريحة تشفي الغليل، وكان جلّ كلامها ألغازا وكأني لا تريد الإفصاح عن مشاعرها، وربما تكون مختلطة، كعدم اعتيادها على الدّخول في علاقة

من هذا التّوع وخوفها من أهلها، وبين تقديرها لي وإعجابها بأخلاقي،  
وبين محبتها لي محبة الأخت لأخيها كما قالت، لم أفهم قصدها من كلّ  
هذا بالضبط؟!

صلاح: ربّما تكون قد تفاجأت بطلبك هذا، وكانت طيلة الوقت  
تعدك زميلا مقربا بمثابة الأخ.

أمين: لا عليك، أيّ فتاة على وجه الأرض، عندما تقترب منها  
وتصارعها بحبك فإنّها تتغيّر فجأة وتتمنّع وتصدّد من الوهلة الأولى،  
وربّما لعدّة مرات أخرى، حتى ترى مدى تمسّكك بها وإصرارك على  
الارتباط بها، وأن طلبك جادًا وليس لتمضية الوقت فحسب كما يفعل  
الكثير.

محمد: زهيرة ليست ككلّ الفتيات، إنّها فتاة محترمة وذات طباع  
خاصّة، فهي تحترم ثقة والديها وإخوتها وتقدر نفسها ولها رفعة من  
الأخلاق، وليس من السهل أن توافق على الدّخول في علاقة غرامية مع  
أيّ كان إلا إذا كانت جدية وهدفها واضح وصريح.

سليم: صحيح فهي تبدو محافظة في كلّ تصرفاتها ومظهرها، وليست  
من النوع الذي يقبل الدخول في أيّ علاقات.



أمين: ما عليك إلا الصبر والانتظار، وسأطلب من نورة أن تساعدك في ذلك، وتؤثر عليها لتوافق على الماضي معك في علاقة جدية تتوج إلى الأبد.

محمد: سنترك ذلك للأيام وسأبقى معها كما طلبت بمثابة الأخوين، إلى حين أن تغيّر رأيها في يوم من الأيام.

أما زهيرة ونورة فبمجرد دخولهما الغرفة حتى نطقت زهيرة وهي تهتم بتغيير ملابسها قائلة: هل تعلمين ماذا طلب مني محمد؟  
نورة: لا، ماذا طلب منك؟ هيا أخبريني.

زهيرة: قال أنّه يحبّني منذ أيام الثانوية، ولم تتح له الفرصة في بلدتنا لمصارحتي، وأنه كان منذ أول السنة الدراسية يتحين الفرصة لفعل ذلك، وأنه يريد أن يصاحبني طيلة سنوات الدّراسة الجامعية وأن علاقته جدية.

نورة: وما كان ردّك إذن؟ هل وافقت؟ محمد شاب ممتاز وكلّ الفتيات يحلمن بالتّوحيج بحبه، فهو إنسان ملتزم وجدي وليس فيه ما يعاب لا من ناحية الشكل ولا الأخلاق.

زهيرة: المشكلة ليست فيه، أنا أعرفه منذ أيام الثانوية، فهو شخص نبيل ومثقف ورزين، وزاد إعجابي به بعد التقرب منه خلال هذا

الفصل الدراسي، واكتشفت العديد من المزايا الأخرى التي يتمتّع بها  
وأيّ فتاة تحلم أن تكون في فارس أحلامها، والحقيقة تقال أنه بلغ من  
التدقّق والحماس والعاطفة، وصدق التّعبير عن حبّه لي ما جعله  
يأسرني ويسيطر على عواطفني التي أخفيها عنه، لكن ما يجب أن  
تعرفيه أنّ لي أسباب كثيرة تجعلني أترى أكثر، ولا أتسرّع أبدًا في اتّخاذ  
أيّ قرار مصيري لحياتي القادمة، وطلبت منه أن يبقى حبنا كحب  
الأخت لأخها، ونترك الأيام هي التي تحكم على ذلك، ولننتظر لآخر  
سنوات الدراسة على أقل تقدير، فإذا سارت الأحوال على ما يرام  
ورسخت قدمي في هذا الطريق سأكون له.

نورة: كلّ شيء بأوانه صديقي، ولا تنسي أنّنا سننظم معًا إلى نفس  
المنظّمة الطلابية، وسيكون هناك تنسيق وعمل موحد بيننا،  
وستكتشفين شخصه يوما بعد يوم، وإذا غلبك قلبك ستحبّينه دون  
أن تدري والأيام ستحكم على ذلك.

انتهت امتحانات الفصل للسداسي الأوّل، وخرج جميع الطّلبة في  
عطلة مدّة خمسة عشر يومًا، عادوا خلالها لبيوتهم لأخذ قسط من  
الرّاحة، وفي انتظار صدور النتائج الفصلية بعد العطلة واستئناف  
الدّراسة وإجراء الامتحانات الاستدراكية للذين لم يحصلوا على المعدّل  
المطلوب في بعض المواد.

وكان موعدهم الالتقاء أمام إقامة البنات، وكلّ منهم يحمل أمتعته وتوجّهوا معاً لمحطة الحافلات بسيارة أجرة أقلّتهم من أمام الجامعة، وركبوا نفس الحافلة، لكنّ محمد وأمين جلسا سوياً بينما جلست زهيرة ونورة في مقعد خلفهما، وهذا خشية انتباه بقيّة ركاب الحافلة، والذين كان أغلبهم من سكان البلدة نفسها، وقد يوشون إلى أهالي البنات بأنّهم على علاقة بزملائهم، حيث كانت كلّ أنواع تلك العلاقات محرّمة في جميع قواميس أهل القرية المحافظة، وتعدّ نوعاً من العار الذي قد يلحق بأهالي الفتاة وعائلتها إلى آخر العمر، لذلك كانت أغلب العلاقات تتمّ خفية عن أعين المتطفّلين والفضوليين، وتكون الاتّصالات بين العاشقين بسرية تامة وبعض اللقاءات الخاطفة هنا وهناك بعيداً عن أعين الناس.

وصلت الحافلة إلى البلدة وقد حضر والد زهيرة وأخو نورة لإيصالهن لبيوتهن، أما أمين فقد وجد أباه سي الشريف في انتظاره بسيارته، وأقلّا محمد برفقتهما وأوصلاه لغاية باب المنزل.

دخل محمد إلى المنزل وهرول مرتميّاً على صدر أمّه خالتي فاطمة، وهو يشعر بفرح عميق لا يوصف، ضمّ أمّه بين ذراعيه ضمّاً قوياً وأغرقها بالقبل، وشدّ جسمه إلى جسمها من لوعة الشوق وفرح اللّقاء، ثمّ دخل إخوته وأخواته فسلمّ عليهم جميعاً، وما هي إلا دقائق حتى

دخل والده عمي العربي وهو يحمل كيسين من الخضر والفواكه عائداً  
من سوق الجمعة الأسبوعي، فقفز محمد مسلماً عليه ومقبلاً رأسه.  
ثم سأله والده قائلاً؛ مرحباً يا بني، هل سارت أمورك في الجامعة  
جيداً؟

محمد: نعم يا أبي الحمد لله على كلِّ حال.

وسألته والدته وهي تهتم بحمل أمتعته: وكم أخذتم من العطلة إذن؟  
محمد: خمسة عشر يوماً.

الأم على الأقلِّ سترتاح جيداً وتسترخي عدّة أيام.

محمد وهو ينزع معطفه وحذاءه: نعم يا أمي الحياة في الإقامة  
الجامعية متعبة نوعاً ما.

والده وهو يبتسم ابتسامة عريضة حتى تعرّى فمه الذي سقطت  
أغلب أسنانه، نعم يقال أنها تشبه الحياة العسكريّة.

محمد: نعم في كثير من الأشياء رغم أنني لم أجتز الخدمة الوطنيّة،  
إلا أن أغلب الناس يشبهون الحياة الجامعية بالحياة العسكريّة، كان  
محمد يتكلّم وهو يتوجّه صوب غرفة الضيوف حيث كان ينام كلَّ

إخوته الذكور، فالمسكن يحتوي على ثلاثة غرف، إحداها للوالدين وأخرى للبنات بينما الأولاد لهم غرفة الضيوف.

ثم تنهّد قائلاً؛ عذراً لقد أنهكتي التعب وأريد أن أنام لعدة ساعات، وأخذ قسطاً من الراحة.

أما أمين فقد مرّ رفقة والده سي الشريف بمقرّ عيادة والدته الدكتورة شهرزاد، ودخل مسرعاً وارتعي في أحضانها بعد خروج إحدى المريضات التي كانت تتلقّى العلاج لتوها.

أمين: لقد اشتقت إليك يا أمي.

فضمّته إلى صدرها وهي تغدقه بسيل من القبلات المتتالية كأنّه رضيع صغير، وهي تقول؛ أنا أعرف سوء الحياة الجامعية ومعاناتها، يجب أن ترتاح جيّداً في هذه العطلة حتّى تسترجع بعض قواك.

ثمّ نطق سي الشريف وهو على عتبة الباب ينظر إلى ساعته البراقة، هيا أسرع لأنّي سأعود إلى مكتبي قبل الظهر.

أما زهيرة ونورة فهما تسكنان تقريبا في نفس الشارع بحي العمارات بين حيّ محمد وأمين، ولا يفصل بين منزلهما سوى بضعة أمتار، وكنا خلال أيّام العطلة يلتقيان كثيرا ويذهبان معاً للحمام الشعبي الذي يقع آخر الشارع، وأحياناً يترافقان للتسوق وشراء بعض الحاجيات،

وإذا ما التقيا كان جلّ حديثهما عن الاحتمالات المنتظرة عند ظهور نتائج الامتحانات، وعن كَيْفِيَّة انضمامهنّ للمنظمة الطّلابية، وعن علاقتهما بزميليهما محمّد وأمين.

كانت نورة تشجّع زهيرة على المضيّ قدماً في اتّخاذ قرارها بخصوص علاقتهما مع محمد، وكثيراً ما كانت تضرب لها الأمثال عن علاقتهما بأمين منذ أيّام الثانوية، وعن اللحظات الحميمة التي تقضيها معه عندما ينفردان معاً، وأنهما سيعلمان خطوبتهما بمجرد إنهاء الدّراسة الجامعية والتّخرج.

وكانت زهيرة تبرّر سبب عدم اتّخاذها لأيّ قرار بأنّ الوقت غير مناسب وأنّها لم تعتد على مثل هذه العلاقات من قبل، وأنّها تخاف أباها وإخوتها الذين لن يتسامحوا أبداً معها إن فعلت ذلك واكتشفوا أمرها، وأنّ الأيّام وحدها ستكون كفيلة بتحديد علاقتهما.

مرّت أيّام العطلة الشّتوية بسرعة رهيبّة وكأنّها سحابة صيف.

كان محمد يشّاق لرؤية زهيرة كثيراً، حتّى أنّه كان يذهب كلّ مساءً إلى حِمّها، ويبقى جالساً تحت شجرة الصفصاف التي تنتصب قبالة العمارة حيث شقة زهيرة إلى وقت متأخّر من الليل عسى أن يظفر بطلّة منها أو أيّ حركة تدلّ على أنّها تلاحظه، وكان قلبه يخفق كلّما رأى

خيالا يمرّ من وراء الشّباك، وتغمر قلبه سعادة جارفة إذا انطفأت  
الأنوار متخيلاً أنّ زهيرة قد اكتشفت وجوده وتقوم بالنّظر إليه خفية،  
كما كان ينظّم إليه أمين في كثير من الأحيان ويبقيان ساهرين لوقت  
متأخّر من اللّيل.

وفي أوّل يوم من عودته إلى الجامعة، التقى إحدى زميلاتهما بالغرفة  
وطلب منها أن تبلغ زهيرة أنّه ينتظرها غدًا صباحًا، أمام شجرة التّوت  
المقابلة للمدرّج.

وفي صباح الغد نهض باكراً وتوجّه نحو المكان المعهود، وجلس على  
الكرسي تحت شجرة التّوت، ولم يلبث طويلاً حتّى ظهرت زهيرة ونورة  
وسرعان ما جلستا بجانبه ملقيتان السّلام بصوت واحد.

صباح الخير، كيف الحال؟

محمد: صباح الأنوار، كيف حالكما؟

زهيرة: الحمد لله، لقد نلنا قسطاً من الرّاحة خلال أيّام العطلة.

نورة: لكّتها مرّت سريعاً كالبرق.

وسرعان ما لاحظت نورة أنّ وجودها يضايقهما فانصرفت من مكانها  
وكأّتها تريد أن تبحث عن شيء، لكّتها لم تذهب بعيداً بل ظلت واقفة  
وراءهما لتستمع إلى ما يدور بينهما من حديث.

وسرعان ما دنا محمد من زهيرة وهو متفعل وصوته يرتجف وقال في خجل وبلهجة متوسّلة: هل اشتقت إليّ خلال العطلة؟

فاستدارت إليه ورفعت عينيها الرائعتين، وسألته وقد اصطبغت وجنتاها بحمرة خفيفة، اشتقت إليك؟ ولماذا إذن؟

فردّ بلهفة: فقد كنت لا أستطيع فراقًا أطول من ذلك، خمسة عشرة يوما بكاملها، كنت أراك في أحلامي خلالها، فعدت من العطلة مسرعا لأعرف مصري، ولكنك تقطين حاجبيك يا زهيرة هل أنت غاضبة مني؟ ألا يمكن أن أعرف اليوم شيئا قطعاً؟

والواقع أنّ زهيرة اكتأبت وبدأت تحدّثه بصوت قاس تشيع في نبراته رنة غيظ، فقالت: وهي تخفض عينيها: لقد كنت أحسب أنك ستحدّثني في ذلك، وكان هذا الشّعور بالنسبة إليّ صعباً للغاية، وكلّما انقشع الشكّ بسرعة عن أمر من الأمور وقطع فيه برأي كان أفضل، إنك تلح أيّ أنك تطلب الردّ أليس كذلك؟ ليكن كما تريد، فسيكون ردّي كما كان من قبل، انتظر.. إنني أكرر لك ذلك، فأنا لم أتخذ بعد قراراً في هذا الشأن، ولا أستطيع أن أعدك بأنني سأكون لك، إنّ المرء لا يحصل على ذلك بأن يلجّ في طلبه يا محمد، ولكنّي أضيف لأطمئنك أنّي لا أرفضك رفضاً قاطعاً، ومع ذلك كنت لا أدعك تأمل في قرار يكون في صالحك، فإنّما أفعل ذلك من قبيل احترامي لك ورأفة بك لما



تعانيه من قلق، وأكرّر لك.. إنني أريد أن أتخذ قرارى فى حرية تامة،  
وإننى إذا انتهى بى الأمر بأن أقول لك أنني أرفضك، فىنبغى أن لا تهمنى  
بعد ذلك بأننى أثرت فى نفسك الآمال العريضة فافهم هذا جيداً.

فصاح محمد بصوت لا تزال نبراته تنطق بالتّوسل: ولكن ماذا؟  
ماذا إذن؟ أهذا هو الأمل؟ وهل أستطيع أن أبني أيّ أمل على كلامك  
هذا يا زهيرة؟

تململت قليلاً ثم خفضت عينها قائلة: تذكر ما قلته سابقاً وكلامي  
هذا أيضاً وابنٍ عليه ما تشاء، فأنت حرّ تماماً ولن أزيد عن ذلك شيئاً  
آخر، إننى لا أرفضك ولكن أقول لك فقط انتظر، واحتفظ لنفسى بأن  
أرفضك إذا رأيت ذلك ضرورياً، وألفت أيضاً نظرك إلى هذا يا محمد،  
إننى على أمل أن نكون معاً فى يوم ما، حين يكون الوقت والظروف  
مناسبين لذلك، والآن كفى أرجوك ولا تقل لي كلمة واحدة فى هذا  
الموضوع حتى أحدثك أنا فيه مرة أخرى، نطقت زهيرة كل هذه العبارات  
فى لهجة جافة قاطعة ومتدمرة وبلا تردّد، كما لو كانت تحفظها مقدّماً  
عن ظهر قلب، وأحسّ محمد بوطأة الصدمة وشعر بالخجل، وأدرك  
أنّه تسرّع كثيراً فى طلب الردّ، وأجابها بلسانه فقط: أكيد سأنتظر متى  
تقرّرين بنفسك، وكان يقول فى قرارة نفسه لن أكلمها فى هذا الموضوع  
مجدّداً أبداً مهما حصل، وسأكتفى بصداقتها إلى حين.

وفي تلك اللحظة تدخلت نورة قائلة؛ لقد حان وقت الدّراسة، ووصل أيضا في أعقابها أمين، إنهم على وشك الدخول للمدرج ثم خاطب أمين محمد في سخرية قائلا؛ لقد هربت باكرا أكيد لأمر مهم جدّا، ثم نظر إلى عيني زهيرة نظرة خاطفة، والتفت إلى نورة وهو يضحك ويشير لها برأسه لتتبعه للدّخول، واتّجهوا إلى المدرج متناقلين.

وعند عودة محمد لغرفته كتم ما جرى بينه وبين زهيرة عن الجميع، وعزم في قرارة نفسه أن يتجنب نهائيا التفكير في هذا الموضوع، وأن يلتفت إلى دراسته، وأن يترك هذا الأمر للقدر عسى أن يأتيه بالخبر اليقين.

في ذلك الأسبوع عاد الطلبة إلى مقاعد الدّراسة منتظرين صدور نتائج الفصل الأول بترقب شديد، وفي اليوم الثالث علقت النتائج لمختلف المقاييس الدراسية، في مصلحة التدريس للكلية، حيث كانت نتائج الطّلبة متباينة.

لكن حدث أمر يستدعي الغرابة، بعض الطلبة الحاصلين على أعلى العلامات لم يكونوا من الطلبة المجتهدين والمعروفين أساسا بحضورهم القوي واللافت للحصص الدّراسية، بل كان من بين الأوائل بعض الطلبة الذين كان حضورهم نادرا، ويتغيبون عن المحاضرات أغلب

الأوقات، ويأتون فقط لبعض الحصص الدراسية الإجبارية الحضور، وأيام الاختبارات.

وقد تصدرّ الدفعة بأعلى العلامات طالب كبير في السن على عتبة الخمسينات من عمره، فمن المعروف أنّ قسم الحقوق يرتاده الكثير من المتخرجين سابقا، ومن الموظفين كذلك للحصول على شهادة عليا يدعمون بها مساهمهم المهني من أجل الترقيات المهنية، وبعض الطلبة الذين غادروا مقاعد الدراسة أوّل حياتهم لأسباب مختلفة ثم عادوا للدراسة من جديد، ومنهم التجار ورجال الأعمال أيضا لرفع مستواهم العلمي، حتى يخوضوا في الانتخابات ويحصلوا على مقاعد نيابية تمكنهم من تيسير أعمالهم في دواليب الإدارة الحكوميّة.

وكان هذا الطالب يلقي معاملة خاصة من أغلب الأساتذة، ما عدا الدكتور عز الدين و الدكتور حفيظة اللذين لا يوليان له أيّ أهمية مفرطة ولا يعطيانه أيّ اهتمام زائد، وكانا يعاملانه بصفة عادية تماما كما يعاملان بقية زملائه.

تفاجأ الطلبة بتتويجه على رأس الدفعة بأكملها، فهناك العديد من الطلبة النجباء والمجتهدين، والذين يفوقونه ذكاءً وفطنة واجتهادا وعلمًا وحضورًا، على رأسهم محمد الذي يضرب به المثل في النبوغ في

جلّ المواد القانونية خاصة، وهذا ما جعل الجميع يشكّون في الأمر، وقد جاء محمد ثانياً.

لم تكن النتائج المعلّقة التي ظهرت قد أرضت الأغلبية الساحقة من الطلبة، والذين سقط الكثير منهم في عديد المواد، حيث سيضطرون لاجتياز الامتحان الاستدراكي، ولم ترضِ حتى بعض الأوائل الذين رأوا أن هناك إجحافاً في حقهم، وأن البعض الآخر من زملائهم الذين سبقوهم أقلّ منهم شأنًا، ولا يستحقون أن ينالوا تلك المراتب، وأن هناك من الأساتذة من يجمال بعض الطلبة ويميل لتضخيم علاماتهم دون غيرهم.

قرّر محمد وزملاؤه أن يتحرّوا عن هذا الطالب المدعو الحاج إبراهيم، فذهبوا أولاً إلى مصلحة التدريس للسؤال عن الأمر عسى أن يكون هناك خطأ إداري أو أي شيء من هذا القبيل، وبمجرد ولوجهم داخل المصلحة قابلتهم مدام نوال كعادتها بكثرة الترحيب، حيث نهضت من مكتبها وهي تعيد وشاحها على رأسها، وتحاول إخفاء بعض خصلات شعرها المتدلّية من تحته كعادته وقالت وهي تبتسم ملء جفنيها: مرحبا بكم.

محمد: صباح الخير مدام نوال، أتينا فقط لنستفسر عن بعض الملاحظات المتعلقة أساسًا بخصوص نتائج الامتحانات المعلنة؟

مدام نوال: بخصوص ماذا بالضبط؟ هل من توضيح أكثر؟

نورة وهي تسحب من محفظتها إحدى الأوراق: قد لاحظنا أن هناك تناقضًا كبيرًا في علامات بعض المقاييس، ثم اقتربت من مدام نوال وكشفت لها العلامات التي سجّلتها في تلك الورقة.

زهيرة: بعض الطلبة لا نعرف منهم سوى الأسماء، لكنهم حصلوا على أعلى الدرجات، ألا يعدّ هذا أمرًا غريبًا؟ قالت ذلك وهي تعدّد الحالات المسجّلة، وتشير لهم بسبابتها في تلك الورقة التي أخرجتها نورة من محفظتها.

أمين: أغلب الطلبة لم يكونوا راضين عن هذه النتائج، ويرون تضاربًا وتناقضًا كبيرين بينها وبين الواقع.

نظرت إليهم مدام نوال وهي تعود للجلوس في مكتبها من جديد، وقالت متأوهة: نحن في مصلحة التدريس ليس لنا دخل في ما يعلن من نتائج، فمهمتنا مجرّد تعليق الإعلانات، ونتسلم الطعون المقدّمة من طرف الطلبة، وتستطيعون تقديم طعونكم في المقاييس التي ترون أن فيها إجحافا في حقكم، وسنقوم بتحويلها لرئيس القسم، والأجل المحدّد لذلك هو ثمانية أيام ابتداءً من تاريخ إعلان النتائج.

ونفض كلّ من زميلها أنور ووليد من مكانهما في نفس اللحظة وتقدّما  
منهم وقال أنور وهو يتشاءب ويضع يده على فمه: الطعون الخاصة  
بالليسانس على مستوى مكتبي.

وأكمل وليد وهو يعيد لباس نضارته الغليظة قائلاً: وطعون الماستر  
على مستوى مكتبي أنا، لكن لا أظن أنها ستجدي نفعا فهي مجرد  
إجراءات روتينية لامتناس غضب بعض الطلبة، وبعدها تُرمى في  
الأرشيف.

محمد وهو يثني شفّتيه متعجّبا: الإشكالية لا تكمن فقط في تناقض  
بعض العلامات لبعض المقاييس، إنّما في بعض الأشخاص الذين لا  
يستحقون حتى أن يكونوا متواجدين في المراتب الوسطى، وإذا بهم على  
رأس الدّفعة بأكملها.

مدام نوال وهي تضحك ملء جفنيها كعادتها: هذه الأشياء اعتدنا  
علما في كلّ سنة، وطعون الطلبة وشكاويهم لا تنتهي، وفي أغلب  
الأحيان لا تؤخذ بعين الاعتبار، فالأساتذة يرفضون إعادة تقييم  
إجابات الطلبة أو إعادة تصحيح أوراق الامتحان إلا في حالات نادرة  
جدّا، ثم نهضت من جديد وتقدّمت نحو محمد وهي تحدّق في عينيه  
مباشرة، ولكن من تقصد من الطلبة بالضبط؟

محمد هناك العديد من الطلبة الذين لم نرهم يداومون على الحضور، لا يأتون إلا للحصص الدراسية الإجبارية خوفا من الإقصاء فقط، وعلى سبيل المثال هذا من يدعى الحاج إبراهيم، والذي جاء على رأس الدفعة بأكملها، رغم أننا لا نعرف عنه شيئا.

ثم تدخل أنور وهو يتسم، آه الحاج إبراهيم.. إنه رجل الأعمال المعروف الذي ترشح منذ سنتين في الانتخابات البرلمانية ورفض طلبه لعدم توفره على شهادة علمية ذات مستوى عالي، وأظنه قرر العودة لمقاعد الدراسة للحصول على شهادة علمية تؤهله للترشح مرة أخرى لانتخابات المجلس الشعبي الوطني

وخطف وليد منه الكلام، ويقولون أنه مقرب جدًا من رئيس الجامعة شخصيًا، وأنه ل ذو شأن كبير، والجميع يحترمونه ويهابون سلطته، ويقال أن له أيضا اتصالات بالوزير نفسه، وأغلب الأساتذة وكبار المسؤولين والإداريين يتوددون إليه، حتى يزكمهم لدى رئيس الجامعة ويكون راضيًا عنهم، طمعا في الحصول على ترقية وامتيازات أخرى.

نورة: آه لقد فهمنا قصدكم هذا طالب مفوض فوق العادة إذن؟

أمين: لن يحصل على كلّ هذه الامتيازات على حسابنا، وسنعمل  
جاهدين على إيقاف هذا التلاعب بمصير الطلبة.

مدام نوال: لا تتعبوا أنفسكم فكلّ ذلك لن يجدي نفعا، فليس من  
السهل إصلاح منظومة بلغ فيها الفساد حدّا كبيراً، قالت ذلك وهي  
تخنق نفسها مشيرة إلى بلوغ الرقبة، فمن الأجدر أن تجتازوا سنواتكم  
الدّراسية كمن سبقكم ولا تلتفتوا لمثل هذه الأشياء التي ستعيبكم  
وتدخلكم في متهاتات أنتم في غنى عنها.

نظر محمد إليها وهو يهيمّ بالخروج، وقد ظهر في عينيه حزن عميق،  
ثم قال وهو يأخذ نفساً عميقاً: يجب أن يتوقف مثل هذا التلاعب  
بمصير الطلبة أجلاً أو عاجلاً، والأيام فقط من ستجيبكم عن ذلك..  
شكرا مدام نوال والسيدان أنور ووليد على كلّ الإيضاحات.

ثم غادروا مصلحة التدريس عائدين إلى غرفهم، وكان يعزوهم حزن  
كبير، وأثناء الطريق ساد صمت رهيب، وعند وصولهم أمام باب إقامة  
الطالبات وقفت نورة فجأة ثم استدارت إليهم قائلة: حتى يتوقّف كل  
هذا يجب أن ننظم في أسرع وقت لأحد المنظمات الطلابية حتى يكون  
لنا الحق الكامل في الدّفاع عن حقوقنا المهدورة، ونرفع الكثير من  
الظلم والإجحاف الذي يتعرض له الطلبة.



وأكملت زهيرة كلام صديقتها قائلة؛ نعم يجب أن يكون ذلك في أول تجديد لعضوية مكاتب المنظمات الطلابية، ولحد الآن لا نعرف أي منظمة أكثر مصداقية.

محمد: منظمة الطلبة الأحرار الأكثر مصداقية ومكانة حسب ما استقيته من أخبار ومعلومات من أغلب الطلبة، إننا إذا انضوينا تحت رايتها سنحاول تحسين صورتها أكثر، ونعمل على ترسيخ مبادئها لدى أغلبية الطلبة.

أمين: الانتخابات التجديدية قريباً، ربما بعد الامتحانات الاستدراكية مباشرة، ثم تقدّم قليلاً وهو يجذب محمد من ذراعه.. هيا لنأخذ قسطاً من الراحة وبعدها نتحرى عن الحاج إبراهيم هذا.

وفي آخر المساء دعا محمد طالباً يدعى سمير، كان يقيم في الطابق السفلي بنفس الجناح ويزامل الحاج إبراهيم بنفس الفوج، وهو من نفس قريته الحدودية ايضاً ويعلم عنه الكثير، بغية أخذ معلومات عنه والتحري أكثر عن أمره.

كان شاباً وسيم الوجه بادي الأناقة لكنّه ليس قويّ الشخصية، كان ثثاراً ولا يتّصف بالرزانة والاعتزان ويحبّ إبداء رأيه في شتى المواضيع، ويهوى مخالطة الناس وحشر أنفه في كلّ صغيرة وكبيرة.

دخل الغرفة وجلس مباشرة على أحد الكراسي قرب الطاولة وهو  
يبتسم قائلاً: ألا تحضرون القهوة لضيفكم؟

نظر إليه صلاح وقال له مبتسماً: تستحقّ عشاءً فخماً، وليس فقط  
قهوة.

ثم ردّ قائلاً: أنا فقط أمزح وأعرف أنّ الإقامة الجامعية خالية  
الوفاض، وإن أردت إحضار كوب قهوة تقطع عشرات الأمتار لنادي  
الطلّبة.

ثم قاطعه أمين قائلاً: لا عليك، ستشربها بعد العشاء على حسابي.

سليم: تستحقّ أكثر من دعوة على كوب قهوة زميلي المحترم.

كان محمد طيلة هذا الوقت واقفاً قرب الباب ينظر إلى ضيفه وهو  
غائص في تفكير عميق، ثم ما فتئ أن وجه له سؤالاً مباشراً دون أيّ  
مقدمات، أتعلم لماذا دعوناك؟

لا لكّني شككت في أنكم ربما تريدون ضيّي لمجموعتكم التي تودّون  
خوض انتخابات المنظمة الطلابية الحرة بها، ثم واصل كلامه وهو زاهٍ  
بنفسه، وقد سمعتم عنيّ أنني حاذق وصاحب مواقف كثيرة وأنني رجل  
شهم، وكان لا يسكت عن الكلام ولا يتوقّف عن الثناء على نفسه  
ومدحها وسرد الكثير من المواقف والحكايات المتتالية.

إلى أن قاطعه محمد قائلاً؛ الحقيقة أنّ ما جئنا من أجله ليس هو ما تعتقده أنت، وليس ما تتصوّره في مخيلتك، فالأمر يتعلّق بمجرد استفسار عن أحد الطلاب لا غير، ونريد أن نكشف ونستوضح فقط بعض الغموض، حتى لا نسيء الظن والحكم على أحد.

وبمجرّد سماعه ما قاله محمد قفز فجأة من مكانه واتجه صوب الباب وكأنه مهمّ بالخروج، ثم قال بسرعة: أه أه عرفت الآن! أكيد تريدون الاستفسار عن الحاج إبراهيم، فمنذ أن وطئت قدماي الجامعة والكل يسأل عنه ولا يتوقّف أحد عن ذلك، حتى الموظفين والعمال والأساتذة كذلك يسألون عنه، وكنت أظنّكم الوحيدة الذين لن تفعلوا ذلك، ثم أننى شفّتيه وأخذ يومئ برأسه لعدّة مرات.

وفي الوقت نفسه أمسكه أمين من ذراعه بلطف وكأنّه يتودّد إليه قائلاً؛ نحن فقط أردنا أن نستفسر عن بعض الأشياء التي تهمّ الجميع، ولا حاجة لنا بأموره الشخصية التي لا دخل لنا فيها، ولا تهمّنا من قريب أو بعيد.

محمد: هناك طّالاب يدرسون ويجتهدون طمعاً في حصولهم على المراتب الأولى للفوز بمنحة دراسية في الخارج، أو للحصول على عمل جيّد بعد التّخرج يقيمهم عوز الحياة، وفجأة يعتلي الصدارة أشخاص

آخرون لا علاقة لهم بالاجتهاد أصلاً، ألا تسمي هذا ظلمًا وجورًا يجب أن يتوقف؟

قال ذلك وهو يضرب كفًا بكف.

صلاح: ولذلك نحن نسأل عن صاحب المرتبة الأولى على رأس الدفعة، الحاج إبراهيم هذا علّه نابغة ونحن لا نعرف ذلك؟

فعاود سмир الجلوس على نفس الكرسي من جديد وكأنّه اقتنع بكلامهم، وقال بهدوء قد يكون ما تقولونه صحيح، لذا سأقصر عليكم أغلب تفاصيل حياته، ممّا أعرفه عنه وبلغ سمعي من أهل القرية.

ثمّ تمللم في مكانه واعتدل ليرفع ساقيه ويترّع قائلاً: إنّه في بلدتنا أشهر من علم، فهو من عائلة تمتن التجارة الحرة منذ أمد بعيد، فقد عاش في عائلة كثيرة المواليد، فأبوه الحاج الحسيني له ثلاث زوجات، ويملك الكثير من الأراضي الفلاحية والعقارات وعديد المحلات التجارية والاستثمارات المتنوعة، وكان في بادئ الأمر يمتن تربية المواشي، وبما أنّ أراضيه الفلاحية تقع مباشرة على الحدود، سهّل ذلك عليهم عملية التبادل التجاري مع جيرانهم من السلع والبضائع، هذا قبل الاستقلال، أمّا بعده فقد أغلقت الدولة كلّ ذلك، فتحولوا إلى عمليات التهريب، وبعد تمرّكه في القرية غداة استقلال البلاد، افتتح محلات تجارية

أمام السوق الأسبوعية، ونمت بعدها تجارتها بسرعة وكبرت إلى حد كبير، وأصبح كلّما غادر أحد أبنائه مقاعد الدراسة يفتح له محلا تجاريا، ويؤسس له تجارة خاصة به، حتى أصبح يسيطر على أغلب أنواع التجارة في البلدة التي كبرت بسرعة مع الأعوام، وأصبح الممون الوحيد لبقية تجار الجملة.

ثم حمل عبوة الماء التي كانت أمامه ليرتشف منها وأكمل كلامه دون توقّف، وكان الحاج إبراهيم أحد أوسط أولاده وأكبرهم من زوجته الثانية، حيث توقّف مبكرا عن الدراسة، على ما أظنّ في السنة الأولى متوسط كما يقولون، وأصبح يلزم والده أينما يكون، وأخذ عنه التجارة عن أصول، ولشدة فطنته وذكائه وحرصه جعله والده ذراعه الأيمن الذي يعوّل عليه في أحلك الظروف، ويكلّفه بأصعب المهمّات، وبالأخص جانب الحسابات وترتيب الوثائق الإدارية المختلفة التي تسيّر مختلف تجارتها المتعدّدة، ومع تقدّم والده الحاج الحسيني في العمر وتراخيه عن الإلمام بشقّي الأمور، أصبح للحاج إبراهيم السطوة والقوّة في التّحكّم بكلّ ما يخص العائلة بأكملها، وبدأ يأخذ دور والده تدريجيا بعدما حاز على ثقة جميع أفراد العائلة، وكان عند حسن ظنّهم.

كان يسترسل الكلام كأنّه يحفظه عن ظهر قلب والجميع ينصت إليه بانتباه شديد، وأكمل قائلا: ومع تغيّر الأوضاع السياسية

والاقتصادية في البلاد أثناء العشرية السوداء والذي صاحبه الانفتاح الاقتصادي في البلاد لأكثر من ثلاثة عقود، استغلّ الفرصة ليؤسّس شركات متعدّدة بأسماء إخوته، وكانت أكثرها شهرة ثلاث شركات إحداها اختصّت في استيراد الأجهزة الكهرومنزلية، والمعروفة الآن وطنيا، وأخرى كانت تختصّ باستيراد الأدوات المكتبية والمدريسيّة، وتمضي عقوداً تموينية وتفوز بالصفقات مع عديد الإدارات العمومية والمؤسسات الخاصة، والثالثة اختصت بالمواد الغذائية وتموين السوق الخاصة، وأيضاً بعض مؤسّسات الدولة بعقود طويلة الأجل، وبقي على هذه الحال مستغلاً للتحوّلات الاقتصادية والسياسية التي كانت تحدث بين الفينة والأخرى كلّ بضع سنوات، خاصة إذا حدثت تغيّرات في الحكومات من الوزراء والولاة وحول شركاته إلى مؤسسات استثمارية حتى تستفيد من عديد المزايا التي تمنحها الدولة، كالتسهيلات في الحصول على القروض البنكية الكبيرة والإعفاءات الضريبية والجمركية، وقام أيضاً بالاستيلاء على عديد المؤسسات الحكومية المفلسة واشتراها بالدينار الرمزي بالتواطؤ مع بعض الإداريّين الحكوميين الفاسدين.

ثم قاطعه محمد قائلًا؛ نعم صحيح، فكلّ ما سمعناه ينطبق على أغلب رجال الأعمال وكبار التّجار، فأغلبهم انتهازيون استغلوا مراحل التحول التي مرت بها البلاد خلال العقود الفائتة للاغتناء بشتى الطرق. وسأله سليم قائلًا؛ لكن ما نريد معرفته كيف أصبح طالبًا جامعيًا؟ وكيف يحصل على المرتبة الأولى بامتياز؟ وينال تقدير واحترام وتبجيل الجميع؟!

صمت قليلا وهو يفكّر ثم حك رأسه وأردف قائلًا؛ هنا بيت القصيد، سبب عودته لمقاعد الدّراسة هو رغبته في الترشح للمجلس الشعبي الوطني، وحصوله على منصب داخل البرلمان، حتى تكتمل صورته القويّة أمام الشعب، ويقال عنه في الحملات الانتخابية رجل الأعمال الدكتور الحاج إبراهيم، ولا يدع أي ثغرة للانتقاد والانتقاص من هيئته ومكانته، وتكتمل صورة الرجل القوي ماليا وعلميا وثقافيا أمام الجماهير، حتى أنّ دراسته واصلها عبر التعليم عن بعد لغاية اجتياز امتحان البكالوريا، ويقال أيضًا أنّه اشترى جميع أفراد أمانة الامتحان، وكان يرسل لهم الغداء الفاخر من أحد مطاعم إخوته طيلة أيّام الامتحان، كما يشاع كذلك أنّه بعد إعلان النتائج ونيله لشهادة البكالوريا مباشرة، أرسل مدير التربية شخصا ورئيس أمانة الامتحان لأداء مناسك العمرة كهدية لهم جزاء تعاونهم معه، حيث أنّهم كانوا

يستبدلون إجاباته في أوراق الامتحان بأخرى نموذجية جاهزة، يعدّها بعض الأساتذة في الأمانة، لدرجة أنّه نالها بامتياز، ويقال أيضا أنّه على علاقة خاصة مع رئيس الجامعة شخصيا، وكلّ نوابه والأمين العام أيضا، وأغلب عمداء الكليات ورؤساء الأقسام والمصالح، فالجميع يهابه ويتودّدون له لكسب مرضاته حتى يزكّهم لدى رئيس الجامعة طمعًا في حصولهم على ترقّيات سريعة أو مناصب أعلى من التي يشغلونها.

سليم وهو يضرب كفيه ببعضهما تارة ويمسك برأسه تارة أخرى، حقًا إنّّه أخطبوط وتمتدّ أرجله في كلّ مكان، ومن الصّعب جدًّا أخذ الحق منه إن كان كلّ هؤلاء جميعا وراءه ويدعمونه.

صلاح: المشكلة أنّه ليس لوحده ينال أعلى العلامات في كلية الحقوق، بل يتوسّط للكثير من أصدقائه وزملائه ومعارفه في بقية التخصصات للحصول على نفس الشيء.

محمد: إن كان كلّ ما قلته صحيحًا فالأمر جدّ خطير، قال ذلك بحزم شديد وهو يفتح عينيه ويقبض على كفّيه بشدة.

ثم تقدّم نحو سمير وهو يحدّق فيه مباشرة وقد احمرّت عيناه، وصاح بقوة، ولتصحح الوضع يجب علينا أن نبذل الكثير من الجهد



ونضعي بالكثير من الوقت، وأن نستعدّ لذلك من كلّ النواحي، ولا يكون عملنا اعتباطيًا، بل يجب أن يكون منظّمًا وعلى مراحل وفي إطار قانونيّ بحث، حتّى نستطيع حماية أنفسنا من كلّ التّبعات والمتابعات.

ثم تقدّم منه أمين وهو يربط على كتفه مهدّئًا من غضبه قائلاً؛ يجب أولاً الانطواء تحت جناح المنظّمة الطلابية الحرّة كما اتّفقنا ومن خلال ذلك يمكننا فهم سرّ كلّ العلاقات بينه وبين كبار المسؤولين والإداريّين، وبعد ذلك تأتي تدريجيّاً بقية المراحل الأخرى من تعبئة للطلبة والطعون والوقفات الاحتجاجيّة والإضرابات.

وبعدها نهض سمير من مكانه وهو يهّب بالخروج قائلاً؛ الآن قد قلت لكم كلّ ما أعرفه عن الحاج إبراهيم خارج وداخل الجامعة واعذروني سأغادر لأنّي تأخّرت عن وقت نومي.

صلاح: أنت مشكور على كلّ التّوضيحات التي أخبرتنا بها، ونتمنّى أن يوفّقنا الله جميعاً في الماضيّ قدماً نحو استرجاع حقوق الطلبة المهضومة من كلّ النواحي.

محمد: سنبدل قصارى جهودنا لاستعادة كلّ الحقوق المسلوبة ولن نكلّ أو نملّ أبداً، ولا يزال أمامنا طريق طويل لاكتشاف الكثير من الخبايا.

أمين: مشاكل الطلبة ومعاناتهم لا تقتصر فقط على الجانب الدراسي البيداغوجي، بل تتعداه لمشاكل الإطعام والنقل وسوء الإقامة والكثير من المشاكل التي لا حصر لها كما تعرفون.

وارتضى صلاح وسليم على سريريهما لأخذ قسط من الراحة، بينما خرج محمد وتبعه أمين إلى شرفة الغرفة.

محمد وهو يتكى على حائط مقدّمة الشّرفة ويمدّ بصره بعيداً إلى شرفة زهيرة ونورة، وهو يتنهد ويأخذ نفساً عميقاً، أظنّ أن الحمل يزداد علينا ثقلاً يوماً بعد يوم، والمشاكل التي تعاني منها الأسرة الجامعية لا تنتهي، والطريق الذي اخترناه للدّفاع عن حقوق الطّالب محفوف بالمخاطر.

أمين: كنت أظنّ أنّ مشاكل الطّالب تنحصر في بعض المطالبات بتحسين وجبات الإطعام فقط، لكن مع الأيام اتّضح لي أنّ معاناة الطّالب لا تنتهي في أدقّ تفاصيل حياته اليوميّة.

محمد: ما دمنا قد بدأنا المسيرة في هذا الدرب لن نتراجع أبداً، حتى نحقق كل المكاسب المرجوة، وهناك الكثير من الخبايا التي لازلنا لم نكتشفها إلى حدّ الآن، وربّما إذا مارسنا العمل النقابي الطلابي

سنكشف الكثير من الحقائق، ثم عاودا الدّخول للغرفة وارتميا في سريريهما وغطّيا في نوم عميق.

ومرّت الأيام على تلك الحال، حيث كان الأولاد يتوجّهون في بعض الأحيان للمراجعة سويًا في المكتبة كعادتهم رفقة الفتيات، خاصة عند إنجاز البحوث الجماعية والتسكّع أحيانًا في ساحات الكليات، والجلوس معًا مساءً في الساحة المقابلة لإقامة الطّالبات، أما بعد العشاء فكانت زهيرة ونورة يمكنن بغرفتهنّ وأحيانًا يتابعن بعض حلقات المسلسلات بالنادي الداخلي للطّالبات، أما محمد وأمين وصلاح وسليم فإنهم كعادتهم يبقون في نادي الطّلبة للعب الدومينو أو الورق لأوقات متأخرة من اللّيل، وفي عطل نهاية الأسبوع كانوا يقيمون مباريات ودية لكرة القدم تنتهي أغلبها بالمشاجرات والمنازعات عن أحقية كلّ فريق منهم في الفوز وتحيز الحكم، ويتصالحون مساءً عند الالتقاء في طابور العشاء، وأحيانًا يبقى الصّراع والتّشاحن والجدال لأيّام أخرى ينتهي بالتّصالح قبل إعادة إقامة مباريات أخرى.

كانت الأيام تقريبًا متشابهة حتى أن زهيرة لم تردّ على محمد بأيّ جواب، وكانت تتعامل معه بصفة عادية وأصبحت تتجنّب البقاء معه على انفراد، أو الخوض معه في أي موضوع من هذه الناحية، وكان جلّ كلامها عن الامتحانات والواجبات الدّراسية وعن التّخطيط لانتخابات

عضوية منظمة الطلبة الأحرار، على عكس أمين ونورة اللذين كانا يلتقيان بمفردهما في كثير من الأحيان، حتى أنّهما ينزويان لوحدهما في القسم ويتبادلان الحديث بخصوص مستقبلهما بعد التّخرج والتّخطيط لحياتهم المستقبلية بعد الزواج، أما صلاح كان كثيرا ما يتركهم ويذهب لصالة التدريبات لكمال الأجسام ليمارس هوايته المفضلة في حمل الأثقال، وسليم كان أحيانا يرافقه وأحيانا أخرى يذهب بدوره للنادي الثقافي، حيث يمارس هوايته المفضلة في المشاركة بتدريبات بعض العروض المسرحية التي تحضر عادة لمناسبات قادمة مثل عيد الطالب وعيد العلم وعيد العمال، والمناسبات الوطنية كعيدي الثورة والاستقلال.

كان محمد كعادته يسعى جاهدا لتقديم يد العون للجميع، خاصة في المسائل القانونية التي برع في إيجاد حلول لها، لكلّ من وقع في مشكلة ما أو احتاج لتفسير ما.

وفي أحد الأيام من منتصف الفصل الثاني، بينما كان محمد وأمين وزهيرة ونورة عائدين من حجرات الدّراسة إلى الإقامة كعادتهم ماّرَيْن بجانب مصلحة التدريس لفت انتباههم إعلان معلق كبير فتقدّما ليطّلعوا عليه، إنّهُ يخصّ بداية الترشح لعضوية جديدة لمنظمة الطلبة الأحرار.

نورة: وأخيرا فتحوا باب الترشح للعضوية التي انتظرناها بفارغ الصبر، وبدأت تقرأ ما كتب فيه جهراً: تعلن منظمة الطلبة الأحرار عن فتح باب الترشح لإعادة عضويتها في أجل أقصاه ثمانية أيام من بداية نشر هذا الإعلان، فعلى الراغبين في ذلك من الطلبة سحب استمارة طلب الترشح من مكتب المنظمة وإحضار نسخة من الشهادة المدرسية. محمد: غداً نتوجّه جميعنا لنقوم بسحب وإيداع طلباتنا، فهذا الإعلان معلق منذ ثلاثة أيام ولم نلاحظه أو يخبرنا أحد بذلك، علينا التسجيل بسرعة حتى لا تنتهي الآجال القانونية لاستقبال طلبات الترشح.

أمين: صحيح، على الأقلّ نبدأ في حملتنا الانتخابية مبكراً، ونجمع التأييد والأصوات، فأمامنا أسبوعان فقط قبل إجراء الاقتراع الانتخابي ويجب أن نجتهد كثيراً ولا نضيع هذه الفرصة أبداً.

زهيرة: أكيد فكلّ أماننا كانت معلقة على الانضمام لهذه المنظمة، حتى نؤطر كلّ مطالبنا ودفاعنا عن حقوقنا بصفة قانونية تضمن لنا الحصول على أفضل النتائج والوصول لأغلب أهدافنا المستمرة.

وفي صباح الغد التقى الجميع أمام باب إقامة الطالبات وتوجّهوا مباشرة إلى مكتب المنظمة الطلابية، والذي كان يقع بين رئاسة

الجامعة وعمادة كلية الحقوق في الساحة المركزية، وقد أصرّوا على ترشّحهم جميعاً علّهم يحصلون على أكبر عدد من التمثيل في مجلس الطلبة لهذه المنظّمة التي عرف واشتهر أنّها الأفضل من بين بقية المنظمات الطلابية، والأكثر ميولا لها من طرف الطلبة، وهي الأقوى تمثيلاً لهم في الإدارة ونشاطا في الأوساط الجامعيّة، وعند دخولهم ذلك المكتب الصغير وجدوا طالبين من أنشط الأعضاء بالمنظمة، وهما رئيسها حسين صاحب الثلاثين عامًا، والذي حسب ما يشاع عنه من أخبار فهو على رأس هذه المنظمة منذ سنوات طويلة، والتي لا تنتهي وتتجدّد كلّ سنة، فقد تخرّج من قبل وحصل على شهادة في علم الاجتماع، ثم أعاد التسجيل في الحقوق حتى أنه يتعمّد الرّسوب في بعض السنوات، حتى لا يتخرّج ويبقى رئيسًا للمنظمة، وعلى ما يبدو أنّه العام الرّابع من مساره الدّراسي لنيل شهادة أخرى في الحقوق وهو لا يزال في السّنة الثانية، حيث كان من المفروض أنّه أنهى دراسته وسيتخرّج هذا العام، ويقال أيضًا أنّ له بدءًا طويلة داخل كواليس الإدارة، وأنّه يلقي كلّ الدّعم، والتسهيلات لبقائه رئيسًا للمنظمة من طرف كبار المسؤولين.

وبجانبه نائبه الذي ينحدر من نفس مدينته، والذي يشبهه كثيرا في مساره الدراسي، ويعتبر الذراع الأيمن له وأمين سرّه المدعو ياسين وهو

شاب طويل القامة له لحية طويلة تتدلى على ذقنه ويلبس قميصاً أبيضَ وأحياناً رمادياً، ويظهر عليه الكثير من الورع والتدين، وكان جلّ حديثه عذباً يركز على الآيات والأحاديث التي يستعملها في جلّ نقاشاته وحواراته لإقناع غيره ومستمعيه، حتى ولو كان استعمال تلك الآيات والأحاديث في غير محلّها وموضعها، وتؤدي معنى غير الذي يقصده، وكان يعتبر النّاطق الرّسمي باسم المنظّمة الطلابية الحرّة.

وكانت برفقتهم طالبة أو ممثلة الطالبات في المنظمة المسماة دلال، وهي لا تمت بصلة للجمال كأنّها بينها وبينه خصام، وكانت فتاة سميّنة وقصيرة القامة سمراء البشرة وكثيرة المساحيق، كأنّها تريد أن تغير لون بشرتها من السمرة إلى البياض عنوة، وتضع أحمر الشفاه شديد اللّمعان، وتلوّن ما فوق عيناها بالأزرق الشفاف وتضع رموشاً مصطنعة كبيرة، وأظافر أيضاً من البلاستيك المصقول بنفس لون ما فوق عيناها، وكانت تجلس بينهما على المكتب نفسه، وهي تمضغ العلكة وكثيرة التبسم والضحك والحركة.

وبمجرّد أن وطأت أقدامهم المكتب، إلّا وصاح رئيس المنظمة المنتهية عهده وهو يقوم من مكانه محاولاً أن يظهر على وجهه علامات الفرح لكنها في الحقيقة ممزوجة بغبطة تشعّ من عينيه قائلاً: أهلاً وسهلاً بكم، من دواعي سروري أن تكونوا ضمن المرشحين لنيل عضوية

منظمتي الغالية، وأنا جدّ فخور وسعيد بكم ويبدو أنّ المشعل ستحمّله أيادي أمنة وحريصة على مصلحة الطالب، وقد سمعت الكثير عنك يا محمد رغم عدم معرفتي السابقة والمباشرة بك، وحسب ما قيل لي أنّك نابغة في القانون ولا تتوانى ولا تتأخّر عن مساعدة الآخرين.

نظر محمد إليه نظرة تعجّب واستغراب وعيناه تومضان ببريق من الأمل، ووجهه يمتزج بالحيرة والدهشة في نفس الوقت بهذا الاستقبال الذي لم يكن يتوقّعه من طرف رئيس المنظّمة ذات نفسه، والذي سيكون منافساً مباشراً له في انتخابات تجديد أعضاء المنظّمة، ثم قال: أكيد سنحاول أن نكون إضافة لمنظمة الطلبة الأحرار وسنكتشف أولاً مبادئها ومسارها وقوّة نضالها وهذا طبعاً بمساعدتكم، حتى نسير على خطى من شيدوا وبنوا قبلنا مسار النضال الطلابي الحر، مع محاولتنا طبعاً تقديم الإضافة والتجديد.

ثم تدخّلت نورة وهي تقطب حاجبيها قائلة: أنت لم تسمع سوى عن محمد لكنّك لا تعرف من وراءه؟ ثم التفتت إلى محمد وغمرت له بعينها اليسرى وابتسمت ابتسامة خفيفة، وعاودت النظر في وجه رئيس المنظمة وقالت وهي تشير بيدها إلى زملائها: هؤلاء جميعاً سيترشحون، وهم أذرع محمد وسنده، ثم حدقت في عينيه مباشرة



وعقّبت على كلامها قائلة؛ ما عليكم سوى تسليم المشعل إلينا  
وسنكون لكم شاكرين، قالت ذلك في نوع من السخرية والاستهزاء.

وتحوّل اندفاع نورة إلى حماس لزميلتها زهيرة على الرغم من أنّها فتاة  
رزينة عاقلة، فقد سال لعابها وقالت نعرف أن هذه المنظمة الأفضل  
عملا وخدمة للطالب، لكن يبدو أنّها في حاجة إلى تجديد ودفع بعض  
الدماء النقية في شرايينها وسنبنّي صرحها من جديد.

وخطف أمين الكلام قائلاً؛ وكأنّه يريد أن يهدّي الوضع وأن يتجنّب  
تحول الحوار إلى جدال وصراع بالمعاني والكلمات، نعرف جميعاً أنّكم  
لم تبخلوا على الطلبة بمجهوداتكم، وقدّمتم كلّ ما تملكون للدفاع عن  
حقوقهم، وعملتكم كلّ ما بوسعكم لتحسين أوضاعهم، وأنتم  
مشكورون على ذلك لكن يبدو أنّه حان الوقت لتسليم المشعل.

وقطب رئيس المنظمة ما بين حاجبيه بشدّة وتلوّن وجهه بين  
الصفرة والحمرة، وهو يستمع إلى هذا الحوار في شيء من الذعر  
المبطن الذي تغلفه ابتسامة مزيفة، ولكنه استعاد أخيراً رباطة جأشه  
وقال في لهفة جافة: الباب مفتوح للجميع، حتى ولو ترشح للعضوية كل  
طلبة الجامعة أجمعين، ومن دواعي سرورنا التجديد في الأفكار  
والجدية في الأعمال، لكن بشرط عدم المساس بمبادئ المنظمة  
ومسارها المعهود فقد سيّدته سواعد الأحرار.

ثم ما فتى أن تدخّل سليم وهو بهمّ بوضع شهادته المدرسية على المكتب وقال مبتسماً: هل نستطيع الآن الحصول على استمارات طلب الترشح للعضوية فالوقت يداهمنا، وقد يلتحق طلبة آخرون لنفس الغرض ولا يسعهم هذا المكتب الصّغير.

فتدخّل نائبه ياسين الذي كان منشغلاً بترتيب بعض الوثائق، ورفع رأسه وهو يمشط لحيته الطويلة ويفركها برأس أصابعه قائلاً؛ بالتأكيد ثم التفت إلى زميلته دلال: قدّمي لهم استمارات طلب المشاركة في انتخابات العضوية وتسلمّي منهم نسخاً من الشّهادات المدرسية، ولا تنسي تسجيلهم في الدفتر الخاص بذلك.

قامت إليهم مسرعة وكأنّها تريد التّخلص من وجودهم الذي يبدو أنّه أزعجها وأفسد عليها جلستها الحميمة رفقة زميلها، ثم تناولت الشهادات المدرسية وأخذت تقلّبها الواحدة تلو الأخرى، وتذكّر أسماء أصحابها بصوت مرتفع فيه نبرة من الغضب المكتوم، صلاح.. سليم.. نورة.. محمد.. زهيرة.. أمين.. ثم نظرت إليهم وهي تعصّ شفها السفلى وتحركّ رأسها إلى الأمام تارة والخلف تارة أخرى، آه جميعكم ترغبون في التّرشح، ثم استدارت للخلف وابتسمت بسخرية، وهي تنظر في عيني حسين، وتخطف نظرة سريعة لنائبه ياسين، ورمتها على المكتب وتناولت معها مجموعة من الاستمارات ودفتر أخضر كبيراً، ثم

وضعتهم على طاولة مهترئة أمامها كرسيين خشبيين خصّصا للاستقبال، وأردفت قائلة: تستطيعون ملء استماراتكم بأنفسكم، ولا تنسوا تسجيل أسمائكم وأرقام تسجيلاتكم في الدفتر، وعادت مسرعة إلى مكانها وجلست وهي لا تزال تبتسم وتمضغ العلك بتشدّق وتخطف النظرات بين هذا وذاك.

أنهوا تسجيلاتهم الواحد تلو الآخر، وغادروا دون أن يضيفوا أيّ كلمة أخرى، وتوجّهوا مباشرة لحجرة الدّراسة حيث كانوا على موعد مع تقديم بحثهم في مقياس القانون العام للأستاذ عزّ الدين وقد أنجزوا هذا البحث الجماعي بحر الأسبوع الماضي، واليوم حان وقت عرضه في قاعة الدراسة على الأستاذ وبقية زملائهم، وكان موضوع البحث عن نظرية الحقّ والقانون، وعند دخولهم الحجرة والتزام أماكنهم التحق الأستاذ عز الدين بعدهم مباشرة ببضع دقائق، ثم أخذ مكانه وفتح محفظته وتناول قلمًا وكُرّاسًا صغيرًا، بعد أن وضع نظّارته على عينيه، ثم قام وخطّ بعض العناوين والجمل والعبارات على السّبورة وأدار رأسه قائلاً: السلام عليكم وصباحكم سعيد، بحث اليوم عن نظرية الحق والقانون من تقديم الطلبة محمد وأمين وزهيرة ونورة، فليتفضلوا مشكورين، ثم نزل من مكانه على المسطبة وتنحّى جانباً بقرب النافذة.

نهضوا جميعا يحملون بعض الأوراق في أيديهم ووقفوا على المصطبة.

تقدّم محمد قليلا عنهم وافتتح الكلام قائلاً؛ السّلام عليكم جميعاً، سنقدّم اليوم بحثنا الخاص عن نظرية الحق والقانون وقد تعدّدت الأسماء لهذا العلم، فأطلق عليه المدخل للعلوم القانونية، وأصول القانون، وفلسفة القانون، ونظريّة الحق والقانون، والنظرية العامة للقانون، وبالنسبة للذين تأثّروا بالفقه الإسلامي، سمّوه بالمدخل للعلوم القانونية والفقه الإسلامي، وكلّ هذه التسميات موحدة الموضوع فهي تبحث في القاعدة القانونية وأقسام القانون ومصادره وأصول القانون .

ثم توقف برهة وهو ينظر مباشرة في عيني أستاذة وأكمل قائلاً: والقانون هو عبارة عن مجموعة القواعد التي تنظم أنماط السلوك في المجتمع على اختلاف علاقاتها التي تنشأ بين أفراد المجتمع، وتؤدي إلى نشوء حقوق والتزامات على أطرافها، وتتنوع حسب نوعية هذه العلاقات وتطورها، وعليه فإن القانون كائن اجتماعي، يعيش وفقاً لتطورهم مما يعني وجود الرابطة العضوية بين القانون والمجتمع من جهة.

وكان أغلب ما يقوله محمد من ذاكرته الخاصة، ونادرا ما كان ينظر في أوراق بحثه، ليستذكر ترتيب العناوين وبعض مفاتيح الكلمات، وأكمل قائلا؛ وبين الحق والقانون من جهة أخرى، تأكيداً على الترابط بين ركني أصول القانون، القانون والحق، لذلك فإنّ كلّ دراسة للمدخل في العلوم القانونية توجب التعرض لموضوعي الحق والقانون، وهذا ما سنحاول دراسته في هذا البحث، مع إبراز لدور النظريات القانونية في ذلك، والأصول التي استقت منها هذه النظريات قواعدها وأحكامها.

ثم رجع قليلا إلى الخلف وتقدّمت نورة بسرعة وأكملت كلامه في ترابط كبير قائلة؛ وقدّمتنا خطة البحث وفق خطة دراسية وقوفاً على تحقيق أهداف هذا البحث، وعملا يمتدّ نطاقه على فصلين وخاتمة، ثم تقدّمت قليلاً والتفت نحو السبورة وقد تنجّى زملائها بعض الشيء جانبا، وبدأت تكتب خطة البحث وتلقي خطابها في نفس الوقت، أولهما يتناول نظرية القانون على أربعة مباحث، الأول منها مخصّص لدراسة ماهية القاعدة القانونية تعريفاً وخصائص وطبيعة وتمييزها عما يشابهها، وثانيها يعالج مصادر تلك القاعدة القانونيّة، وثالثها مخصّص لأقسامها، ورابعاً مخصص لنطاق تطبيقها، بينما الفصل الثاني سيعالج نظرية الحق من خلال أربعة مباحث أيضاً، أولها مخصص

لماهية الحق، وثانيها يعالج أشخاص الحق، وثالثها يعالج محل الحق، ورابعها مخصص لدراسة حماية الحق، وبالنسبة للخاتمة ستكون عبارة على نتائج واقتراحات.

ثم عاودت التقهقر قليلا للخلف لتتقدم زهيرة في مكانها وتسترسل الكلام قائلة؛ وكانت منهجية البحث لبناء هيكل من المنهجية التحليلية الموازنة وصولا لمعالجة محاور هذه الدراسة وفقًا للرابطة العضوية بين القانون والحق، وصلة القاعدة القانونية بالمجتمع باعتبار القانون كائنًا اجتماعيًا.

واختطف أمين الكلمة وهو يقلّب ما بين يديه من أوراق البحث قائلاً؛ إن دراسة هذا البحث تسعى لتحقيق الأهداف الآتية، الهدف الأول هو بيان الرابطة العضوية بين القانون والمجتمع، والهدف الثاني لإظهار دور نظرية القانون ونظرية الحق في تشكيل أصول القانون، والهدف الثالث لإبراز دور المشرع في إظهار قواعد وأحكام النظريات القانونية وصلتها بالمصادر التاريخية التي استقت منها القوانين، والهدف الرابع لبيان أثر التراث العربي الإسلامي في تجذّر أصول القانون وفلسفته.

ثم عاود محمد الكلام وهو يشمل جميع من في الحجرة بنظرة خاطفة قائلاً؛ هذا ملخص عام عن بحثنا، والآن سنبدأ بإلقاء البحث

كاملا على أسمعكم، ثمّ انطلق أمين وفي كلّ بضع دقائق تحال الكلمة لأحدهم لسرد ما كتب في الأوراق البحثية التي كانت بين يديه، في تناغم عجيب وسلاسة في الإلقاء وبساطة في التعبير، وبعد الانتهاء من ذلك عاد محمّد من جديد قائلاً: الآن نعيد الكلمة إلى أستاذنا الكريم.

الأستاذ عز الدين وهو يتوجّه إلى مكتبه ومهمّ بالجلوس، شكر الطلبة على هذه الحوصلة لبحثهم، وعلى هذا المجهود الرائع والإثراء العلمي لبحثهم، والآن نفتح باب النقاش العام وكلّ من لديه سؤال يتفضّل؟

وسرعان ما رفعت إحدى الطالبات يدها.

الأستاذ: تفضّلي، الطالبة: ما هو تعريف القاعدة القانونية؟

فأجابها أمين قائلاً: دون أن يرجع لأوراقه البحثيّة وكأنّ ما يقوله قد طبع في ذاكرته حرفياً، يقصد بالقاعدة القانونية، القانون المنظم والموجه لسلوك أفراد المجتمع، بطريقة عامة مجردة على سبيل الإلزام والجبر تحت طائلة توقيع الجزاء عند مخالفتها، وبشكل مجمل، فالقاعدة القانونية هي موجّه سلوكي عام يقوم على الجبر والإلزام، وهناك عدة تعريفات أخرى لا يسعنا الوقت لذكرها جميعاً.

طالبة أخرى من آخر الصف تسأل: وما هي خصائصها؟

أمين: حسب تعريفنا السابق الذّكر فإنّ خصائص القاعدة القانونية تتمثّل بأنها قاعدة سلوك اجتماعي، ومنظم عام مجرد وقاعدة ملزمة مكفولة بالجزاء عند مخالفتها.

ثمّ تدخّل الأستاذ عز الدين وشرح بالتفصيل خصائص القاعدة القانونية حتى يتمكّن جميع الطّلبة من فهمها واستيعابها.

وحيثما أكمل شرحه وإثراءه للموضوع تدخّل أحد الطلبة بإلقاء سؤالاً آخر مباشراً قائلاً؛ ما هي فروع القانون؟

محمد: وهو يرسم على الجهة اليمنى من السبورة هيكلًا تنظيميًا لمخطط أقسام القانون، ويكتب عناوين في شكل نقاط متتالية بالترتيب، ويشرح بالتزامن مع ذلك قائلاً؛ ينقسم القانون إلى قسمين عام وخاص.

أولاً: القانون العام والذي يشتمل على قسمين اثنين، أولاً: القسم الخارجي والذي يشتمل على القانون الخارجي والمتمثّل في القانون الدولي العام والذي ينظم علاقات الدول وكذلك الاتفاقات الدّولية والمعاهدات.

والقانون الدّاخلي والذي يشتمل على ما يلي: القانون الدّستوري والقانون الإداري، القانون الجنائي والقانون المالي.



وثانيا: القانون الخاص والذي يشتمل على ما يلي القانون المدني وهو المصدر الأوّل لبقية القوانين حيث تفرّع منه القانون التجاري والقانون البحري والقانون الجوي وقانون العمل والقانون الدولي الخاص.

ثم ألفت طالبة أخرى سؤالاً آخر قائلة: بالنسبة لنظرية الحق وبالضبط منها أحد عناصر الشخصية وهي الأهلية ما هي عوارضها؟

فتقدّمت زهيرة ببطء كعادتها وهي تقلّب بعض أوراق البحث بين كلتي يديها، ثمّ سحبت إحداها وبدأت بالإجابة مستعينة بها قائلة: عوارض الأهلية القانونية باختصار على سبيل الذكر هي لجنون والعته والسفه والغفلة.

لتنوّي الأسئلة بعد ذلك من بعض الطلبة وكانت المجموعة تجيهم بالتناوب وبدقّة متناهية أقنعت الجميع، حتى أنّ بعض الطلبة الذين كانوا يتعمّدون طرح الأسئلة المخرجة والصّعبة لتعجيزهم عن الردّ، لم يستطيعوا الوصول لمبتغاهم.

انهر الأستاذ عز الدين بالمستوى المقدّم من طرف المجموعة وأثنى عليهم كثيراً ودقّ جرس انتهاء الحصّة الدراسية وخرج الجميع متوجّهين إلى المطعم لتناول وجبة الغداء، ومن ثم عادوا لغرفهم لأخذ قسط من الراحة، فقد كان يوماً مكتظّاً ومزدحمًا أنك قواهم بعض الشّيء،

وحتى في المساء لم يسهروا كثيرا كعادتهم، بل ناموا باكراً جزاء التعب والإرهاق.

ومرّ ذلك الأسبوع بسرعة، ليحين بعده بأيّام موعد بداية الحملة الانتخابية للمرشحين في الانتخابات لعضوية منظّمة الطلبة الأحرار، المعروفة بأنّها الأكثر فاعلية في الأوساط الطلابية، والأشدّ تأثيراً في قرارات الإدارة، وجلب المكاسب المتعدّدة للطلبة، حيث علّق إعلان بأسماء المرشحين الذين قبلت ملفّاتهم جميعاً، وكان عددهم واحداً وعشرين مرشحاً من بينهم خمس طالبات، وقد تواجدت أسماء كلّ من محمد وأمين وزهيرة ونورة، ومعهم أسماء أربعة طلبة آخرين من بين تلك القائمة، أشيع أنّهم مدعومون من طرف الحاج إبراهيم، وهم حسين رئيس المنظمة المنتهية عهده، وياسين نائبه أيضاً وممثّل التّوجه الديني الذي لم يغيب عن مقعده منذ نشأة المنظمة، ودلال ممثلة الطالبات ونائبتها ورفيقتها في الغرفة، وهؤلاء جميعاً انتهت عهدهم، وأعادوا التّرشح من جديد، بينما غابت أسماء كلّ من صلاح وسليم وعندما تقرّبوا من الإدارة لكشف أسباب رفض ملفّاتهم تبين لهم أنّ القانون يمنع الطلبة الذين تعرضوا لعقوبات إدارية سابقاً، من التّرشح لأيّ عضوية في المنظمات الطلابية، مهما كانت درجة العقوبة المسلطة عليهم، وهذا ما انطبق عليهما الاثنين وطلبة آخرين مثلوا أمام

مجلس التأديب وسجلت في حقهم عقوبات إدارية، لكنهما بالرغم من ذلك قرّرا أن يكونا على رأس القائمين على الحملة الانتخابية الدّاعمة لزملائهما محمد وأمين وزهيرة ونورة، وقد رخصت الإدارة لجميع المرشّحين الاجتماع في الأقسام والمدرجات، ونادي الطلبة وغرفهم بالإقامات، وتعليق برامجهم الانتخابية والمناشير في الأماكن المخصّصة للإعلانات، وتوزيعها على الطّلبة أيضًا خلال أيّام الحملة الانتخابية التي تدوم لأسبوع.

اجتمعوا مساء الجمعة في يوم العطلة الأسبوعية، بنادي الطلبة اجتماعا سريعا لوضع النقاط العريضة لحملة الانتخابية، وقد انظمّ لهم العديد من الطلبة والطالبات الآخرين الذين آمنوا بقدرات المجموعة على تمثيلهم أحسن تمثيل ورأوا فيهم قدرتهم على الدّفاع عن حقوق الطّلبة، والتّمكن من جلب العديد من المكاسب والامتيازات من الإدارة، وكان هذا الاجتماع مخصّصا لرسم خطة عمل وتحديد برنامجهم الانتخابي الذي سيعرض على الطّلبة خلال حملتهم الانتخابية طيلة أيّامها المحدّدة، والذي ينتهي بالافتراع آخر أيّام نفس الأسبوع، وكان هذا الاجتماع دون سابق إنذار، وتقرّر من خلاله الإسراع في تجسيد عدّة نقاط، أوّلها طبع مناشير ورقية تختصر فيها الأهداف التي ستسعى المجموعة للدّفاع عنها في عدة نقاط موجزة،

ويقوم الجميع بتوزيعها على الطلبة قدر المستطاع، وثانها تحديد اليوم الثالث للتجمع الكبير الذي سيقام في مدرّج ذو سعة واستيعاب كبير، ومحاولة حشد أكبر عدد من الطلبة لحضوره، والإسراع في تعليق المناشير التي تحتوي على البرنامج المختصر الذي ستعمل المجموعة على تجسيده في حال فوزها، وإسناد نفس الأدوار في إقامة الطالبات لكلّ من زهيرة ونورة ورفيقتيهما في الغرفة، والتركيز على الأهداف المسطرة وتجنّب المشاحنات التي يمكن أن تقع مع بقية المنافسين، وقد أعاد محمد وأمين دعوة الداعمين لهم من الطلبة إلى الالتقاء مساءً في غرفتهم، كما دعت زهيرة ونورة الطالبات للقاء بغرفتهما أيضًا، وقد تبرّع لهم سليم بطباعة المنشورات والمطويات والإعلانات في المطبعة التي يمتلكها خاله بوسط المدينة.

وفي تلك الليلة دام سهرهم لغاية الفجر، ليصحبوا جميعاً في يوم الغد بعد الظهيرة جراء الإرهاق والتعب الشديد، وتوجّهوا مباشرة إلى المطعم حيث تناولوا سريعاً وجبة الغداء والتقوا بنورة وزهيرة عند مخرج باب المطعم، ومن ثم أكملوا طريقهم أمام المدرّج الثاني وجلسوا في مكانهم المعتاد تحت ظلّ شجرة التوت المنتصبّة بأهبتها قبالة مدخل المدرج، وبعد لحظات رنّ جرس المحاضرة فهبّوا بالدخول إلى المدرج،

أما سليم انطلق إلى مطبعة خاله في وسط المدينة رفقة صلاح، ليقوما بطباعة المناشير.

مرّت دقائق المحاضرة كأنّها أيام وشهور، وبمجرد سماع رنة الجرس قفزوا جميعاً من أماكنهم متأهّبين، وخرجوا بسرعة متّجهين إلى نادي الطلبة، وهناك التقوا مع سليم وصلاح اللّذين أحضرا المناشير والإعلانات، ومجموعة من الطلبة الداعمين لهم، وسريعاً اسندوا ثلاث طاولات مع بعضها واداروا بها بعض الكراسي، والتفوا حولها جالسين.

وافتح محمد الكلام قائلاً: مساء الخير على الجميع اود أن اشكركم عن التفافكم حولنا ووقوفكم إلى جانبنا، في هذا اللحظة الفاصلة لإحداث التغيير، ثم أخذ يقسم تلك الإعلانات والمناشير إلى مجموعات صغيرة وزعها سليم على جميع الحاضرين، وأكمل كلامه قائلاً: يجب أن تصل هذه المناشير إلى أكثر عدد ممكن من الطلبة، وسنوزع منها قدر المستطاع غدا في التجمع الذي سنقيمه في المدرج الثاني، وكذلك أمام مدخل باب المطعم، وفي الإقامة على غرف الطلبة، وفي كلّ مكان، أما الإعلانات سنعلّقها هذه الليلة في الأماكن المخصصة لها، ويجب أن نتجنب تعليقها عشوائياً ونحترم قوانين الحملة الانتخابية، ثمّ سكّت برهة وهو يقلّب بعض الأوراق ورفع رأسه ليشمل جميع من حوله

بنظرة فيها مغزى وأملاً كبيراً ونطق من جديد متسائلاً، من لديه اقتراحات أو تدخّل فليتفضل ويثرينا بها؟

توالت التّدخلات والاقتراحات التي قدّمها أغلب من كانوا متواجدين في الاجتماع، وكانت النقاشات جدّ ثرية، واتفقوا على الكثير من نقاط العمل التي سطرّت في جدول لإتباعها خطوة بخطوة، ولم يدم ذلك الاجتماع سوى ساعة ونصف الساعة وخرج الجميع، كلّ منهم اتّجه نحو المكان الذي كلّف بالعمل والدعاية فيه.

صالح وسليم بدءا بتعليق الإعلانات التي تدعو للتّصويت للمجموعة، وفيها نقاط من برنامجهم الانتخابي.

أمّا زهيرة ونورة وبعض الفتيات اتّجهن مباشرة إلى الإقامة وقمن بتعليق الإعلانات، وبدأن أيضا بتوزيع المنشورات.

وعاد محمد وأمين إلى الغرفة وبدءا بالقيام بنفس العمل، بداية بتوزيع المناشير بجناح إقامتهما، وفي طابور الدّاخلين للمطعم أيضاً، وقضوا ذلك المساء يجوبون أنحاء الجامعة من مكان لآخر لوقت متأخّر من اللّيل.

وفي يوم الغد التقوا جميعاً في المدرج الثاني وبدؤوا عملية التحضير للتجمع الطلابي الذي سينشطونه بعد الظهر، فصالح وسليم

كعادتهما بدءا بتعليق الإعلانات في مدخل المدرّج، ثم أخذاً يتفقّدان مكبرات الصوت وضبطاها، بينما انزوى محمد وأمين وزهيرة ونورة المرشحون في مقدّمة المدرج وهم يراجعون البرنامج المسطر، ويناقشون كيفية توزيع الأدوار في إلقاء كلمة الافتتاح والختام، وكيفية الإجابة عن الأسئلة المتوقّعة من طرف الحضور، والإلمام بكلّ صغيرة وكبيرة سيقومون بها أثناء التجمع، وفي آخر المدرج اجتمع مجموعة من الطلبة المؤيدين والداعمين لهم، وهم يقتسمون مجموعة من المناشير والمطويات لتوزيعها على الحاضرين.

ومرّت سويغات التّحضيرات كالبرق، وبدأ الطلبة يتوافدون على المدرج تباعا فرادى وفي مجموعات، حتى امتلأ المدرّج عن آخره، بل لم يجد الكثير منهم مكاناً للجلوس فاصطقّوا واقفين على الجانبين واستندوا على الحائط الأخير.

أخذ المترشحون أماكنهم في الواجهة على المصطبة وراء ذلك المكتب الطويل الذي اصطفت وراءه كراسي جلدية سوداء، أما صلاح وسليم فقد تواجدا تقريباً في كلّ مكان، فهم من يحرصون على تنظيم كلّ صغيرة وكبيرة، وإرشاد المتعاونين معهم لكيفية الدّعاية وبث روح الأمل والثقة في نفوس الحاضرين، بل حتّى في نفوس الفضوليين الذين يمرون تارة لاستكشاف المكان ويغادرون سريعاً، وكان من بين الحضور

الأستاذين عز الدين والأستاذة حفيظة اللذين كانا يقدران محمد كثيرا ويدعمانه.

افتتح محمد الكلام قائلا؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، مرحبا بكل طلبتنا الأعزاء، في إطار حملتنا الانتخابية لنيل العضوية في مكتب منظمة الطلبة الأحرار، ها نحن اليوم نعقد هذا التجمع الطلابي الكبير، لنكشف عن برنامجنا العملي الذي سنجسده في الواقع، راجين أن نلقى منكم الدعم الكافي والثقة والتزكية لتمثيلكم أحسن تمثيل، وسنبذل كل ما بوسعنا للدفاع عن مكتسبات وحقوق الطالب، وسنرفع راية تحسين حياته الجامعية المختلفة، سواء الدراسية أو في ما يخص الخدمات الجامعية التي يستفيد منها، وسنحاول جلب الكثير من المكتسبات الجديدة التي يتطلع لها الطالب، ثم سكت قليلا وهو بهم بفتح دفتر كان أمامه، وبدأ يقلب أوراقه وواصل كلامه قائلاً؛ وقد سطرنا برنامجا عملياً في عدة نقاط لتحسين مختلف ما يخص الطالب سواء في الحياة الاجتماعية كالسكن والإطعام والنقل.. والدراسية والترفيهية للطلاب في المجالين الثقافي والرياضي ونذكر منها ما يلي؛

العمل على إصلاح المنظومة التدريسية لتكون أكثر شفافية وعدلا، وطلب فتح مسابقات لتوظيف أساتذة أكثر تخصصاً لتحسين جودة



التعليم خاصة لبعض الأقسام التي تعاني نقصاً فادحاً من هذا الجانب.

المطالبة بتخصيص بعض حافلات النقل الجامعي بين البلديات وعاصمة الولاية مباشرة حتى تخفّف عبئ التنقل عن الطّلبة القاطنين بالضّواحي والبلديات.

المطالبة أيضاً بإنشاء مشاريع لإقامات جديدة لتخفيف الاكتظاظ السكني في الغرف ليصبح كلّ طالين في غرفة بدلا من أربعة طلاب في غرفة واحدة.

العمل على تحسين الوجبات لتكون كاملة وأكثر صحية وخاصة في شهر الصيام، ومراقبة مدى تطبيق برنامج التّغذية المسطرّ من طرف الوزارة الوصية، ومسألة النّظافة والحرص على صحّة الطالب.

ثمّ رفع رأسه وهو ينظر لكلّ الحاضرين بالقاعة وأردف قائلاً؛ هذه أهمّ النقاط التي سنركّز عليها في حال فوزنا بالعضوية، وسنعمل جاهدين على تحسين كلّ ما يخصّ الطالب الجامعي، ثم نظر على يمينه وأكمل كلامه.. سأترك الكلمة الآن لزميلي أمين، ودوت القاعة بالتصفيق والتصفير وارتفع صوت صلاح بين الحضور وهو يصيح محمد... محمد... محمد... ثم تبعه سليم والكثير من الحاضرين وأصبح

صوت القاعة بكامله يدوي بصوت واحد: محمد.. محمد.. محمد.. وما أن انخفضت الأصوات حتّى بدأ أمين يتكلم وقد استولت عليه بعض الدهشة ووقع في الحيرة والارتباك، فهذه المرة الأولى التي يتكلّم فيها أمام هذا الجمع الغفير من النّاس، كان في تلك اللّحظة ممسكًا قلمًا وينقله بين أصابعه، وهو يقلّب بعض الأوراق التي كانت أمامه، ويشرح شرحًا مفصّلًا بعض نقاط البرنامج التي ذكرها محمد قبله، وبعدها أكمل تدخّله نظر إلى يمينه حيث كانت تجلس نورة بجانبه وقال؛ والآن سأحيل الكلمة لزميلتي، وتلقّفت نورة الكلمة مباشرة وتكلّمت عن العديد من المشاكل التي تعاني منها الطالبات، خاصة بالإقامة واقترحت بعض الحلول، ثم ما لبثت أن أحالت الكلمة لزهيرة التي ذكرت بدورها بعض النقاط التي لم تذكرها نورة، وطلبت من الحضور أن يثقوا في إمكانياتهم ويمنحوهم الثّقة لتمثيلهم، ثم أعادت الكلمة لمحمد والذي طلب من الحاضرين طرح الأسئلة التي يريدون وسرعان ما ارتفع صوت من وسط القاعة، إنّها تلك الفتاة القصيرة الصّاحبة صاحبة الزينة والمظهر الجريء، العضو السابق المنتهية عهدها ومنافستهم في الانتخابات دلال التي التقوا بها جالسة رفقة رئيس المنظّمة السابق في مكتبه، فصاحت بلهجة شاعت فيها رنة دعاية وهي

تقول؛ تكلمتم عن عديد النّقاط لكنكم لم تبينوا طريقة مسايرتكم للإدارة؟

وكان في سؤالها نوع من التعجيز، لكن محمد أجابها بذكاء وبرودة شديدة قائلاً؛ أكيد نحن بمثابة شريك اجتماعي وسيكون كلّ عملنا بالتنسيق مع الإدارة، ومحاولة تفادي كلّ اصطدام أو صراع، ثم تبسّم وسكت عن الكلام.

وبدأ صلاح وسليم كالعادة بالتصفيق لتهتّز بعدهما القاعة بدويّ كبير وتصفيق وتهليل ممزوج بصياح وتصفير، وتوالى عديد الأسئلة من طرف الكثير ممّن كانوا في القاعة، وكانت المجموعة تجيهم بالتناوب وبتناغم كبير، دون كلل أو ملل أو امتعاض، وبرحابة صدر لم يسبق لها مثيل، وهذا ما أثار غيظ بعض الزّائرين والحاضرين من المندسّين من طرف بقية المرشحين، وتوالى إجاباتهم على كل الأسئلة دون الحاجة إلى أن يبذلوا جهداً كبيراً أو لإقامة الدلائل والبراهين.

وعندما هدأت القاعة وانتهى وقت طرح الأسئلة، قال محمد بصوت عذب مليء بالفرح، الآن لقد انتهى الوقت المسموح لنا في هذا التّجمع، ونشكر جميع من دعمنا بحضوره وأثرى هذا التّجمع بالأسئلة الوجيهة، ونتمنّى أن نكون عند حسن ظنكم، وإلى لقاء آخر والسلام ختام.

ثم جمعوا أوراقهم ونهضوا وغادروا المدرّج، وفي نفس الوقت كان صلاح وسليم وبقية المتعاونين يوزّعون المناشير عند مخرج الباب لكلّ المغادرين.

ومن الجانب الآخر كانت المجموعة التي يتزعمها رئيس المنظمة السابق حسين، الذي انتهت عهده للتو ونائبه ياسين ذو اللّحية الطويلة المختبئ وراء ورع الدين، ونائبته دلال الفتاة القصيرة بارزة القوام والزينة، وطالب آخر يدعى خالد كان عضوا سابقا هو الآخر برفقتهم، يعقدون الاجتماعات المتتالية ويحشدون حولهم الكثير من الطلبة لدعمهم، وقد منحت لهم جميع التسهيلات الإدارية للقيام بحملتهم الانتخابية، وكان من أكبر الداعمين لهم بالعدة والعتاد وحتى المال الحاج إبراهيم، الذي لم يكن يظهر كثيرا ما عدا أيام الامتحانات، بحكم أنّه رجل أعمال ولا يملك الكثير من الوقت، وقد أشيع أن الإدارة نفسها تفضّل بقاءهم واستمرارهم على رأس المنظمة الطلابية الأكثر حضورا وعضوية وتمثيلا للطلاب.

وكان تجمعهم في اليوم الموالي، وحضر الحاج إبراهيم بنفسه، هذا الرجل الفارع الطول الذي بدأ شعر رأسه في التساقط، وأصبحت صلعة رأسه تبرز من تحت ما بقي من شعره الأملس الذي أصبح يمشطه جانبا ليواري ما يستطيع من صلعه، والذي يرتدي البدلات

الكلاسيكية غالية الثمن، ولا يتخلّى عن ربطة عنقه الأنيقة، وساعة يده ذات الماركة العالمية الغالية، والذي كان أغلب الوقت محاطا بشخصين قريبين من عمره تجاوزا الأربعين بقليل، فهما كظله لا يفارقانه أبداً، ومجموعات أخرى من الطلبة الذين كانوا يسعون دوما لخدمته، عسى أن يظفروا ببعض الفتات، سواء بالتوسط لهم عند وقوعهم في أزمات، أو للحصول على الدّعم من بعض الأساتذة الذين يتودّدون إليه لكسب رضاه، أو لكسب بعض الامتيازات الأخرى كتناول بعض الوجبات التي كان يدفع ثمنها بسخاء، حتى أنه أحضر فرقة كشفية ودفع ثمنها لتنشيط الحملة الانتخابية، وكذلك مصوّرين وهناك من الأساتذة والإداريين من حضروا هذا التجمع أيضاً، فهم لا يستطيعون عدم تلبية دعوة الحاج إبراهيم، وكان تجمعاً في شكل احتفال، حيث جلبوا الحلويات والمشروبات والبالونات الملونة، وافتتح حسين التّجمع ببعض كلمات المدح والثناء على رئيس الجامعة ونوابه، والطاقم الإداري على رأسهم الأمين العام، معبراً عن ارتياحه لما تشهده الجامعة من نمو مستمر وتقدم ملحوظ على شتى الأصعدة والميادين، والاستقرار الكبير في ظل حكم هذا الرئيس الذي جلب المكاسب المتعدّدة للطلبة أجمعين.

وأكمل بعده نائبه ياسين ذو اللحية الطويلة، الذي ارتسمت هالة سوداء على منتصف أعلى جبينه، صاحب القميص الأبيض الناصع الذي لا ينتزعه من جلده إلا نادرا الخطاب، بمدحه وثنائه على رئيس الجامعة والحاج إبراهيم أيضا وكلّ من يقف معهم، وقد كانت جل عباراته كعادته مغلفة بالدين والحكمة، ومبطنة بالكذب والخديعة، وكانت كلماته تخدر آذان المستمعين، لما تحتويه من قصص دينية وأمثال شعبية كثيرة يستعملها في غير موضعها لتمازج مع أهدافه وما يصبو إليه، وتجعل المستمع يصدّق ما يقول دون أدنى تفكير، فهو يعزف على الأوتار الحساسة للدين الذي يقدّسه الجميع، أما عن برنامجهم فقد قال باختصار: برنامجنا تعرفونه جميعا وهو الدفاع عن الطالب مهما كان وتحقيق العدل والمساواة بين الجميع.

ثم ما فتئت أن انطلقت الزغاريد الممزوجة بالتصفيق والتصفير والتهليل، وانطلقت بعدها الفرقة الكشفية في عزف مقطوعات متّصلة من الوصلات الموسيقية، وفي نفس الوقت أخذ مجموعة من الطلبة يوزّعون الحلويات والمشروبات في أكياس صغيرة على الحاضرين، وكان هذا التّجمع أشبه بالمهرجان، واختلط الحابل بالنابل في مشهد قلّما تشهد الجامعة له نضيّرا، ما عدا أيّام الاحتفالات بالمناسبات الوطنية والطلابية.

مرّت أيام الحملات الانتخابية لكلّ المرشحين، وجاء يوم الاقتراع الذي نظم في قاعة المحاضرات الكبرى في آخر أيام الأسبوع وقد أسندوا رئاسة مكتب الانتخاب لمدام دلال، رئيسة مصلحة التدريس وزميلها أنور ووليد.

بدأ الطلبة المنتخبين التوافد باكراً إلى صناديق الاقتراع، لدرجة أنّهم اصطقّوا في طابور طويل على جانبي المدخل الرئيسي للقاعة، وبمجرّد أن فتحت الأبواب هبوا إلى صناديق الاقتراع للتصويت، وكانت أعداد هائلة من الطلبة تخرج في مجموعات متباينة من غرف الإقامة الجامعية والمدرّجات وأقسام الدراسة، ويتدفّقون على مكتب الانتخاب، وكان جلّ حديثهم عن المتنافسين الأكثر بروزاً، مجموعة محمد المرشّح الجديد الذي يحمل لواء التغيير والإصلاح، ومجموعة حسين المرشّح القديم الذي يحمل مشعل مواصلة المشوار، فهناك من يؤيّد التّغيير بقوة ويسرد الدلائل والحجج والبراهين، وهناك من يريد المواصلة على النهج القديم ويعدّد المزايا والمحسن وينشد الاستقرار كما يراه.

كان يوماً أشبه بالعرس، وقد منع على جميع المرشّحين التّجول داخل مكاتب الاقتراع، أو أي محاولة للتأثير على المنتخبين أمام قاعة المحاضرات الكبرى أين يقام التّصويت، وبعد منتصف النهار جاء وفد

من رئاسة الجامعة للتّحضير مسبقا لقدم رئيس الجامعة شخصيًا والوفد المرافق له كما جرت العادة دائما.

وبعد الظهيرة قدمت عدة سيارات تابعة لرئاسة الجامعة، وكانت تتوسّطها سيارة سوداء فخمة معتم زجاجها لا يرى من بداخلها، وتوقّفت مباشرة أمام المدخل الرئيسي حيث يقام الاقتراع، وتدفّقت أمامها مجموعة كبيرة من أعوان الأمن الدّاخلي والحراس وهم يركضون في كلّ مكان ويفسحون الطّريق، وفي لحظات سريعة نزل منها نواب الرئيس وعمداء الكليات والأمين العام للجامعة، وبقية الحاشية من المدراء الفرعيّين وكبار الإداريّين، ورؤساء نقابات الأساتذة والموظّفين والعمال المهنيّين، واصطفوا على الجانبين متقابلين في شكل رواق يبدأ من السيارة السوداء المعتمدة إلى غاية باب القاعة.

ثم ظهر رئيس مصلحة الأمن الدّاخلي والحراسة السيد عثمان وهو يفتح الباب الخلفي للسيارة في خفّة منقطعة النظر.

لينزل رئيس الجامعة، الذي يجبذ أن ينادونه باسم الرئيس المدير العام للجامعة، فهو رجل متوسط الطول في العقد الخمسين من عمره يرتدي معطفا قطنيا أسودّ وتحتة بذلة كلاسيكية مستوردة، ونظارة طبية لا تكاد تفارقه أينما حل وقد غزا شعره الأسود الأملس بعض الخصلات من الشيب.



وقف برهة وهو يهزّ رأسه ليتأمل جميع من أمامه في نظرة خاطفة، ثم تقدّم تدريجيًا بخطوات متثاقلة، وبدأ بمصافحة المصطفين على جانبي الرّواق، وكانوا يقدّمون التّحية بانحناءة رأس خفيفة نحو الأمام، وكان هو بدوره يتقدّم رويدا رويدا متبسما، إلى غاية اجتيازه باب القاعة، ثم تبعه كلّ من كانوا بالصف وهم يركضون خلفه، وكان يتقدّم بجانبه الأمين العام للجامعة الذي كان يشرح له ما يحدث، وكان رئيس مصلحة الأمن الدّاخلي والحراسة عثمان يفتح له الطريق، إلى غاية وصوله أمام صناديق الاقتراع حيث مدام مدام نوال وأنور ووليد.

وبادرها بالقاء التّحية متبسما، مرحبا مدام.

فردّت بفرح شديد: مرحبا بك سيدي الرئيس المدير العام للجامعة.

ثم سألهما مبتسما: كيف تسير الأمور؟

فردّت في بهجة وسرور والابتسامة لا تغادر محياها: بشكل ممتاز سيدي وكلّ شيء على ما يرام، وهذا بفضل حرصكم الكريم على إنجاح هذا العرس الانتخابي.

فتبسّم وردّ عليها قائلا: أبلّيت حسنا، ثم قرّب رأسه من الأمين العام قائلا بنبرة خفية: يجب أن تكرّم في عيد المرأة نظير ما تبذله من مجهود.

ثم تقدّم نحو أنور ووليد وألقى عليهما التحية، فردا كلاهما بصوت واحد وبفرح شديد، واستدار خلفه ليسأل بعض الطلبة الذين كانوا يصوّتون قائلاً؛ هل الانتخابات تتم بصورة حسنة؟

فردّت إحدى الطالبات قائلة؛ نعم سيدي الرئيس كل شيء على ما يرام، ونطق طالب آخر كان برفقتها، لقد وفّرت كل الظروف المناسبة للسير الحسن لانتخابات نزيهة سيدي الرئيس.

تبسم الرئيس ثم استدار وهم بالخروج من القاعة، وفي مدخل الباب استوقفه مجموعة من الصحفيين المحليين، وبعض المراسلين للولاية، وكانوا يطرحون عليه عديد الأسئلة التي اعتاد في كلّ مرة سماعها، وكان يجيبهم ويردّ عليهم باختصار، وهرول راكباً في سيارته وتبعه كلّ ذلك الوفد الذي كان يرافقه، وانطلق الموكب بسرعة مغادراً المكان.

وتواصلت بعدها عمليّة الاقتراع إلى غاية العصر من ذلك اليوم، ثم أُغلق المكتب وسمحوا للمرشحين بالدّخول للقاعة لمراقبة عمليّة فرز الأصوات، وجاءت رئيسة مصلحة المستخدمين مدام حليلة وهي تحمل محاضر واستمارات الفرز ودفترًا كبيرًا، وتقدّمت وقامت بفتح الصّناديق، وجلست وأخذت تملأ محاضر الفرز ثم أمرت أعوان الصناديق أنور ووليد بالبدء في عملية فرز الأصوات.

وأخذت رفقة مدام دلال رئيسة مكتب الانتخاب، تسجلان الأصوات في استمارة كلّ مرشّح على حدى، واستمرت عملية الفرز لآخر المساء، ثم جمعت مدام حليلة رئيسة مصلحة المستخدمين كلّ المحاضر والاستمارات، وتوجّهت بهم مباشرة إلى مكتب الأمين العام مؤكّدة أنّ النتائج الرّسمية ستُنشر بعد أيّام، حالما يتمّ ضبطها والمصادقة عليها من طرف المسؤولين، كلّ من الأمين العام ورئيس الجامعة نفسه.

وكان اليومان المواليان لعملية الانتخاب عطلة آخر الأسبوع حيث ركن الجميع للراحة، ومرّ بعدها ثلاثة أيام بأكملها ساد خلالها الكثير من الترقب والتشويق، تبادل خلالها المتنافسون عديد الاتهامات، وسُردت خلالها الكثير من الحكايات، وأشيع عديد الشائعات حول هوية الفائزين.

وفي صباح اليوم الرّابع علقت النتائج في لوحة الإعلانات الرئيسية بالساحة المركزية، ونشرت في مجلة الجامعة قوائم الفائزين، كما أذيعت مساءً على أمواج إذاعة الجامعة المحلية، وقد جاءت النتائج كما كانت متوقّعة من الأغلبية، حيث اقتسم المراتب الأولى المجموعتان الأكثر تنافساً، فجاء محمد أولاً بالتساوي مع حسين رئيس المنظمة السّابق، وبعدهم أمين ونورة ثم ياسين ودلال وأتت بعدهم زهيرة وخالد العضو الرّابع المنتهية عهده، ثم مرشحين آخرين من بقية المجموعات

الأخرى، وعند اطلاع الطلبة على النتائج أقيمت الكثير من الاحتفالات والأهازيج طيلة ذلك الأسبوع، وقد تحوّلت غرفة محمد إلى مكان للتهاني المتواصلة، حيث كان الطلبة يأتون تباعاً لتقديم التهاني لمحمد وأمين، كما يمرّون لغرفة حسين وياسين ويهنئونهم أيضاً، وهذا ما حدث أيضاً في إقامة الطالبات بغرف نورة وزهيرة ومنافستهم دلال حيث كانت محلاً للطالبات المهنّات، وبعد مرور أسبوع وصلت لجميع الفائزين دعوات لحضور حفل تنصيبهم، يوم الأربعاء بقاعة المحاضرات الكبرى من طرف رئيس الجامعة.

وكالعادة تم التنصيب الرسمي لأعضاء المنظمة الطلابية مع مناسبة رسمية وهي عيد العلم، حيث بدأت التّحضيرات باكراً من طرف المدير الفرعي للأنشطة السيد عبد الكريم الذي كان رجلاً طويل القامة رقيق العود ذا عينين خضراوين ضيقتين وشعر أشقر مجعداً، بدأ في التّساقط جهة الجبين، وكان شهوانياً يلهث وراء الطالبات، وحتى زميلاته الموظفات حيث كان يتودد لهن في شتى معاملاته، وكان يبتزّ عاملات النظافة أيضاً، ولا يترك واحدة في حالها، وكان يتحيّن الفرص في المناسبات والاحتفالات المختلفة، خاصة حين تقام بقاعة المحاضرات الكبرى، ليتحرّش بهن عسى أن يظفر بموعد مع إحداهن، كما كان رجلاً مطيعاً للرئيس ونائبه الخاص بالانشطات العلمية

والترفيهية والثقافية الذي يعتبر مسؤوله المباشر، ولا يرفض لهم طلبًا وخادمًا مطيعًا للأمين العام أيضا، وكلّ مسؤول يعلوه درجة، وفي هذا اليوم وصل باكرا وأخذ يهرول ويجري في كل مكان، وكان يقف على كلّ صغيرة وكبيرة بنفسه، فحضور الرئيس المدير العام للجامعة كفيل بأن يبثّ الرعب في نفوس الجميع، من أكبر مسؤول إلى أصغر عامل بسيط، فهناك الكثير ممن ينتظرون بفارغ الصبر سقوط أي مسؤول للحصول على مكانه، وأي خطأ بسيط لن يكلف الرئيس سوى جرّة قلم ليقيله من منصبه، ويعيّن آخر ممّن ينتظرون في الطابور مكانه، فالرئيس جمع كلّ الصلاحيات من التعيين والإقالة والترقيات والمكافآت، وجعل كلّ القرارات مركزيّة لا تتعدى شخصه، والجميع كانوا يسعون وراء رضاه بأيّ ثمن، فكلّما كان موظف أو أستاذ أو عامل أو مسؤول مقرّبًا من الرئيس، كلّما هابه الآخرون وحسبوا له ألف حساب.

وصلت السّاعة الواحدة بعد الظّهيرة، حيث كانت الاستعدادات قد تمّت على قدم وساق كالعادة، فالفرقة النّحاسية نصبت ألّاها في مكانها لعزف النّشيد الوطني كالعادة في بداية الاحتفال، وفرقة وصلات الأناشيد الصوتية أيضا استعدت بضبط كلّ مستلزماتها، والفائزون خصّص لهم مكان في الصّفوف المتقدّمة من القاعة ناحية اليسار،

حيث سيجلس الرئيس والوفد المرافق له وضيوف الشرف، حيث ألبسهم عباءات سوداء على صدورهم أشربة طويلة زرقاء للذكور وحمراء للإناث، وعلى رؤوسهم قبّعات تشبه الكتاب المفتوح، وهو اللباس الذي يرتديه الطلبة أثناء مناقشة مذكرات التخرج، وكانت المقاعد في القاعة تخصّص حسب الأهمية، فكّلما كان الشّخص ذا أهمية بالغّة كلّ ما كان مقعده أقرب من الرئيس، وقد جلس باكراً أغلب الأساتذة ذوي المناصب الإدارية المتباينة كمسؤولي التكوين، ومسؤولي الاختصاص، ونواب رؤساء الأقسام ومساعدتهم وأعضاء المجالس واللجان العلمية المختلفة، وكذلك رؤساء المصالح الإدارية المتنوعة، ثم جلس من بعدهم بقية الأساتذة والموظفين والعمال والطلبة، وكالعادة كان الحراس وأعوان الأمن الداخلي ينتشرون في كلّ مكان ويجرون في كلّ صوب وحذب، وما هي إلّا لحظات حتى وصلت سيارات الوفد، وكان جميع نواب الرئيس والعمداء ورؤساء الأقسام والمدراء الفرعيين ورؤساء نقابات الأساتذة والموظفين والفاعلين في المنظمات الطلابية، قد وصلوا باكراً واصطفوا في رواق طويل ينتهي عند مدخل باب القاعة، لاستقبال الرئيس كما اعتادوا على فعله دائماً وأبداً، فقد أصبحت سنّة حميدة يحبّها الرئيس، وفي هذه المرة كان مرفقاً بالسلطات المحلية للولاية، السيد الوالي شخصياً وجلّ مدراء

بقية القطاعات الأخرى، كالـتجارة والمالية والنقل والصناعة والرياضة والتربية والتعليم والثقافة والشؤون الدينية، وكل سفرء تلك القطاعات أو ممثلين عنهم.

نزل رئيس الجامعة ووالي الولاية وسار خلفهم بقية الوفد الذين كانوا ينزلون من السيارات التي تصل تباعاً بعد ذلك، ويتبعون الرئيس والوالي، حيث كان جميع من يصطف لاستقبالهم يصافحونهم مبتسمين ويحيونهم بانحناءة رأس خفيفة نحو الأمام كما سار عليه الحال منذ زمن، وكان منسق الأمن الداخلي وكبير الحراس السيد عثمان يجري أمامهم وهو يفسح لهم الطريق، وبمجرد أن جلسوا في الصف الأول المخصص لهم، حتى لحقهم بقية الوفد ليصطفوا في الصف الذي يليهم ثم تبعهم المصطفون ليجلسوا في الصف الثالث، وقد ظهر من بينهم أيضا الحاج إبراهيم، والشخصان الآخران اللذان كانا يرافقانه في كل مكان، ومدير الخدمات الجامعية وما تبعه من طاقمه الإداري، من مدرء الإقامات الجامعية والمطعم المركزي ورؤساء المصالح والأجنحة للخدمات الجامعية، فلم يكونوا ليفوتوا مثل هذه المناسبة أبداً، والتواجد على مرأى وقرب من الرئيس.

وما هي إلا لحظات قليلة وبدأت الفرقة النحاسية في عزف النشيد الوطني، وقد وقف الجميع في أهبة واحترام وإجلال، وبدأ مقدم الحفل

وهو رئيس الديوان الأستاذ المتقاعد حسن الذي أعاده صديقه الرئيس المدير العام للعمل بعد تقاعده منذ أكثر من خمس سنين، بموجب عقد داخلي أنشأ به هذا المنصب الدّخيل وسماه رئيس ديوان رئاسة الجامعة، حتى يجعل صديقه المقرب له عيّنًا تراقب تحرّكات الجميع، فهو لا يكاد يثق بأحد ما عدا سكرتيرته الآنسة سناء ورئيس ديوانه هذا ورفيق دربه البروفيسور حسن، وقد أعطاه عديد الصلاحيات ليجعله ذا أهمية أكثر حتى من عديد المناصب الرّسمية التي تلي الرّئيس كنوّابه المباشرين وعمداء الكليات والأمين العام للجامعة، وافتتح الحفل بالثناء والشكر والتّقدير لرئيس الجامعة ونسب له الفضل في كلّ النجاحات والتّقدم في مختلف الميادين، ورخّب بالسيد الوالي وضيوف الجامعة من بقية المديريات الأخرى، ثم طلب من الرئيس إلقاء كلمة الافتتاح مباشرة من مكانه، حيث تناول الميكروفون اللاسلكي الذي كان موضوعًا أمامه على الطاولة التي ملئت بأشهى أنواع الحلويات والمشروبات.

وقال؛ متنهّدًا وهو ينظر إلى الوالي بجانبه متبسما، ودون أن يقف من مكانه أو حتى يكلف نفسه عناء الالتفات للحضور، مساء الخير.. أوّد أوّلًا التّرحيب بالسيد الوالي على تلبيته دعوتنا الكريمة، وكذلك جميع المدراء المحليين لبقية القطاعات دون استثناء، وجميع زملائي



الأساتذة وإخوتي الإداريين وأبنائي الطلبة الأعزاء، وبهذه المناسبة المزدوجة أودّ أن أبارك للطلبة الفائزين بعضوية المنظمة الطلابية الحرة، وأهنئكم جميعاً على نجاح هذه الانتخابات الحرة والنزيهة، متمنيا لكم السداد والتوفيق في مهامكم لخدمة الطالب والجامعة، ودوت القاعة بالتصفيق الحار قبل أن يكمل الكلام.

ثم واصل قائلاً بعد أن خفّ التصفيق: والآن أحيل الكلمة للسيد الوالي لإعطاء كلمة الافتتاح.

والذي لم يتكلم كثيراً، حيث اختصر كلمته في شكر رئيس الجامعة والثناء عليه، وأعطى مباشرة شارة الافتتاح.

ثم انطلق الحفل وتنوع بين وصلات لأناشيد وطنية وطلابية، وتمثيليات مسرحية قصيرة وإلقاء بعض القصائد الشعرية، وتكريم بعض الشخصيات العلمية من الأساتذة وبعض الموظفين وعمال الخدمة والطلبة المتفوقين في النشاطات الرياضية والعلمية والثقافية التي أقيمت هذا العام، وقد كانت من بينهم كلّ من مدام نوال رئيسة مصلحة التدريس بكلية الحقوق، وخالتي صليحة عاملة النظافة بالمطعم المركزي، وفي آخر الحفل تم استدعاء جميع الطلبة الفائزين، وسلمت لهم اعتمادات العضوية في المنظمة الطلابية، وكانت ممضاة من الرئيس شخصياً، تحت تصفيقات حارة وتهليل من الحضور.

ولم يكن هذا الحفل الذي تزامن مع عيد العلم سوى احتفالية مزدوجة، تمّ من خلالها التّكريم الرّمزي والتعريف بالفائزين والاحتفال بعيد العلم كما دأبت عليه الجامعة كلّ عام.

وبعد أسبوعين استدعتهم الإدارة إلى اجتماع رسمي في القاعة الخاصة بالاجتماعات التي تقع في الدّيوان الرئاسي للجامعة، حيث وصل جميع أعضاء المنظمة باكرا، وقد وجدوا المدير الفرعي للأنشطة السيد عبد الكريم في استقبالهم، ليدخلوا إلى قاعة الاجتماعات الرئاسيّة، التي كانت عبارة عن صالة طويلة، تتوسّطها طاولة بيضاوية مستديرة صنعت من أجود أنواع الخشب، وصبغت بلون بني براق، وتحيط بها مجموعة من الكراسي الجلدية رمادية اللّون، وقد شرح لهم عبد الكريم البروتوكول الخاص بالاجتماعات الرّسمية، وأجلسهم على جانب واحد متتابعين، وكان الجانب المقابل يحمل أسماء وصفات المسؤولين الذين سيحضرون للاجتماع، أما الجانب المدبّب من الطاولة كان يحمل اسم الرئيس المدير العام للجامعة، وعلى جانبه الأيمن رئيس الديوان وعلى جانبه الأيسر الأمين العام للجامعة، وقد وضعت إحدى العاملات، قطعاً من المرطبات وعبوات من العصائر والمياه المعدنية على الطاولة لكلّ الحضور.

وبعد مرور قرابة الساعة بقي خلالها الطلبة يتهامسون بصوت خافت في ما بينهم، بدأ المسؤولون يتوافدون على القاعة تباعاً، وكان أول الواصلين رئيس نقابة الأساتذة، الدكتور بوعلام الذي قارب من العمر السبعين، لكنه يرفض أن يحال على التقاعد ويفضّل مواصلة المشوار، وعمي حمد رئيس نقابة الموظفين والعمال المهنيين، والذي لا يمر حدث أو اجتماع إلا وتجده أوّل الحاضرين، وأينما حلّ رئيس الجامعة إلا وكان أوّل المستقبليين، وكلّما كانت مناسبة كان أوّل المهنيين، ودخل بعدهم مباشرة مدير الخدمات الجامعية السيد علي الذي عينه الرئيس حديثاً بعد إقالة المدير السابق، وبرفقته مدير إقامة الذكور السيد أيمن ومديرة إقامة الإناث مدام زكية التي كانت في وقت سابق سكرتيرة مدير الخدمات الجامعية السابق، ثم وصل عمداء الكليات دفعة واحدة والمدراء الفرعيون متتابعين، وتلاهم نواب الرئيس الثلاثة حيث دخلوا وهم يناقشون شيئاً ما، وألقوا السلام ثم جلسوا في أماكنهم بالقرب من مقعد رئيس الديوان، وواصلوا نقاشهم وكان هناك مسألة كبيرة يدور رحاها بينهم، فكان يبدو على البروفيسور سليمان نائب الرئيس للتكوين العالي للطورين الأول والثاني والشهادات بعض الصمت والحيرة، فهو المعروف بحكمته ودهائه وحلّ كل المشكلات التي تعترض طريقه في تسيير كلّ ما يخص

الدراسات الجامعية وما يتبعها ويعدّ أكبر الثّواب مركزاً، وكانت النّائبة الدكتورة أحلام المكلفة بما بعد التدرّج والبحث العلمي وكلّ ما يخصّ الدكتوراه والتأهيل الجامعي، كأنّها تشرح لهم الكثير من الكلام وهي المعروفة بأنّها متحدّثة بارعة في النقاشات الصعبة، وبحنكتها ودهائها، أما نائبه البروفيسور جلال الدين نائبه المكلف بالتعاون والعلاقات الخارجية، فكان ينصت بانتباه كبير لكل ما تقوله الأستاذة أحلام، ولا يكاد يحول عينه عن النظر إلّهما.

وما هي إلّا لحظات حتى وصل رئيس الديوان الدكتور حسن، والأمين العام للجامعة السيد نور الدين، وهو كبير الموظفين وأكثرهم تجربة وخبرة، وقد عينه هذا الرئيس بمجرد أن تسلم مهامه على رأس الجامعة، وكان السيد نور الدين معروفاً بانصياعه التام لكلّ أوامر الرئيس، حتى أنّ جلّ صلاحياته القانونية تذوب تحت وطأة أوامر رئيسه، وعرف عنه أنّه لا يخالف أبداً كل ما يصدر عنه، وينفذ كل أوامره حرفياً دون أيّ تأخير، ثم دخل من خلفهم الرئيس المدير العام في أبعثته كالمعتاد، يرتدي نظارته الطبية ويحمل حقيبته السوداء التي لا تفارقه أينما حلّ وارتحل، والتي تشبه الحقائب التي يحملها أعضاء السلك الدبلوماسي عند تنقلاتهم بين عواصم العالم، وهو يرتدي بذلته الكلاسيكية السوداء.

فهب الجميع للوقوف من أماكنهم تعبيراً عن الهيبة والتقدير والاحترام، كما سار به العرف والبروتوكول منذ قدومه، فألقى التحية ثم جلس وفتح كفه مشيراً لهم بالجلوس، وكالعادة كان رئيس الديوان الدكتور حسن من افتتح الكلام مبتدئاً بإلقاء السلام ومرحباً بجميع الحضور ومباشرة أحال الكلمة للسيد الرئيس المدير العام.

حيث اعتدل في مكانه ورفع رأسه قائلاً: أعيد الترحيب بجميع الحاضرين، بداية بالسيد الأمين العام ورئيس الديوان، والسادة النواب والعمداء والمدراء، ورؤساء النقابات وأعضاء المكتب الطلابي، وأعيد تهنئتكُم على الفوز من جديد كما أود أن أعلمكم أنّ المنظمة الطلابية رفقة النقابات تعد من الشركاء الاجتماعيين الذين يشاركوننا عملنا ويزكون جميع ما نقوم به لخدمة الطالب والأستاذ والموظف والعامل والجامعة عموماً، فأرجو أن تكونوا على قدر المسؤولية التي وضعت فيكم، وأن تكونوا عوناً لنا في تهوين تأدية هذه المهمة النبيلة، ثم استدار نحو يساره وهو يشير بيده قائلاً؛ والآن أترك الكلمة للسيد الأمين العام.

تملأ هذا الأخير في مكانه، وهو يفتح مجموعة من الوثائق الإدارية المعدّة مسبقاً أمامه، وهو يخطف نظرة شاملة على أعضاء المنظمة، وقال؛ الآن ستقومون بينكم بالتصويت لاختيار رئيس المنظمة، من بين

الذين تحصّلوا على أكبر عدد من الأصوات وهما محمد وجمال وذلك برفع الأيدي.

وكان رئيس الديوان الأستاذ حسن، كعادته يسجّل كلّ صغيرة وكبيرة.

ثم أكمل الأمين العام السيد نور الدين كلامه سائلا طلبة المنظمة: من يصوّت لحسين؟ رفع الأعضاء السابقين دلال وياسين وخالد وحسين أيديهم، ليحصل حسين على أربعة أصوات من تسعة، فسجّل رئيس الديوان ذلك ثم أكمل: ومن يصوت لمحمد؟ رفع محمد وأمين وزهيرة ونورة وعضو آخر يدعى نذير، من قائمة أخرى تحالفت مع هذا الفريق الثّاني أيديهم، فحصل محمد على خمسة أصوات من تسعة، فنظر إليهم الأمين العام نظرة شاملة وكأنه يريد أن يتأكّد من جديد، ثم أكمل الكتابة وهو يقول؛ إذن محمد هو رئيس المنظمة وحسين نائبه، وتواصلت عملية التّصويت على ذلك المنوال، لتفوز نورة بنائبة مكلفة بشؤون الطالبات، وقسمت اللجان بين بقية الأعضاء ليحصل أمين على رئاسة اللجنة الاجتماعية وتحصل زهيرة على مساعدة ممثلة الطالبات، وتحصل دلال على رئاسة اللجنة الثقافية ويحصل ياسين على رئاسة اللجنة الرياضية والنشاطات العلمية.

وقد دَوّن رئيس الديوان كل المجريات في محضر اجتماع رسمي سلمه للأمين العام، حيث ستصدر منه عدة نسخ وترسل إحداها للوزارة الوصية، وفي نفس الوقت سلمت مفاتيح المكتب والأختام وجميع المهام الخاصة بالمنظمة لمحمد بصفته الرئيس الجديد الذي سيبقى على رأس المنظمة لثلاث سنوات كاملة، وقد هنا جميع من حضروا الاجتماع من مسؤولين، ثم دعاهم رئيس الجامعة لمأدبة غداء في القاعة المجاورة الخاصة بالإطعام لضيوف الشرف وكبار المسؤولين الذين يحضرون عادة المناسبات واللقاءات الدورية والاجتماعات، وغادر أغلب المسؤولين بعد المأدبة مباشرة، فالوقت ضيق بالنسبة لهم ووراءهم الكثير من الأعمال والانشغالات، وبعدهم أعضاء المكتب أيضا إلى غرفهم.

بمجرد عودة محمد وأمين إلى غرفتهما وجدا صلاح وسليم والبعض من مؤيديهم في الغرفة ينتظرون قدومهم، وما أن وطئت أقدامهم الغرفة حتى انطلقت الأغاني والأهازيج والأفراح، وحملوا محمد وأمين على أكتافهم مهللين وفرحين، ودامت السهرة حتى الصباح، وكانوا يسألونهم عن كلّ صغيرة وكبيرة تمت خلال مراسم اجتماع التنصيب، وتخللها الكثير من الرقص والغناء والتهريج، وبعد أن انفض الجمع من الغرفة، ارتموا في أسرتهم وغاصوا في نوم عميق، جزاء ما أنهكهم من

التعب طيلة هذا الأسبوع المليء بالأحداث المهمة والمكتظة التي مرت بسرعة، وهكذا كان الحال أيضا في غرفة زهيرة ونورة في إقامة الطالبات.

وفي صباح الغد اتجهوا للدراسة، وكان أغلب الطلبة الذين يلتقون بهم ويعترضونهم في الطريق يستوقفونهم ويهنئونهم بالقبل والأحضان، ويباركون لهم واصفين محمد بالزعيم، والمفاجأة الأكبر حينما دخلوا لمدرج المحاضرات، حيث وجدوا الأستاذة حفيظة قد أعدت للطلبة الفائزين حفل تكريم صغير، في أول نصف ساعة قبل بداية إلقاءها المحاضرة العلمية، ودعي إليها أيضا الأستاذ عز الدين، ورئيسة مصلحة التدريس مدام نوال، وزميلها أنور ووليد وبعض الأساتذة الآخرين، وكان من بين الحاضرين أيضا زميلهم الحاج إبراهيم، الذي كلف نفسه جلب مجموعة من اللعب المغلفة، التي احتوت على هدايا على حسابه الخاص، تكريما لزملائه كما يقول، وقد طلب من الأستاذة أن تسمح له بشرف تسليم هدية الرئيس بنفسه لمحمد، وهذا ما حدث فعلا، حيث أن الحاج إبراهيم يريد التقرب من محمد والأعضاء التابعين له بصفتهم أصبحوا المسيطرين على المنظمة ولهم الأغلبية، وأثناء هذا الحفل ألقى محمد كلمة على زملائه، بحيث شكرهم على التصويت له



ولفريقه، وفي نفس الوقت طلب من زملائه الأعضاء أن يكون أول اجتماع لهم يوم الأحد القادم لمباشرة العمل الرّسمي والفعلي.

وقد ابتهج جميع الأعضاء الفائزين، بهذه المبادرة الجميلة من أساتذتهم وزملائهم، وألقى كلّ منهم كلمة قصيرة بعد محمد، تضمنت الشكر والثناء والامتنان لمن صوتوا لهم، واعدن زملائهم ببذل كل الجهود للارتقاء بالعمل النقابي الطلابي إلى أعلى المراتب، وتحقيق اكبر المطالب، وإصلاح ما يمكن إصلاحه قدر المستطاع، والدفاع عن مكتسبات وحقوق الطالب مهما كانت واختلفت، سواء على مستوى الدراسة، أو الخدمات الأخرى كالإقامة والإطعام والنقل والمنح والتربصات الدراسية.

ومع نهاية عطلة الأسبوع ركن الجميع للراحة كعادتهم، فهناك من الطلبة من يعود لقضائها رفقة العائلة، ومنهم من يبقى بالإقامة لحل الواجبات وإنجاز البحوث، أو للخلود للنوم والركون للراحة، للتخلص من تعب وضغط الدروس، وهذا ما فعله محمد وأمين وصلاح وسليم وكذلك زهيرة ونورة، حيث قرّروا جميعا قضاء يومي عطلة آخر الأسبوع في الإقامة للراحة.

لا زال العديد من الطلبة يدقون باب غرفة محمد مهنيين ومباركين، وكان الأولاد يستقبلونهم بصدر رحب مرحبين بهم ومستمعين

لمقترحاتهم، التي كثيرا ما يذكرونها في مجمل حديثهم، وهم ينتقدون الأوضاع في الجامعة برمتها.

وفي مساء يوم الأحد بعد الانتهاء من الساعات الدراسية، التقى كلّ الأعضاء في مكتب المنظمة بالساحة المركزية، كان مكتبًا ضيقا ولا يتسع للجميع، وكان يحوي مكتبين خشبيين أحدهما متوسط الحجم والثاني صغير، وكرسيين جلديين ذوي حواف مهترئة وممزقة خرج على جانبها إسفنج مصفر يتفتت كلّما لامسته الأيدي، وأربعة كراسي مصنوعة من أرجل حديدية وطاولتين خشبيتين مقشرتين.

جلس محمد على مكتب الرئيس، ووقف على جانبه الأيمن حسين فهو من يعرف أسرار المكتب أكثر من الجميع، وتركت بقية الكراسي للفتيات، بينما وقف البقية متكئين على الجدران.

بادر محمد بافتتاح الكلمة كعادته مرحبًا بزملائه الأعضاء، قائلاً؛ اليوم سننّفق على الخطوط العريضة لعملنا مستقبلا بإذن الله، وأكمل وهو يهزّ رأسه وينظر تارة إلى حسين الرئيس السابق الذي كان واقفا إلى جانبه، ويبعث تارة أخرى بنظرات متقطّعة ويوزعها على بقية الحضور.

إن الشيء الجميل هو تمازج أعضاء مكتبنا، بخليط من مجموعة من قدماء الأعضاء السابقين ذوي الخبرة الذين سندستفيد كثيرا من توجهاتهم وتجاربهم، ومن مجموعة أخرى جديدة مليئة بالطموح وترنو لتحقيق المزيد، والشيء الأكيد أنه سيكون هناك مزيج بين البرامج التي التزمنا بها جميعنا للطلبة، وسنقسم عملنا على ثلاثة مراحل، المرحلة الأولى ستكون إعادة هيكلة وتنظيم المنظمة، والثانية العمل على تحقيق المكاسب والوعود التي التزمنا بها، والثالثة ستكون تقييم للنتائج المحصل عليها ومقارنتها بما خطط له ورسم سابقا، هذا رأي مجمل ولكم الكلمة لإثراء الموضوع واقتراح الأفكار.

أخذ حسين مباشرة الكلمة، وهو يشمل الجميع بنظراته وكثيرا ما يحرك رأسه بين اليمين والشمال قائلاً؛ نشكر رئيس المنظمة الجديد الزميل محمد على هذه الكلمة المختصرة والملمة والمجملّة، ومن خلال تدخله هذا وتجربتي الطويلة في الميدان، أودّ أن أعلمكم أنّ العمل النقابي الطلابي ليس سهلا كما يعتقد الكثيرون، وأن التعامل مع الإدارة والطلبة والأساتذة في نفس الوقت ليس بالأمر الهين أبداً، ويحتاج للكثير من الصبر والحكمة والرزانة والحنكة والدهاء في إدارة الأمور، والتعامل مع شتى المواقف العادية والطارئة أيضاً، لذلك أتمنى أن تكون مطالبانا معقولة حتى تلبى، وأن نتجنب طلب المستحيل لأنه

لن يتحقق، وأن نركز على التعاون والتكامل مع الجميع، وأن نبتعد قدر المستطاع عن الصدمات التي تؤدي دوماً إلى طريق مسدود، وأحيل الكلمة لمن يريد التدخل.

قفزت دلال مباشرة من مكانها دون سابق إنذار، وبدأت تتكلم في الموضوع، وهي تتمايل وتثني رأسها وترمي بحدقات عينها يمينا وشمالا قائلة؛ أود أن أثني على عمل المكتب السابق والفخر بإنجازاته، وتجاوزه عديد المواقف الصعبة التي اعترضت طريقه والقفز بعمل المنظمة للإنجاز بدلا من الركون وراء الجدران، وأتمنى مواصلة المشوار، ثم جلست وسكتت مباشرة.

وتدخل أمين بعدها وهو يقول؛ ما فات ومضى قد ذهب بإيجابياته وسلبياته، وما نريد التركيز عليه من الآن فصاعدا هو الإصلاح والعمل على تحقيق المزيد والارتقاء بالعمل النقابي الطلابي، ليكون موازيا لنقابات الأساتذة والموظفين والعمال، وسنرسم خطة من عدة نقاط سنعمل على تحقيقها، منها تنشيط العمل الثقافي والرياضي، بتنظيم المسابقات والرحلات وتغطية شتى المناسبات الوطنية والدينية، وهذا الترفيه يكسر الروتين والملل على الطلبة خاصة المقيمين، وفي نفس الوقت سنتعامل مع الظروف التي تحدث كما هي.

وقاطعه محمد من جديد أكيد أن ما قلته في أجندة العمل والمخططات المرسومة، لكن ما أود أن نعطيه الأولوية القصوى هو إصلاح الجانب الدراسي، ورفع الظلم عن الطالب وكسر الحواجز والجمود بينه وبين الأستاذ والإدارة، وهو ما أراه الأساس، ثم تأتي النقطة الثانية الأكثر أهمية أيضا، وهو العمل على تحسين محيط الطالب، من الإقامة برمتها ووجبات الإطعام وكل الحياة الاجتماعية للطالب، ثم تأتي النقطة التي ذكرتها أيها الزميل.. الجانب الترفيهي والثقافي والرياضي للطالب.

وتدخلت نورة قائلة؛ ومؤيدة لمحمد في نفس الوقت، نعم هذه النقاط الثلاث هي الأساس، وتبقى هناك تفرعات أخرى وأحداث يمكن أن تقع بين الحين والآخر، وسنتعامل معها حسب واقعها، كمشاكل الطلبة المتعددة، والتي تتطلب المعاملة الآنية، ونحن الفتيات سنركز على ما يحدث داخل إقامة الطالبات التي لا تنتهي مشاكلها، وإذا تطلب الأمر أن نطلب عونكم سيكون ذلك في الحالات المستعصية فقط.

وكانت زهيرة تومى برأسها مؤيدة لما تقوله نورة، وبمجرد أن صمتت نورة أكملت هي كلامها وكأنهما متفقتان قائلة؛ أن التعامل مع الطالبات له صعوبة بالغة، ويتطلب الصبر والاعتزان والعقلانية، فأغلب

مشاكلهن تنتج عن شجارات يومية تحدث بينهن، على حوادث تافهة لا تستحق كلّ تلك المشاحنات والعناد والعناء.

تقريباً أبدى جميع الأعضاء آراءهم وأثروا النقاش بذكر العديد من النقاط، وفي نفس الوقت قام حسين رئيس المنظمة السابق بإعطاء لمحة شاملة، للرئيس الجديد محمد وبقيّة الأعضاء عن الملفات والمستندات والوثائق التي يحتويها المكتب، والتي تستعمل في العمل النقابي طيلة الأوقات، وسجل كاتب الجلسة نذير حيثيات الاجتماع في محضر رسمي، حيث دوّن فيه تقسيم العمل وإسناد اللجان المختلفة للأعضاء، وكيفية تنظيم عمل كلّ لجنة وتشكيل أعضائها والنقاط الأساسية التي سيعملون عليها.

مرت الأيام والأسابيع وكانوا خلالها يزاولون دراستهم بصفة عادية، ويعيشون روتينهم اليومي بين الإقامة والمطعم والمكوث بمكتب المنظمة في أوقات فراغهم، وكانوا يعقدون اجتماعات كثيرة ويؤثرون أن يعقدوا هذه الاجتماعات مساء يوم كلّ خميس آخر أيام الأسبوع، إنهم شباب يفيضون نضارة ويحبون العمل، وقد دارت الأحاديث بينهم حول الحاضر والمستقبل، والعلوم والأدب والسياسة والثقافة والرياضة، وكانت أحاديثهم جميلة تمتاز بالكثير من الصراحة والبساطة، زادت من صلتهم وارتباطهم مع بعضهم، وتكلّموا في كلّ ما يقود إلى التقدم

ويؤدي إلى تحسين متطلّبات الطالب، وناقشوا بعض مشكلات الساعة كالامتحانات والعقوبات والإصلاحات ومشاكل الإقامة والإطعام والنقل وغيرهم، وكانوا بالخصوص يتدارسون بعض ما يصلهم من شكاوي للطلبة، حيث كانت أغلبها تتعلق بالظلم الذي يتعرض له البعض منهم، ويخص الحصول على نقاط ضعيفة لا ترضيهم، أو بعض المضايقات التي يتعرضون لها من بعض الأساتذة والموظفين، أو حتى المشاحنات والمشاجرات التي تحدث بين الطلبة أنفسهم، وكان المكتب الطلابي للمنظمة يقف مواقف مشرّفة، وكثيرا ما كان يحلّ الأمور بصفة ودية ترضي الجميع، وكان يدافع عن حقوق الطلبة دون أن يقع في صراع مع الإدارة أو الأساتذة قد تؤدي بهم إلى الوصول إلى طريق مسدود، وهم لا يزالون في بداية الطريق.

وكانوا ينظّمون العديد من الملتقيات والندوات العلمية، ويغطّون مختلف المناسبات الوطنية بتظاهرات ثقافية تخفّف من وطأة الروتين اليومي الذي يعيشه الطالب الجامعي، وقد انظمّ العديد من الطلبة أصحاب الهوايات المختلفة للجان المختلفة للمنظمة، فقد انظمّ صلاح للجنة الرياضية، ونظموا مؤخرا دورة في كرة القدم بين مختلف الفرق الرياضية التي تمثل مختلف الأقسام، وكانت ناجحة لأقصى الحدود

وتابعها أغلب طلبة الجامعة، حتى أنها لقيت الكثير من التشجيع والاهتمام من الإدارة نفسها.

وانظمّ سليم للجنة الثقافية حيث غطت مناسبة عيد العمال بتظاهرة ثقافية لثلاثة أيام كاملة، أقيم خلالها معرض شاركت فيه قطاعات أخرى، منها مديرية الصناعة والمناجم ومديرية التجارة ومديرية البيئة وكذلك الحماية المدنية ومديرية الصحة ومديرية التربية والتعليم ومديرية الشباب والرياضة وقطاع البريد والاتصالات ومديرية النقل والمواصلات وكذلك مديرية الأمن الوطني، وخصص لكل منهم جناح عرضوا خلاله معداتهم المستعملة في أعمالهم، وشرحوا للزوار الكثير من تخصصاتهم، واختتمت هذه التظاهرة بحفل ختامي كبير أقيم بقاعة المحاضرات الكبرى، حضره كالعادة الرئيس شخصيا وجميع نوابه ورئيس الديوان والأمين العام والوالي ومدراء مختلف القطاعات والعمداء، والمدراء الفرعيين وكبار الإداريين، وقد كان حفلا بهيجا كرم من خلاله الكثير من الأساتذة والموظفين وعمال الخدمة للجامعة، وبعض القطاعات الأخرى الحاضرة والمشاركة في هذه التظاهرة.

أعجب رئيس الجامعة بهذه النشاطات المتتالية التي كانت تقوم بها المنظمة بين الفينة والأخرى، حتى أنّه قرّر أن يستدعي أعضاء المنظمة



إلى مكتبه الشخصي ليوجه لهم الشكر، ويسدي لهم بعض النصائح كما اعتاد دائما أن يفعل مع أعضاء المنظمة السابقين، ويفعل كذلك مع نوابه ومختلف المدراء الفرعيين لقطاعه، حتى لا يحيدون عن المسار الذي رسمه بنفسه، ليسير عليه مختلف الأساتذة والإداريين والطلبة والعمال المهنيين، وقد وجهت لهم دعوة من الرئيس المدير العام شخصيا يوم الخميس القادم، قبل بداية الامتحانات الفصلية لآخر السنة التي ستنتطلق الأسبوع الذي يليه.

وصلت الدعوة إلى محمد وبقية أعضاء المنظمة، وكانت دعوة عامة حملت أسماء الجميع، وفي يوم الخميس تهيّئوا والتقوا في مكتب المنظمة بعد منتصف النهار وتوجّهوا إلى رئاسة الجامعة، وفي المدخل الرئيسي استقبلهم عثمان رئيس مصلحة الأمن الداخلي والحراسة والذي كثيرا ما كان يظهر فقط عند خرجات الرئيس حيث يريّ له الأجواء ويفسح له الطريق، وبعدها رحّب بهم وأجلسهم في مكتب الاستقبال، حمل الهاتف الذي على مكتبه وأجرى مكالمة قصيرة وهو يسأل: هل يسمح لهم بالتوجه نحو مكتب الرئيس؟ ثم قطع الاتصال بسرعة وأمرهم بأن يتبعوه وأخرج من جيبه مفتاحًا صغيرًا وفتح المصعد الذي يبدو أنه لا يسمح باستعماله إلا للرئيس وكبار المسؤولين وبعض الأشخاص المهمين، أما بقية الموظفين والأساتذة فيستعملون

السلالم العادية، كان المصعد واسعا وفسيجا يستطيع حمل عشرات الأفراد، فصعدوا جميعا وأغلق الباب، وما هي إلا بعض الثواني حتى فتح باب المصعد على الديوان الرئاسي للمدير العام للجامعة، وانهر الجميع من الوهلة الأولى بمجرد أن وطأت أقدامهم هذا المكان الذي لا يسمح لأيّ كان أن يدخل إليه إلا بموافقة الرئيس نفسه، وقد دخلوا قاعة فسيحة مفروشة بالرخام وجميع نوافذها مغطاة بستائر بنية مطرزة بخيوط ذهبية اللون كأنها ملكية، وفي آخر القاعة ثلاث مكاتب للسكرتارية، اثنان منهما على الجانبين وكان لمساعدتين للكاتبة المديرية الرئيسية، أوالسكرتارية العامة المعروفة بالآنسة سناء التي كان مكتبها يتوسطهما، وعلى الجانبين مجموعة من الكراسي المتقابلة أسندت على الجدران خصّصت للاستقبال.

أمرهم عثمان مندّق الأمن الداخلي بالجلوس، ثم طرق الباب مرتين بهدوء ودخل لمكتب السكرتيرة العامة، وأغلق الباب وراءه، وبعد حوالي ربع ساعة خرج وأمرهم بالدخول وانصرف بعدها.

دخلوا مصطّقين وراء بعضهم فنهضت الآنسة سناء هذه الفتاة التي قاربت الخامسة والثلاثين من عمرها ذات القوام الطويل شقراء الشعر، ذات العينين الزرقاوين الواسعتين، والتي تضع الكثير من الماكياج والكحل وعطرها يفوح على بعد عشرات الأمتار، حتى أن أغلب

الموظفين يعرفون أنّها قادمة وهي في مكان بعيد، من ربح عطرها الذي يسبق قدمها بعشرات الأمتار، كانت ترتدي ملابس كلاسيكية أنيقة تظهر تميزها وتفوّقها على نظيراتها، كيف لا وهي السكرتيرة العامة للسيد الرئيس، وتحمل دوما رزمة مفاتيح وبعض الأختام في يدها، وقد أشيع بين الجميع أنّ لها مكانة كبرى لدى الرئيس، وأنّه واقع تحت سيطرتها ويعلم الله أي صنف من النساء هذه المرأة، وأنه يطيعها مثل طفل صغير، ويستشيرها ويأخذ برأيها في الكثير من الأمور، فهي تدلّه وتنزّهه، حتى أنها أضافت معها سكرتيرتين صغيرتين عمدا يسرن تحت أمرها ولا يرفضن لها طلبا، وذلك بغية تدليل الرئيس، وكانت كل صغيرة وكبيرة تمرّ عبر مكتبها، وناقش خفية الكثير من الأساتذة والموظفين والعمال خاصة السيدات سر هذه العلاقة الغير مفهومة بين الرئيس وسكرتيّته الرئيسية.

رحبت الأنسة سناء السكرتيرة العامة للرئيس بجميع المدعوين من ممثلي الطلبة وهي تبتسم، ثم فتحت لهم باب مكتب الرئيس، دخلوا متتابعين إلى هذا المكتب الفخم الذي كانت أرضيّته مصنوعة من الرخام المزّين ببعض الفسيفساء المستوحاة من التاريخ الروماني القديم للمدينة، وجدرانه مكسوة بورق مزخرف محكم اللّصق، وأثاثه ملكي يبعث على الفخامة والأبهة ويغلب عليه اللون البني الخشبي، وفي

آخره مدفأة تقليدية من فوقها ساعة حائط كبيرة بنفس الألوان، ويقابلها مباشرة مرآة يعلوها تمثال قوس النصر الروماني العظيم، الذي يرمز لتاريخ المدينة واتخذ رمزاً في أعلى كلّ الوثائق الرسمية والإدارية للجامعة، وعلى الجهة اليسرى صالون مصنوع من الجلد الإيطالي الفاخر، يتسع لعشرة أشخاص وتتوسطه منضدة مدوّرة عليها سنية من نحاس أبيض تقليدي، وفي منتصفها مزهريّة بألوان الطيف حوت وروداً تبدوا أنّها وضعت حديثاً، وأمام مكتبه الخشبي الفخم طاولة طويلة من نفس اللون البني، ويتقابل فيها عشرة كراسي من نفس اللون أيضاً، وتحت كلّ ذلك فرشت بعض الزرابي الملونة والمزخرفة حسب التراث التقليدي.

طلبت الأنسة سناء منهم الجلوس في ذلك الصالون، ثم دخلت وراءها مباشرة إحدى معاوناتها، وهي فتاة جميلة ورشيقة في بداية العشرينات من عمرها، وطلبت منهم نوع المشروبات التي يفضلون شربها، أما الأنسة سناء فقد أخبرتهم أنّ الرئيس سيتأخر قليلاً وستبقى برفقتهم لغاية وصوله، وبعد لحظات ملأت تلك الفتاة الرشيقة والفتاة الأخرى التي برفقتها وتبدو أكثر أناقة تلك الطاولة بفناجين من القهوة والشاي وعلب من الكعك وهن يتسمن.

مكثوا لأكثر من ساعة صامتين، ما عدا بعض الوشوشة الخفيفة التي كانت تنبع أحيانا من بين الفتيات، وأخيرا وصل السيد الرئيس المدير العام، ودخل فجأة وهو يحمل حقيبته السوداء التي تشبه حقائب الدبلوماسيين، وكان يرتدي نظّارته الطبية التي لا تفارقه أينما حل وبذلته الكلاسيكية السوداء.

ألقى عليهم السلام وجال بنظره فيما حوله ووقف أمامهم مباشرة، لينهض حسين العضو السابق ويقفز أمامه فجأة، ويصافحه بفرح شديد ثم تبعته دلال أيضا وياسين وخالد الأعضاء السابقين، فقد سبق لهم التعامل وجها لوجه مع هذا الرئيس ويعرفون طباعه، وفي نفس الوقت نهضت الأنسة سناء وقامت بحمل حقيبته ووضعها على مكتبه، ثم نهض بقية الأعضاء حيث وقفوا مصطفىين، ويتقدمون متتابعين ويصافحون الرئيس مرحّبين، ثم أشار لهم بيده بالجلوس قائلاً: مرحبا بكم تفضلوا، وجلس على الأريكة الوسطى التي كانت أعلى بقليل من بقية الكراسي، وما إن وضع جسده على الأريكة حتى جاءت السكرتيرة طويلة القوام وهي بأبهى زينتها تحمل فنجان قهوة وهي تبسّم ملء جفניה، ووضعته أمام الرئيس قائلة: هذه قهوتك سيدي كما تحبّها حلوة قليلا، تناول فنجاناه وارتشف منه وهو يقول: أعيد الترحيب بكم أبنائي مثلي الطلبة، أتعرفون لماذا استدعيتكم اليوم؟

صمت الجميع لكن دلال تحرّكت في مكانها قليلا ثم أجابت قائلة: أكيد لبداية العمل فأنت لا تؤخر عمل اليوم للغد سيدي الرئيس.

بانت ابتسامة عريضة على وجهه تنمّ عن الكثير من الرضا بهذا المديح وقال: إنّ بداية العمل الحقيقي ستكون مع بداية السنة القادمة، فنحن على أبواب اختتام السنة الجامعية ولم يتبقّ عن العطلة الصيفية إلا أيامًا معدودات، لقد دعوتكم أولا لأتعرّف على الأعضاء الجدد، وثانيا لشكركم على العمل المميز الذي قمتم به في فترة وجيزة، وثالثا للتّكلم في بعض النقاط التي سنركز على العمل عليها مستقبلا، ثم نظر إليهم قائلا؛ مشيرا بيده اليمنى إلى الأعضاء القدامى أعرف من المجموعة، حسين وياسين ودلال وخالد الأعضاء السّابقين، فهل للبقية أن يعرفوني بأنفسهم؟

بدأ محمد بالكلام قائلا؛ صباح الخير سيدي أنا محمد سنة أولى حقوق ورئيس المنظمة الجديد، ثم تلاه البقية أمين ونورة وزهيرة والعضو الآخر المدعو نذير.

تبسم الرئيس ضاحكا وهو يقول؛ تشرفت بكم جميعا فقد وصلتني الأخبار عنكم، خاصة محمد وعن العمل الدؤوب الذي تقومون به لخدمة الطلبة والأسرة الجامعية، وأجدّد شكري وامتناني لكم جميعا

دون استثناء كلّ باسمه، وزملاؤكم السابقون يستطيعون أن يمدّوكم بخبرتهم العملية، وكيفية القيام بواجبكم اتجاه الإدارة ومساعدتها في تسيير عملها، فالوزارة الوصية تفرض علينا تزكية الأعمال الإدارية، خاصة المتعلقة بالأمور المالية من طرف الشركاء الاجتماعيين، من نقابات وممثلي الطلبة، فكما سبق لزملائكم العمل به معنا، فالمنظمة الطلابية أو لنقل ممثلي الطلبة تعتبرون رفقة نقابة الأساتذة ونقابة العمال بمثابة الشريك الاجتماعي الذي أوجبت علينا الهيئات العليا التشاور معهم والأخذ بأرائهم عند إنجاز المشاريع الكبرى ومنح الصفقات العمومية المختلفة التي تتم على مستوى الجامعة، وقطاع الخدمات الجامعية التابع لها أيضا، لأنّ الجامعة برمتها جعلت لخدمة الطالب الجامعي أولا، كما أن لممثلي الطلبة أيضا الحق في الاطلاع على كلّ الإصلاحات التي تخصّ الطالب، سواء الدراسية أو الخدماتية أيضا، فأتمنى أن يكون هناك تكامل بيننا حتى يدوم الاستمرار في العمل لتحقيق الرقي والتقدم والازدهار المنشودين دائما.

واستمرت هذه الجلسة لأكثر من ساعتين كاملتين، وكالعادة شرح خلالها الرئيس الكثير من نقاط العمل التي يتوجّب على ممثلي الطلبة الإلمام بها ومعرفتها والتقيّد بها، وكان هناك حوار متبادل طرحوا عليه

من خلاله العديد من الأسئلة والاستفسارات، وكان خلالها الرئيس يجيبهم برحابة صدر.

وبعد انتهاء الاجتماع قام بإرسالهم لتناول وجبة الغداء في الصالة الخاصة بالإطعام التابعة لديوان رئاسة الجامعة، بينما غادر هو مباشرة للالتحاق بموعد مع السيد الوالي.

بعد تناول وجبة الغداء الفاخر والنزول من ديوان رئاسة الجامعة، عادوا مباشرة إلى مكتب المنظمة، حيث كان جلّ حوارهم حول ما دار في جلستهم رفقة الرئيس، وكان أعضاء المنظمة القدامى يشرحون تلك النقاط لزملائهم، وهم يمدحون الرئيس ويحاولون تفسير كلّ ما كان يقصده على أنّه لخدمة الطالب والجامعة برمتها، وأن كلّ ما يقوم به هو عين الصواب والحكمة، بينما رأت المجموعة الجديدة أن هناك العديد من النقاط الغامضة التي لن تفهم إلا عند دراستها جيّداً مع الوقت، خاصة ما تعلق بالصفقات العمومية الكبرى، ومسألة تقديم الخدمات للطالب، وكذلك بعض المسائل المتعلقة بالدراسة والتي لا توافق تطلعات الطلبة، وأكد محمد أنّه يجب ترك هذه المسائل لوقتها وعدم التسرع في اتّخاذ القرارات بالنسبة لها حتى يتمّ دراستها والتعمق فيها جيّداً، وحينها فقط تتخذ القرارات إما بتزكيّتها أو المطالبة بتعديل بعض بنودها أو رفضها تماماً، ويبدو أنّ هذا التعارض جعل النقاش



يرتفع والجدال يحتدم بين المجموعتين، والذي لم ينتهي بأي نتيجة سوى أنّه كان يبدو كعلامة أولى لصراع وانشقاق قادمين قد يحدثان داخل مجموعة ممثلي الطلبة منذ بداية المشوار، بين المجموعة القديمة الموالية والمنصهرة تماما مع قرارات الرئيس والإدارة، والمجموعة الثانية التي تريد الإصلاحات الشاملة، وتعارض على العديد من النّقاط التي تراها لا تخدم الطالب والجامعة.

اكتظّ وقت محمد كثيرا حيث لم يعد هناك متسع من الوقت كما كان سابقا، فالدراسة اليومية والتوجه لمكتب الطلبة لإتمام بعض الأعمال، وشكاوي الطلبة التي تصل المكتب باستمرار، وتنظيم بعض النشاطات المختلفة التي دأب مكتب الطلبة على القيام بها، وبداية امتحانات الفصل الثاني جعلته يفتقد الكثير من الراحة ولا ينام إلا قليلا.

لقد وعد محمد نفسه بأن لا يكلم زهيرة أبدا في أمرهما، بالرغم أنها كانت دوما إلى جانبه، سواء في مقاعد الدراسة أو في مكتب الطلبة، أو حتى في أوقات المراجعة مع المجموعة في المكتبة، وقد بدا أنّه يتجاهل الموضوع تماما، ويعاملها بصفة عادية كما يعامل نورة وبقية زميلاته في الدّراسة، على عكس أمين ونورة اللذين تطورت علاقتهما كثيرا وأصبحا يلتقيان على انفراد باستمرار ويتسكعان سويا في ساحة الجامعة،

وأحيانا يخرجان معا في جولة بوسط المدينة، أما زهيرة كانت خلال كل هذه الفترة تراقب محمد كثيرا في صمت دون أن تثير انتباهه، وأصبح يؤثر فيها يوما بعد يوم بشخصيته القوية، وهي ترى وتلمس على الأرض تأثيره، وتكتشف تنظيم عمله واجتهاده وصدقه وأمانته وتفانيه في العمل، ومواقفه الرجولية التي تنم عن شخص واعٍ ومكتمل، والاحترام الكبير الذي يكتنه له الجميع، وبدا أنها بدأت تتعلّق به تدريجيا، وظهر ذلك جليا في عدة مواقف، حين يتعامل فيها محمد مع زميلاته في الفصل، أو حتى في معاملاته المتأدبة مع بعض الطالبات اللواتي يزرن مكتب الطلبة لحل بعض مشاكلهن، ومن دلال التي تبدي الكثير من الزينة، وتكثر من الدلع والحركات الأنثوية الزائدة، حيث يبدو الانزعاج على زهيرة إذا قامت دلال بمثل هذه الحركات في تعاملاتها مع محمد.

مرّت تلك الأيام بسرعة رهيبة، فعادة ما تكون أيام آخر السنة مثل البرق من شدة ازدحامها بالأعمال، حيث جرت الاختبارات الفصلية وأيضا الامتحانات الاستدراكية في موعدها، وأقيم بعدها حفل اختتام السنة الجامعية كالعادة، حيث كرم فيه المتفوقون وأصحاب المراتب الثلاث الأولى عن كلّ دفعة تخرج، وسلمت لهم شهادات تكريمية في الحفل، وكان حفلا رائعا تكلم عنه الجميع بعد ذلك، وقد حضره الرئيس وبقية السلطات المحلية للولاية وبعض المدعويين وأيضا أولياء

وأهالي الطلبة المتفوّقين، وصدرت أيضا نتائج الطّلبة للسنوات الأخرى ما قبل التّخرج، وبدأت العطلة الصيفية التي ستدوم قرابة الثلاثة أشهر وستكون العودة بداية الخريف القادم.

و في مساء آخر يوم من الأسبوع وبداية العطلة الصيفية التقى محمد وأمين مع زهيرة ونورة بعدما جمعوا حقائبهم وأمتعتهم وتوجّهوا معًا إلى محطة الحافلات، كما اعتادوا فعله عند عودتهم إلى البلدة أيام العطل الأسبوعية والفصلية، وخلال مرورهم بوسط المدينة. قال أمين وهو يهب بالدخول لأحد محلات الألعاب والهدايا: أريد شراء تذكّار لوالدي وأخ لك نورة، تعالي لتختاري ما يعجبك.

دخلت نورة برفقته وهي تنظر لمختلف الدببة والألعاب والمجسّمات التذكارية التي رتبت في مختلف زوايا المحل، وكانت هناك طاولة من زجاج وضع عليها أنواع مختلفة من القلادات والخواتم النحاسية وحتى الفضية، وعلى جانبها خزانة معدنيّة طويلة اصطفّت فيها أحجام وأنواع مختلفة من العطور الفوّاحة، وما لبث أن لحقهم محمد بعدما تردّدت زهيرة في بادئ الأمر ثم وافقت على قبول هدية من محمد.

وردّت نورة وهي تبسم: هل تشتري لأمك وتنسى رفيقة دربك؟

أمين وهو يتفحص بعض القلادات الفضية: ومن ينسى رفيقة دربه؟  
الأم ورفيقة الدرب شيئان لا ينفصلان.

حملت نورة إحدى الخواتم الفضية التي نقش فيها حرفان لاتينيان صغيران لأول اسميهما على رأسه المدبب، أ زائد ن، وقالت: أنا سأختار هذه، وسأختار لحماتي قارورة عطر زكية الرائحة.

أمين: أنت بارعة في اختيار الهدايا، نحن الرجال نختار ونتوه في مثل هذه الحالات، ثم طلب من صاحب المحل تغليف ما اختارته رفيقته في علب الهدايا وسدد ثمنه، والفرحة تغمر عينيه.

بينما اختار محمد قلادة فضية تحمل الحرفين الأولين من اسميهما، م زائد ز، باللغة اللاتينية أيضا وأهداها لزهيرة التي أمسكتها ووجهها يكاد ينفجر من الحمرة من شدة الحياء، ثم شقوا طريقهم مباشرة لمحطة الحافلات القريبة من وسط المدينة.

اتخذوا لهم مكانا في آخر الحافلة، وأثناء الطريق قالت نورة متسائلة: لا أعرف لماذا يفوز طلبة لا علاقة لهم بالاجتهاد بالمراتب الأولى؟ ويكونون على رأس الدفعات كل سنة، بينما يأتي المجتهدون الحقيقيون في مراتب بعدهم، أليس هذا جورا وظلما يجب أن يتوقف؟

تملئ محمد في مكانه والتفت إليها وهو ينحني نحوها بكامل جسده قائلاً؛ أنت تعرفين أننا اكتشفنا ذلك منذ امتحانات الفصل الأول، وتعرفين أيضاً أن الجميع متواطئ في ذلك بداية بأساتذة يمنحون العلامات بالمحاباة والمصالح وحتى بالرشاوي، وإدارة تقدّم امتيازات حسب مكانة الطلبة الاجتماعية، وطلبة أيضاً مشتركون بالسكوت عمّا يحدث والرضا بهذا الظلم، وماذا عسانا أن نفعل إذن؟

فردّ أمين في حماسة: علينا أن نتحرّك في السّنة القادمة، لكن يجب أن نحذر وبالأخص من حسين ودلال وياسين وخالد الأعضاء السابقين، ثم هزّ برأسه متسائلاً وهو يفتح عينيه ويقطب جبينه، ألم تروا كيف يمدحون الرئيس ويوافقون على كلّ صغيرة وكبيرة تقوم بها الإدارة؟ ألم تلاحظوا ذلك خاصة في اجتماعنا الأخير؟

وقاطعته زهيرة وهي تمسك بحقيبة يدها على ركبتيها وتضمّهما بقوة إلى صدرها وتهمس في هدوء: لا تنسوا أيضاً أن الحاج إبراهيم الذي توج أول دفعتنا هذا العام، وصديقيه أيضاً دعموا المجموعة السابقة، بكلّ ما أوتوا من قوة، حتى أن أغلب الهدايا التي قدمت في الحفل بمناسبة نجاح انتخابات ممثلي الطلبة كانت على حسابه الخاص، ولم يعترض أحد على ذلك، حتى أنه كرم أيضاً عديد الأساتذة والإداريين المتواطئين والخاضعين لرغباته.

تبسم محمد عندما انتهت من حديثها ثم قال؛ إنك على حق فبعض الناس أشرار لا يهمهم غير قضاء مصالحهم الدونية، حتى لو داسوا على جثث غيرهم للوصول إليها، فلا شيء يهمهم غير تحقيق مآربهم، وليذهب بقية العالم إلى الجحيم.

وكفّ عن الكلام لبرهة وكأنّه يستمع إلى صوت في داخله، ثم أضاف في عدوبة وتروّج: تلك هي الحقيقة المرة، لكنني حين عرفت أن في هذا العالم شيء من العدالة يمكن تحقيقه، بدا لي أن في الناس من يعترض على ذلك أيضًا، لكن خوفهم وجبنهم جعلهم يسكتون، وحينها اكتسبت الشجاعة الكافية لأن أبدأ العمل تدريجيا، وفي هدوء من أجل تغيير ولو جزء بسيط من هذه الأوضاع الظالمة.

أمين كعاداته متحمسا: هذا الخوف والجبن هو دمارنا، والذين يقودوننا يستغلون هذا الخوف ويضاعفون في ذعرنا، وبذلك يبسطون سيطرتهم علينا ويفعلون ما يريدون، ويقتلون طموحنا ويغتالون أحلامنا ويضيعون مستقبلنا ويفسدون حياتنا.

وعقبت نورة على كلامه قائلة؛ لم نعش في هذه الجامعة سوى سنة أو أقل واكتشفنا جميع هذه العيوب، وأظن أننا في السنوات القادمة سنقف على الكثير من العيوب الخفية، وسنواجه الكثير من المصاعب إذا حاولنا حلها.

وصممت قليلا ثم تنهدت بعمق وأضافت قائلة وأسوأ ما يخيفني  
الجواسيس الذين بيننا من الأعضاء السابقين، وأظنهم سيحاولون  
إفشال كل مساعيها لإصلاح الأوضاع، لقد كونوا أجيالا من المنبطحين  
أصحاب المصالح الضيقة على حساب الجميع، سواء من الطلبة وحتى  
الأساتذة والإداريين الطماعين، أما أغلب عمال الخدمة فمستواهم  
ومركزهم الضعيف يجعلهم يتشبثون بكل قشة من الوشاية ونقل  
الأخبار للمسؤولين، ظننا منهم أنها ستنقذهم في أوقات الغرق، أو  
تضمن لهم الرفعة والمكانة وسط الزحام.

ثم سكت الجميع وساد هدوء كبير غفي خلاله الكثير من الركاب  
نائمين مسافة الطريق.

وقبل وصول الحافلة استدار أمين لنورة وهو يهمس في أذنها خفية،  
سأشتاق إليك كثيرا لكن لا تقلقي سأتي أحيانا لحيكم حتى أراك كما  
اعتدنا من بعيد.

وردت عليه مبتسمة: لا تنس أن اليوم الذي أخرج فيه هو الجمعة  
صباحا للذهاب لحمام الحي.

فردّ عليها وهو يدنو ويقترب منها أكثر ويمسك بيدها بشدة: أعرف ذلك لا تقلقي وأحيانا سأحضر معي محمد أثناء الطريق لرؤية زهيرة لعلّ قلبها يلين.

وحينها استفاقت زهيرة وكأَنَّها سمعت ما دار بينهما من حوار وهي تمسك ضحكتها قائلة ماذا كنتم توشوشون؟  
نورة: لا شيء سأخبرك فيما بعد.

واستفاق محمد أيضا وهو يتثاءب ويتساءل قائلاً: هل وصلنا؟  
زهيرة وهي تنظر مباشرة في عينيه: إننا على مشارف المدينة، ثم تبادلنا النظرات لبرهة في صمت دون أن ينبسَا بكلمة أخرى.

وصلت الحافلة أخيرا إلى محطّتها، وعند النزول ابتعد محمد وأمين عن الفتيات حتى لا يكتشف أمرهم من طرف أهاليهم، أو يلاحظهم أحد الوشاة.

وقد وجدوا والد أمين سي الشريف بسيارته منتظرا، فأقلّ ابنه ومحمد أيضا في طريقهما كما جرت عليه العادة دائما، أما زهيرة فقد وصل أخوها للتو في سيارة أجرة ونزل مسرعا ليحمل أمتعتها وصديقتهما أيضا نورة.



كان محمد يقضي أيام العطلة في النوم أغلب ساعات النهار، ويتوجّه مساءً إلى مقهى النجمة بوسط المدينة حيث يلتقي بأمين وصلاح وسليم وبعض أصدقائه وزملائه من الطلبة الجامعيين الذين يتخذون هذا المقهى مكاناً للتلاقي والتسامر ولعب الورق والدومينو، حيث يستذكرون مختلف الأحداث التي مرّت بهم خلال السنة الماضية، وأحياناً ينظّمون مباراة كرة قدم يوم الجمعة بالملعب الترابي الذي يقع بالحي السكني لإطارات منجم الفوسفات أين يقطن أمين.

كما كان محمد وأمين لا يكادان يفترقان إلا حينما يذهبان للنوم، وكانا لا يفوّتان الفرصة بين الحين والآخر، للمرور أمام منزل صديقتيهما زهيرة ونورة،

اللّتان كانتا تسكنان في نفس الشارع بحي العمارات الذي يقع بمدخل المدينة الغربي، في عمارتين متلاصقتين، وكان محمد وأمين كثيراً ما يجلسان في آخر المساء بعد العودة من المقهى قبالة شبابيك شقتيهما، اللتان تطلان على نفس الساحة التي تتوسط مجموعة العمارة المصطفة والمتقابلة، حيث يبقيان تحت شجرة الصفصاف التي تقابل العمارتين مباشرة، عليهما يظفران بطّلة من وراء الشبابيك، أما يوم الجمعة فكانا يبكران للمكوث بنفس المكان طمعا بالفوز

بنظرات وابتسامات حين تذهبان لحمام الحي صباحا، أو عند ذهابهن للتسوق وشراء بعض الحاجيات في بعض الأحيان الأخرى.

هكذا كان طلبة البلدة يقضون أغلب عطلهم الصيفية الطوية التي تدوم لثلاثة أشهر كاملة، كما كان البعض منهم يذهبون في آخر الصيف إلى أحد الولايات الساحلية، لقضاء بعض الأيام في البحر والاستجمام هناك، فالبعض منهم يذهب مع الجمعيات الخيرية والمنظمات الوطنية التي تنظم بعض الرحلات السياحية لتقليل التكاليف، ومنهم من يذهب برفقة العائلة من ميسوري الحال، وهناك من يذهب منفردا أو سويا في مجموعات من الأصدقاء ويقترسمون مصاريف الرحلة والإقامة.

كان أمين يذهب رفقة والده وأمه وأخته في رحلة لمدة عشرة أيام كل صيف، وكانوا كل سنة يختارون مدينة ساحلية جديدة، فوالداه ميسورا الحال ويخصصان ميزانية خاصة للعطل الصيفية، على عكس محمد الذي كان لا يجد حلا في مثل هذه المواقف سوى أن يتدبر أمر مصاريفه بنفسه، ويقضي بعض الأيام لدى أحد أقارب والده، الذي هاجر إلى مدينة ساحلية تقع على بعد مائتي ميل تقريبا، منذ أكثر من عشرين عاما، فالعائلة كثيرة العدد والوالدان عمي العربي وخالتي فاطمة لا يهتمان بهذه الأمور، فما يفكران فيه هو كيفية إطعام أفراد

العائلة لا غير، فيضطر أفرادها للذهاب منفردين لأقاربهم الذين يقطنون بالمدن الساحلية، وهناك حتى من لا يذهب أصلا لعدم قدرته على تغطية مصاريف الرحلة، ويبقى بالبلدة تلفحه حرارة الصيف القاسية.

رغم طول العطلة الصيفية إلا أنها انتهت أخيرا، وتنفس الصعداء أغلب شباب البلدة الذين يزاولون دراستهم الجامعية، بالرغم من تبجحهم وتذمرهم الدائم، أيام يكونون في مقاعد الدراسة بأنهم ملوا الإقامة بعيدا عن منازلهم، ويشتكون طول الوقت من سوء الإطعام، ورداءة الخدمات الجامعية برمتها، إلا أنهم في الحقيقة لا يريدون العودة للمدينة والمكوث فيها طويلا، وما يظهرونه للعيان سوى نوع من الكلام، وتغطية للعجز والحرمان الذي يعيشه أغلبهم في القرية، والحقيقة عكس ذلك تماما، فالدراسة الجامعية بعيدا عن البلدة تبعدهم عن الروتين القاتل، الذي يعيشونه في تلك القرية المنسية، ويسمح لهم بتغيير الأجواء وعيش حياة شبابية تملؤها المغامرات العاطفية، وتسمح لهم بالاختلاط المباشر بالجنس الآخر الذي يحرم عنهم مجرد الاقتراب منه في البلدة، وتكوين صداقات جديدة مع زملاء قادمين من مدن أخرى، تجعلهم يتخلصون من الروتين اليومي والرتابة

القاتلة، ويجدون الكثير من المن والسلوى والأنس الذي يفتقدونه تماماً في القرية.

كانت العودة لمقاعد الدراسة كالعادة، وكما يحدث كل بداية سنة جامعية، باستثناء أن الطلبة الأقدم كانوا يتسلمون مفاتيح نفس غرفهم مباشرة، دون الحاجة لأيّ إجراءات إدارية جديدة بخلاف المسجلين أول مرة.

وقد عاد محمد وأمين سويا وأوصلهما سي الشريف والد أمين إلى الإقامة مباشرة بسيارته الجميلة، وعادت زهيرة ونورة سويا أيضا وسليم وصلاح أيضا معاً.

وفي اليوم الثالث التقوا في مكتب الطلبة بعدما التحق الجميع، بمن فيهم حسين ودلال وياسين وخالد ونذير، وقد كان محمد أول الواصلين حيث فتح المكتب وجلس ثم انغمس يتفحص بعض الدفاتر القديمة التي كانت موضوعة على المكتب.

وبعد لحظات التحق أمين فسأله محمد قائلاً: هل ترغب في أن نذهب لإحضار كوبين من القهوة؟

ردّ أمين وهو يهزّ بكتفيه: لا سننتظر التحاق البقية.

وهمس محمد في نفسه بحرارة: يا ليت زهيرة كانت أول الواصلين.

ثم علا من جديد وقع أقدام على مدخل المكتب، وانفتح الباب ببطء شديد، لقد دخلت زهيرة التي لم يرها عن قرب منذ ثلاثة أشهر تقريبا، كانت في أبهى حلتها، ووجهها المستدير البياضوي يتلأأ مثل حبة ياقوت، وبابتسامتها الهادئة سلّمت وهي تقول مساء الخير.

رد محمد بعد أن رفع رأسه وهو لم ينزل عينيه من النظر إليها، لشدة ما كانت دهشته شديدة، قائلا؛ عمت مساءً

ثم دخلت نورة من ورائها مباشرة مسلمة، واتجهت إلى أمين والتصقت بجانبه وهي تكاد تطير فرحا، فاستدار إليها وأمسك بكلتي يديها قائلا؛ اشتقت إليك، فغرست عيناها في الأرض حياءً وهي تقول وأنا أيضا.

ثم انفتح الباب من جديد على آخره، ودخل حسين ومعه دلال ممسكة بيده، فهي كظّلّه ولا تكاد تفارقه طوال اليوم إلا عند الدخول للإقامة للنوم، ثم تبعهم كلّ من ياسين وخالد وألقوا السلام بصوت واحد ومتزامن، واتخذوا أماكن لهم.

وبعد برهة التحق نذير العضو الجديد أيضا، الذي ترشح بمفرده ورجح صوته فوز محمد بالرئاسة على حساب حسين، والذي كان مشهورا في الجامعة بجفوته عن الناس وانعزاله عنهم، وكثيرا ما كانوا

يسخرون منه جراء ذلك، وألقى السلام بخفة كالبقية قائلاً: مساء الخير أيها الرفاق واتخذ له مكاناً في الزاوية.

ثم ما لبث أن بدأ محمد الكلام بالترحيب بزملائه كما اعتاد قائلاً: مساء الخير أيها الرفاق وعودة ميمونة لمقاعد الدراسة، وما أود قوله أن بداية هذه السنة سيكون بمثابة الانطلاقة الحقيقية لعملنا، وتجسيد برنامجنا، والتدرج نحو تحقيق مخططاتنا، وذلك لا يتأتى إلا بالاجتهاد والصبر والتفاني في العمل، لإحداث التغيير المنشود، وتحقيق الأهداف المسطرة والوعود التي قطعناها على أنفسنا ومنحناها للطلاب، وهذا ليس بالأمر الهين ويتطلب الكثير من الاجتهاد، ثم رفع كفه مشيراً إلى حسين ومن سبقونا في العمل يدركون هذا جيداً ونعول عليهم، لينيروا لنا الطريق حتى نتجنب العثرات التي قد تؤدي لفشلنا، ثم سكت وهو يحدّق في عيني حسين مباشرة منتظراً منه التعقيب عن كلامه.

وقد فهم حسين ذلك واسترسل في الحديث مباشرة، بعدما وقف من مكانه واتّجه صوب مدخل المكتب بقرب الباب، ثم استدار وهو يوزع نظراته على الجميع، بحسب تجربتي السابقة، إنه ينتظرنا عمل شاق رفقة الإدارة هذه السنة، فأغلب الاستشارات القانونية الخاصة بالصفقات العمومية المختلفة تتم في بداية كلّ سنة حيث تتنافس

عديد الشركات والمؤسسات على الفوز بها، ثم وضع سبائته في اتجاه صدره، ونحن ممثلي الطلبة ونقابات الأساتذة والعمال باعتبارنا شركاء اجتماعيين، فإنهم يستدعوننا لحضور أغلب تلك المراحل التي تقوم بها الإدارة، بداية من الإعلان عنها إلى غاية منح الصفقات، ويحتم القانون الداخلي للجامعة تزكيتها من طرفنا أو رفضها وتدوين أسباب ذلك، وهي مسؤولية كبرى وأعتبرها العمل الأصعب الذي ينتظرنا، مع بعض المشاكل الأخرى التي تخص الطالب، وحسب رأيي كلما كنا على وفاق مع الإدارة كلما كان العمل أسهل.

وقاطعته نورة قائلة: يكون التفاهم والتكامل بيننا وبين الإدارة، إذا كان عملها صحيحا ولا تشوبه شائبة، وليس فيه لبس، ثم أخذت تهز برأسها وتلفتت إلى الجميع وكأَنَّها تجمع التأييد وهي تسأل: أليس كذلك؟

وعلا صوت أمين ولحقه البقية قائلين: بصوت واحد نعم نعم إذا كان صحيحا؟ وإلا لن يأخذوا منا التأييد؟

ثم نطقت دلال من هناك وهي تمضغ العلك وتحرك رأسها هنا وهناك، الإدارة إذا أرادت أن تمرر عملها ستفعل ذلك سواء منحناها التأييد والتزكية أو لم نفعل ذلك.

ثم وقف محمد فجأة مستعيداً الكلمة من جديد، على الأقل نقول كلمتنا ورأينا بصدق، ولا نؤيد ونزكي ما ليس في مصلحة الطالب والجامعة، ولا تنسوا أنّ هناك عديد المشاكل العويصة الأخرى التي يجب أن نجد لها حلاً عاجلاً، فرداءة وجبات الإطعام ومشاكل الإقامة لا تنتهي، والأهم من كلّ ذلك ما يحدث في الدراسة من محاباة وتفضيل لطلبة على آخرين، وجميعكم تعلمون ذلك والأسباب المختلفة التي تساهم في هذا التسيب في الجامعة، وكيف تهضم حقوق الطلبة النجباء، ثم صمت فجأة وهو يرى الجميع يتطلعون إليه بثبات، ونظر إلى أمين قائلاً: أليس كذلك؟

والذي رد بسرعة: نعم نعم هذا ما جئنا من أجله وليس لخدمة الإدارة.

فضحكت زهيرة وابتسم نذير وهتفت نورة في عجالة صحيح .

ويبدو أن هذا الكلام لم يعجب الأعضاء السابقين، فتدخل ياسين صاحب اللحية الطويلة قائلاً: وهو يبتسم بسخرية واستهزاء: سنجرب ذلك.

وهتف خالد معقّباً على كلام محمد: أنا لا أوافقك على هذا.



وتبع ذلك نقاش حامي الوطيس واتقدت فيه الكلمات كألسنة  
النيران الملتهبة.

ونطقت نورة من هناك بصوت عالٍ: انتظروا لحظة أيها الرفاق،  
فخيم الصمت على الجميع وراحوا يتطلعون إليها متسمّرين، من يقول  
منكم أنّه من واجبنا مجارة الإدارة هو على حق، فيجب أن نجاريهم  
ظاهرياً فقط حتى نكشف الحقيقة، ونكشف كل الهمتان وأن نعمل  
بعد ذلك على التغيير تدريجياً، لأن المواجهة من الوهلة الأولى ستجعلنا  
نخسر الكثير وسيغلقون في وجوهنا كل الأبواب ولن نصل إلى شيء.

كان أمين يصغي وهو يهز رأسه في توافق مع كلماتها، أما حسين  
وياسين وخالد ودلال فقد شكلوا فريقاً معارضاً، ولسبب ما استاء  
محمد منهم.

عندما انتهت نورة من الكلام نهض محمد وقال في هدوء تام وهو  
ينظر إلى الأربعة معاً:

هل جئنا للجامعة فقط من أجل أن نملاً بطوننا وننام ونعود لمنازلنا  
بشهادات ورقية؟ أبداً، لا شيء من هذا القبيل.. يجب أن نبين لأولئك  
الذين يستغيبوننا ويضعون العصا على عيوننا ليركبوا على ظهورنا  
أننا نرى كل شيء، نحن لسنا أغبياء، يجب أن نبين لهم أننا على قدر

الثقة التي منحها لنا زملاؤنا الطلبة، وعلى قدر المسؤولية الملقاة على عاتقنا أننا لا نقاد مثل القطيع، حسب أهوائهم وطمعا منا في الامتيازات التي يخصصوها لنا دون غيرنا، إن نحن خضعنا لأهوائهم.

كان الشعور بالاعتزاز والفخر يجتاح صدر زهيرة وهي تستمع إلى هذه الكلمات حقا، ما أجمل حديثه!

لم ينتهِ هذا الاجتماع إلا قبل المغرب بقليل، سبق حسين وياسين ودلال وخالد الباقيين في مغادرة المكتب.

وسألت زهيرة محمد: هل تصحبني إلى باب الإقامة؟

محمد وعيناه مشدوهتان ولا يكاد يصدق ما يسمع وهو يهم بالهوض من مكانه مركزا نظرا حادا مباشرا في عينيها: أكيد وهل يترك القمر يعود وحيدا والظلام يشتد في الانتشار.

فنظرت إليه زهيرة من خلال أهدابها نظرة استحياء تنم عن كثير من الإعجاب والامتنان، وقد احمرت وجنتاها.

أحس خلالها محمد ببعض الارتباك فأسرع يضيف بهدوء، يجب أن تغفري لي بعض حماقاتي السابقة، لكني الآن قلت ذلك من أعماق قلبي.

فأجابت زهيرة في هدوء مماثل، وقد أمسكت بيديه وهي تضغط عليهما بقوة: يا لك من صديق طيب.

وقال محمد وهو ينظر في عينيها الجميلتين: أتمنى أن يأتي يوم وتكونين لي للأبد.

ابتسمت وهي تسحب كلتا يديها وتخرج من الباب قائلة هيا، أمين ونورة سبقانا وهما واقفان أمام الشجرة بانتظارنا.

ثم قال محمد وهو يعبر وراءها الباب، ويقوم بإغلاقه في الوقت ذاته نعم لقد تأخرنا قليلا، لكن لا عليك فممثلي الطلبة يتمتعون بحصانة خاصة، وتستطيعان الدخول للإقامة في أي وقت وتخرجان متى دعت الضرورة لذلك.

بدأت الدراسة متأخرة ككل عام بعد تسجيل السنوات الأولى من الطلبة الجدد، وإعادة تسجيل طلبة السنوات الموالية، وقد تخلل هذا العام بعض المشاكل في تسلم الطلبة لشهاداتهم المدرسية، وكشوف النقاط للناجحين بعد الاستدراك والراسبين، مما صعب على الطلبة الذين أرادوا تغيير اختصاصهم والتحويل الداخلي، أو التحويل الخارجي لجامعات أخرى، وقد تدخل أعضاء المكتب لحل الكثير من الإشكالات والصدامات، التي كانت تحدث بين الفينة والأخرى بين

الطلبة ورؤساء الأقسام من جهة، ورؤساء المصالح الإدارية وأعاونهم من جهة أخرى، وقد حدث الكثير من التذمر والاحتقان واللغط في أوساط الطلبة، وما زاد الطين بله، عند صدور قوائم التوجيهات من السنوات الأولى إلى السنوات الثانية المتخصصة، وتوزيع الطلبة على تلك الأقسام، وهو كما زعمت الإدارة يكون حسب ترتيب المعدلات، حيث تمنح الاختصاصات الأكثر طلبا لأصحاب المعدلات الأعلى، والذين كانت أول اختياراتهم، وهكذا يتم توزيع الطلبة على بقية التخصصات.

لكن في الواقع اكتشف الطلبة أن هناك الكثير من الاختلال والتجاوزات، وأن ما ادعته الإدارة وصرح به نائب الرئيس المكلف بالتكوين العالي للطورين الأول والثاني والشهادات في أكثر من مناسبة، لم ينطبق على البعض الآخر، الذين أضيفوا في قوائم الاختصاصات الأكثر طلبا، ومعدلاتهم لا تسمح لهم سوى بالالتحاق باختصاصات متوسطة أو دنيا، بينما حرم منها آخرون معدلاتهم كانت أعلى، وهذا ليس بغريب فهو يحدث تقريبا في كل سنة دراسية.

كما أشيع أن هؤلاء الطلبة أصحاب نفوذ، وأوليائهم من المسؤولين ورجال الأعمال النافذين، حتى أن الحاج إبراهيم تدخل في عدة مرات،

لتغيير تخصص بعض الطلبة المقربين منه بسهولة تامة، فالرئيس ونوابه والأمين العام لا يرفضون له طلبا.

بدأ الغضب والاحتقان يشتد يوما بعد يوم، وكان أغلب الطلبة يتذمرون من الوضع السائد في الوسط الجامعي، فبعد فضائح آخر السنة الماضية بتصدر طلبة لم يكونوا في الحسبان قوائم الناجحين، بأعلى المعدلات وفي مختلف الاختصاصات، والحالة المزرية التي يعيش فيها الطلبة داخل الإقامة، سواء من اكتظاظ الغرف التي تصل أحيانا لست طلبة في غرفة صغيرة لا تتعدى الأربعة أمتار، أو من ناحية الإطعام والوجبات الرديئة التي تقدم لهم على مدار الأيام، أو حتى النقل الجامعي الذي يفتقر للعدد الكافي من الحافلات، ولا يغطي جميع الخطوط وقد أضيف لها بداية هذا العام مشكلة أخرى وهي توزيع طلبة السنوات الأولى للجذع المشترك على مختلف الاختصاصات بالسنوات الثانية، والتي كانت أيضا فيها العديد من التجاوزات.

وقد تجمع العديد من الطلبة الذين مستهم هذه المشكلات، أمام مكتب ممثليهم وطالبوا أعضاء المكتب بالتدخل لدى المسؤولين لإنصافهم، ومنهم حتى الذين ابدوا رغبتهم في شن إضراب عن الدراسة، وتنظيم وقفات احتجاجية أمام رئاسة الجامعة، والأمانة العامة ونيابة المديرية للتكوين العالي والشهادات، إلا أن محمد استطاع بحنكته

ودهائه وهدوئه أن يمتص غضبهم، مؤكدا لهم أن الوقت لم يحن بعد لمثل هذه الأمور، وبأنه سيسعى جاهدا لإصلاح ما يمكن إصلاحه، وبالفعل فقد تدخل أعضاء المكتب في أكثر من مناسبة لحل هذه المشكلات، وكذلك مشكلة محاباة الكثير من الأساتذة وتفضيلهم لطلبة على حساب آخرين في منح العلامات وابتعادهم عن العدل والإنصاف، وأصدر مكتب المنظمة العديد من البيانات الاستنكارية، وبعثوا الكثير من المراسلات الكتابية لشتى المسؤولين، إلا أن أغلب محاولاتهم باءت بالفشل، رغم اجتماعهم بنائب الرئيس الدكتور سليمان بأمر من الرئيس نفسه، والذي لم يكن له الوقت لدراسة الموضوع فأوكل ذلك لنائبه، والذي أكد لهم في أكثر من مرة أن كل شيء على ما يرام، وأن ما يتكلمون عنه مجرد كلام يتكرر كل عام، ولا أساس له من الصحة، وأن بعض الطلبة الذين حولوا اختصاصهم فيما بعد كان للضرورة القصوى، وهي ميزة تمنحها الوزارة للبعض دون الآخر، والشيء الوحيد الذي يستطيع أن يقدمه لهم، أن يمكن لهم بعض المقاعد في الاختصاصات الأكثر طلبا، لتكون من نصيب أعضاء المكتب أو لمن يتوسطون لهم.

رفض محمد وزملاؤه المؤيدين له ذلك رفضا قاطعا، على عكس حسين وجماعته الذين استغلوا الفرصة، وتوسطوا لبعض أصدقائهم

ومعارفهم، واحتدم الجدل بين المجموعتين على طريقة تسيير المكتب، لكن أغلب ذلك كان ينتهي بالوصول لموقف وسط.

تعاقبت الأيام والأسابيع والشهور، وكان يجتمع الأعضاء في المكتب مساء كل خميس، وكل اجتماع كان يمثل درجة جديدة في السلم الطويل الصاعد، الذي يرتفع عليه محمد ومجموعته ببطء نحو تحقيق هدف أسمى وبعيد.

وانضم طلبة آخرون إلى المنظمة كمتطوعين، حتى ضاق بهم المكتب، واختنقت بهم غرفة محمد حيث كانوا أحيانا يجتمعون ليلا، وكان في كل مرة يحتد النقاش بين مجموعة محمد، وجماعة حسين أثناء اجتماعاتهم ويهب محمد ناهضا، ويقف هناك يتأرجح إلى الأمام والخلف وهو يتفوه بنبرات رنانة عميقة بكلمات لطيفة بسيطة، سرعان ما تسبغ الهدوء والسكينة والجد على الجميع، فهو بطبيعة الحال رئيس المكتب ويحترمه الجميع ويستمعون لكلامه.

وكان حسين متجهّما دائما، ويحث الآخرين على إتيان هذا الأمر أو ذلك، وكان يتجه دائما إلى الرأي بمسيرة الإدارة وجلب أكبر المكاسب وتجنب الدخول معها في أي صدامات، وكان يبدأ هو وأمين الذي يعارضه طوال الوقت أغلب المجادلات، والذي يأخذ برأي محمد دائما

وأنه على الطلبة أن يستجمعوا قواهم ويتوحدوا ليقفوا وقفة رجل واحد، ضد هذا الظلم والفساد المستشري في الجامعة.

ولم تكن الفتيات تتدخلن إلا قليلا، فزهيرة ونورة كانتا توافقان محمد وأمين وتدعمان مقترحاتهما دون تفكير، بينما كانت دلال تحذو حذو حسين وياسين وخالد، أما نذير كان قليل الكلام ولا يظهر موقفا صريحا من كل ما يدور من نقاش وجدال، ولا يبرز رأيه لا مع هذا ولا مع ذلك.

ولحسن الحظ أن محمد وأمين وزهيرة قد وجهوا للاختصاص الذي اختاروه وهو القانون الإداري، واجتاز صلاح وسليم السنة أيضا ولم يرسبا، ونجح بقية أعضاء المكتب دون عناء، وكانوا يقضون أيامهم بين الذهاب للدراسة والمكتب، حيث كانت شكاوي الطلبة التي تصلهم لا تتوقف، سواء بسبب المشاكل التي تحدث مع أساتذتهم أو مع بعض الإداريين، أو حتى بعض النزاعات بينهم، وروتين الإقامة حيث كانوا يخرجون من المطعم بعد تناول وجبة العشاء، ويجلسون لبعض الوقت في الساحة المقابلة لإقامة الطالبات كعادتهم التي دأبوا عليها منذ أن وطأت أقدامهم الحرم الجامعي، قبل انتهاء الوقت المسموح به لدخول الطالبات للإقامة، والمحدد بعد المغرب بنصف ساعة على أكثر تقدير، وكان المرح يسود تلك الجلسات حيث يحاولون نسيان



ضغوط يومهم بالترفيه عن أنفسهم، وفي الكثير من الأحيان ينزوي أمين مع نورة تحت إحدى الأشجار وهما يشبكان أيديهما ويتبادلان المجاملات وأجمل عبارات الغرام، ويغادر صلاح وسليم إلى نادي الطلبة حتى لا تفوتهم جلسة الدومينو، ويبقى محمد وزهيرة منفردين مما يتيح لمحمد التعبير عن مكنوناته وكسب ودها وجعلها تألفه أكثر فأكثر، فهي لم يسبق لها الاقتراب من غرباء قبل هذا، وهي كالفرس البرية التي تحتاج وقتا طويلا لتألف فارسها، وكان محمد يحضر لها بعض الأشرطة الموسيقية لفنانة المفضل، ملك الأغنية العاطفية الشاب حسني، بينما كانت هي تقدم له أشرطة شرقية لأم كلثوم وعبد الحليم، وكانت هذه الجلسات الحميمة تنتهي بسرعة، ثم يوصلون الفتيات إلى باب الإقامة ويتوجهون مباشرة لغرفهم، يضعون الأشرطة التي حصلوا عليها من صديقاتهم في المسجل للاستماع إليها، ويخيل لهم أن كل كلمة فيها تقصدهم، وما أكثر ما كانوا يتجمعون في شرفة الغرفة ويغنون، فينشدون بأصوات عالية سعيدة تلك الأغاني البسيطة التي يعرفها الطلبة أجمعون، وكانوا ينشدون أحيانا أغاني جديدة غرامية وجدية في تناسق جميل، لكن بلحن غير معهود، وكانوا ينشدونها بأصوات عالية ليسمعوا الفتيات اللواتي كن بدورهن يتجمعن في مختلف الشرفات المطلّة على إقامة الذكور، وكان محمد

أحيانا يقوم بفتح المسجل في شرفة الغرفة على أعلى صوت، وهو يضع أحد الأغاني التي كانت تؤثر في زهيرة بصورة خاصة، فهي لم تكن تفصح كثيرا عن الآلام الموجعة التي تحسها، ولا عن ذلك الأنين الذي بداخلها، وكثيرا ما كانت تظهر ذلك من خلال هذه الأغنية التي تقول بأنها تعبر عنها، وكانت بمجرد أن يصل صداها إلى غرفتها تخرج سريعا إلى الشرفة، مشيرة إلى محمد بوشاحها الأحمر الذي يتراءى من بعيد، وكان محمد يطير فرحا ويبقى لساعات ساهرا في الشرفة، وأحيانا تظهر نورة وبقية الفتيات اللواتي تسكن معهما الغرفة أيضا سلمي وسعاد ويأتي أمين ويرفع كلتا يديه لنورة التي ترد بالزغاريد، على عكس صلاح وسليم اللذين يعودان من نادي الطلبة متأخرين.

وفي أحد الليالي استيقظت زهيرة مع منتصف الليل، وتقلبت في سريرها عدة مرات، كان قد أصابها أرق وأحست بالوحدة فتوجهت إلى الشرفة ومدت نظرها إلى الخارج، كان كل شيء في الإقامة ساكنا غير واضح المعالم، وكانت بعض ريح نهاية الخريف تنفخ أوراق الأشجار المتطايرة على بنايات الإقامة القديمة، وتصطدم بالجدران ثم تنحدر على الأرض، لتثير عاصفة من التراب والأوراق الجافة تملأ الساحة، ثم خيل لها أنها ترى بعض الأشباح تتحرك في المدخل الرئيسي للإقامة، ثم أعادت النظر من جديد، فأتضح لها أنهم ثلاث طالبات تترنحن وهن

داخلات من باب الإقامة، بينما يقف أعوان الحراسة والأمن رفقة شخصين، وتراءى لها أيضا جزء من سيارة سوداء، والشخصين الذين أحضرا الفتيات، عبر فتحة الباب حيث يقف عونى الحراسة، ثم ما لبث أن اختفى الشخصان بسرعة وأغلق أعوان الأمن والحراسة الباب، بينما تقدمت الطالبات وهن يتمايلن ويبدو من مشيتهن أنّهن مخمورات، عادت زهيرة بسرعة إلى غرفتها وأيقظت نورة وزميلتها في الغرفة سلمى وسعاد وخرجن جميعهن للشرفة وهن يزحفن مختبئات بجدار الشرفة القصير، وكانت تلك الفتيات تتمايلن وتترنحن وهن يسرن متقدمات حتى أنّ إحداهن سقطت على الأرض فهبت صديقتها لإيقافها بصعوبة، وكنّ يضحكن ويقهقهن ويدخن السجائر ويتكلمن بصوت خشن عالي، ومع تقدمهن من باب الجناح المقابل همست نورة بصوت منخفض قائلة؛ يا إلهي إنها دلال ومعها صديقتها بالغرفة؟ ثم ما لبث أن اختفيا بين الأشجار الطويلة المتقابلة على باب الجناح، ولم يسمعن بعدها إلا بعض الأصوات والقهقهات وضجيج فتح وغلق الأبواب، ثم زحفن ودخلن إلى الغرفة وأغلقن باب الشرفة وهن مصدومات من هول ما شاهدن.

قالت نورة وهي تهمس لزميلاتها: يا إلهي إنها دلال لقد رأيتها بأَم عيني، وبرفقتها زميلتها في الغرفة أسمهان وصوريا، أين كنَّ في منتصف الليل ومع من؟

زهيرة وهي تمسك رأسها بكلتي يديها... آه.. لم أكن أتوقع هذا من دلال.. يا الله.. أما زميلتها أسمهان وصوريا، فهن معروفات في الأوساط الطلابية بفجورهن، ألا تتذكرن أننا عندما وطئت أقدامنا هذه الإقامة أول مرة، تلقينا التحذير من الطالبات القدامى من مخالطتهن وسمعنا عن طيشهن الكثير.

ثم تنهدت سلمى زميلتهن في الغرفة وهي تفتح عينها عن آخرهما.. قائلة؛ يا للعار أيصدر هذا من طالبات جامعيات، واللواتي يفترض بهن أن يكن قدوة لبقية فتيات المجتمع، فهن يمثلن الصفوة المتعلمة من الفتيات.

ثم قالت سعاد زميلتها الأخرى في الغرفة وهي مرتبكة، لن أكلمهن أو أقرب منهن بعد الآن، فلو سمعت هذا من أفواه بقية الطلبة والطالبات ما كنت لأصدقهن، أبدا.. أبدا... وكنت سأعده مجرد غيبة وغيره وتشويه لصورتهن، لكنني رأيت هذا بأَم عيني.

زهيرة: هل رأيتم ذلك، إنهن يدخن السجائر، ويترنحن ويتمايلن  
أظنهن فاقدات لوعين ومخمورات.

نورة: نعم ويبدو أنهم كن يسهرن مع أصدقائهن في أحد الكباريات،  
وأعوان الأمن والحراسة متواطئون معهن أيضا، ربما ينالون الرشاوي  
وبعض البقشيش حتى يسمحوا لهن بالدخول.

وكما سبق وسمعنا فإن الكثير من الأحداث المماثلة تحدث كل ليلة،  
وبالأخص في ليالي العطلة الأسبوعية، حين يعود الطبّة والطالبات  
لمنازلهم ويقل عدد الماكثين بالإقامات، وتكون السهرات أكثر فخامة.

وفي صباح الغد قصت زهيرة ونورة كل ما حدث ليلة البارحة على  
محمد وأمين، حينما التقوا في المكتب مساءً، قبل أن يلتحق بقية  
أعضاء المكتب ما عدا حسين ودلال وهذا ما جعلهم يشكون بأنّ  
حسين أيضا كان برفقتهم البارحة.

وقد أخبرهم أمين أنّ السيارة الفخمة السوداء ربما تكون إحدى  
سيارات الحاج إبراهيم، فهو يمتلك عديد السيارات الفارهة وبمختلف  
الألوان.

وأخبرهم محمد أنه قد وصلته سابقا عديد الشكاوي بخصوص هذا  
الموضوع، يتّهمون فيها أعوان الأمن والحراسة بالتواطؤ في مثل هذه

الأحداث، لكنه لم يعرفها أي اهتمام وظن أنها مجرد إشاعات وكلام لا أساس له من الصحة، لكنه تأكد فعلا هذه المرة، وقد أضيفت مشكلة أخرى لما يعانيه الطلبة من المشاكل المختلفة، والتي يجب أن يجدوا لها حلا، لكن الإشكالية في تواطؤ بعض الأعضاء من مكتب الطلبة أنفسهم في مثل هذه الحوادث، وهذا ما سيصعب المأمورية أكثر، وسيشق المكتب إلى نصفين، وسيؤدي إلى إضعاف صوته في الوسط الطلابي، وفي مواجهة الإدارة، لذلك أرجأ محمد هذا الموضوع إلى وقت لاحق، وطلب منهم عدم إخبار البقية، وترك الأمر سرا بينهم، وطلب من زهيرة ونورة أن يخبرا زميلتهما في الغرفة سلى وسعاد بأن يكتما الأمر ولا يخبرا به أحداً إلى حين وقته.

مرت بضعة أيام ثم أسابيع وشاعت الأخبار كثيرا حول ما حدث، ويبدو أنه في تلك الليلة هناك من شاهد الحادثة أيضا من الطلبة والطالبات، وأن الأمر لم يعد سرا، بل أصبح حديث الكثيرين، وهناك أيضا من روى أحداث مماثلة قد شاهدها أو سمع عنها، وقيل أيضا الكثير من اللغط والكلام عن علاقة مدام زكية مديرة الإقامة الجامعية للإناث، بكل من الرئيس ونوابه والحاج إبراهيم وعديد الشخصيات المعروفة الأخرى، وقد أشيع عنها أنها تحت حماية والي الولاية شخصا، ولا أحد يستطيع زحزحتها من منصبها مهما حصل،

وأنها تقدم لهؤلاء الشخصيات وآخرون من كبار التجار ورجال الأعمال، العديد من القرايين من الطالبات المقيمات الجميلات، سواء بإغرائهن بشتى الوسائل، أو باستغلال طيشهن وحاجتهن وعوز الكثرات منهن، أو حتى بتهديدهن بعد إسقاطهن في مشاكل جمّة داخل الحي، تصل عقوبتها لحد الفصل من الدراسة، ثم تهددهن وتعرض علمهن الرضوخ لأوامرها، بالقبول في الخروج لسهرات ماجة مع أغلب تلك الشخصيات، لتحصل هي على عديد الامتيازات والثناء والرضا والحماية.

وفي أحد ليالي الشتاء الباردة، بينما كان محمد وأمين في غرفتهما رفقة سليم وصلاح يتسامرون ويتبادلون أطراف الحديث، دق الباب بخفة عدة مرات فتح صلاح الباب، إنه سمير ابن نفس مدينة الحاج إبراهيم وزميله في الفوج العام الماضي وهذا العام أيضا بنفس الاختصاص، فهو ثرثار ولا يتصف بالرزانة والاتزان ويحب إبداء رأيه في شتى المواضيع، ويحب مخالطة الناس وحشر أنفه في كل صغيرة وكبيرة، إلا أنه يتصف بطيبة القلب، دخل الغرفة مسلما وجلس مباشرة على سرير قرب الباب، وهو يبتسم كعادته قائلاً؛ لقد أتيتكم بالخبر اليقين، والذي ربما سمعتم عنه لكنكم لا تعرفون تفاصيله، ثم تكاسل وهو يحك ظهره وأردف قائلاً؛ ألا تعرفون ما يحدث في الإقامة؟

رد الجميع بصوت واحد وهم ينظرون إليه مشدوهين: لا

قال في خفة: هناك مجموعات كثيرة متواطئة ومتورطة في مسألة خروج الطالبات للسهر ودخولهن آخر الليل.

لا بل هناك الكثير من الفتيات أصبحن يمتنّ البغاء، وهناك من يشجعنّ على ذلك من أعوان الأمن والحراسة والإداريين، ويستعملنّ لتحقيق مكاسب على حساب زملائه الآخرين، وهناك حتى من يتصيّد الفتيات الصّغيرات اللواتي يدخلن الإقامة الجامعية أوّل مرّة ويبتعدن عن حماية أهلهن، ويقوم بإغرائهن بشتى الوسائل، ويستعمل فتيات ذوات خبرة ومتمرسات في الميدان لإسقاطهنّ في فخ الرذيلة، ويستغلّون أيضا حاجة وعوز بعضهن، فيعرض علمهن المال واللباس باهظ الثمن والذهب والجواهر أيضا، ويعدهن بستر أمرهن وحمايتهن، وإذا تمنّعت إحداهن، يلجأ معها للتهديد والوعيد وإسقاطها في أخطاء ثم يهددها بفضح أمرها إن لم تطاوعه، وبالأخص الفتيات الفائقات الجمال، ثم تنهد وعكف ركبتيه إلى صدره ليجلس كالخنفساء فوق طرف السرير، ثم سألهم قائلاً: هل تذكرون تلك الطالبة التي تدعى منال الفائقة الجمال التي تدرس بقسم العلوم الاجتماعية؟ كيف التحقت بالجامعة أوّل سنة دراسية وكيف تحول شكلها وأخلاقها الآن؟



فقاطعه سليم وهو يجلس قبالة قائلاً: آه نعم نعم إنها تدرس بنفس قسمي، صحيح لقد وصلت للجامعة في أيامها الأولى محجبة، ويظهر على وجهها علامات البراءة، حتى إنها كانت لا ترفع رأسها وهي تمشي في الطريق، ولا تغير أحداً أي اهتمام، ولا ترد على كل من يتحرش بها أو يحاول التكلم معها.

صلاح وهو يتربع إلى جانبه في الطرف الثاني من السرير، ويفتح عينيه مقطبا جبينه قائلاً: نعم نعم تذكرت، إنها نفس الفتاة التي نزعت الحجاب، وأصبحت حديث الجميع في كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، والجميع يلهث وراءها، حتى الأساتذة يجاملونها بمنحها أعلى العلامات، وقيل عنها أيضاً أنها تتردد كثيراً على نائب الرئيس للدراسات الدكتور سليمان، وإنها كثيراً ما حلت بعض المشاكل العالقة لبعض الطلاب المقربين منها.

سمير وقد ضم ساقيه أكثر إلى صدره وأمسك ركبتيه بكلتي يديه: نعم هي تلك الفتاة، إن قصتها حزينة فهي يتيمة الوالدين، وتعيش رفقة خالتها المتواضعة الحال، وحين قدومها أعجب بها الحاج إبراهيم، وقد حاول التقرب منها لكنها كانت تصده، حتى أنها في أحد المرات حينما أراد أن يكلمها عنوة قد أسمعته الكثير من الكلام على مرأى من الطلبة والطالبات، ونعنته بالشيخ الذي في مقام والدها، وأن يستحي

على نفسه، وهذا ما أوجع نار الحقد والانتقام في نفسه، كيف لفتاة أن ترفض الحاج إبراهيم الذي تركع عند قدميه أغلب الطالبات طلبا لرضاه، فقرر الانتقام منها وأن يجعلها تندم على ذلك مهما كان، فحاصرها من جميع الجهات، وأوعز للكثير من أساتذتها الذين كان يصحبهم للغداء، ومنهم حتى من أرسله في رحلة خارج البلاد على حساب الوكالة السياحية التي يمتلكها، ومن منحه إقامة مجانية في فندقه بأحد دول المشرق، وهناك من ساعده في شراء سيارة بالتقسيط، عبر التوسط له مع مدير إحدى البنوك، أن يضيّقوا عليها الطريق، كما كان يشتري الهدايا الثمينة لصديقاتها في الغرفة والمقربات منها في الدراسة، وحين لم تنصع له رغم كلّ الضغوط، اشترى حبيبها الذي كانت تثق به ليخونها، ويتخلى عنها مقابل حفنة من الأموال، حيث رسموا لها خطة بعدما خرجت مع صديقها للتزّه، حيث أغراها بالذهاب لرؤية الشقة التي اشتراها له والده، وكانت شقة يمتلكها الحاج إبراهيم نفسه، موهما إياها أنّها ستكون بيت الزوجية لهما بعد التخرج، وعند دخولهما حدث بينهما الكثير من الأحضان والقبلات كما يحدث بين سائر العشاق، وكانت الشقة مجهزة بكاميرات، حيث التقطت لها عديد الصور في وضعيات حميمية رفيقة صديقها الخائن، وقد قبض هذا الجبان ثمنها مسبقا مبلغا معتبرا من

العملة الأجنبية وتأشيرة وتذكرة للخارج، فحلّمه كان الهجرة خارج البلاد، وبعد أيام تعمد الاختلاف معها وإحداث شجار، وانفصل عنها مدّعيا عدم قدرته على المواصلة، واختفى وتوارى عن الأنظار منذ ذلك اليوم دون أن يظهر له أي أثر.

ثم سكت برهة ليلتقط أنفاسه وهو يضرب ركبتيه وأكمل كلامه؛ وبعد مدة من اختفاء صديقها، أرسل لها الحاج إبراهيم بعض تلك الصور، مع إحدى خادماته اللواتي يتصيدن ويحضرن له أجمل الفتيات، فدخلت في صدمة المسكينة ووجدت نفسها وحيدة، وفريسة لهذا الوحش بعدما تخلى عنها حبيبها، بل باعها بأبخس الأثمان، فلم تجد حيلة إلا أن رضخت له، ومن يومها تغيرت حياتها وانقلبت رأسا على عقب، وأصبحت الطالبة الفاجرة التي يعرفها اليوم الجميع، هذه قصة فتاة واحدة والكثير من القصص التي تحدث كل يوم للكثير من الطالبات.

ثم هز برأسه قليلا والجميع ينظرون إليه وهم في حالة من الذهول، وقال؛ هذه الأشياء، يتورط فيها فئة قليلة كخليط من بعض الأساتذة والمسؤولين والإداريين والطلبة والطالبات الفاسدين، فكل منهم يقوم بدوره حسب مكانه ومنصبه.

ثم تقدم أمين وهو يضع يده على كتف سمير قائلاً؛ والله انه لمحزن ما نرى ونسمع في هذا الوسط الجامعي، والأدهى والأمران الجميع يعلم ذلك ولا أحد يحرك ساكنا، وكأن الجميع متواطئاً إما بالفعل أو حتى بالسكوت.

وأخذ محمد يذرع الغرفة جيئة وذهاباً وهو يداعب خده، ثم قال؛ في حزن عميق يملأ عينيه، نحن لسنا في حاجة لارتكاب مثل هذه الأمور، فقد من الله علينا بالصلاح وصحوة الضمير، ثم تحدث لهم طويلاً في لهجة هادئة ورزينة، تنم عن الكثير من الحزن والحسرة لما وصلت له حالة الوسط الجامعي.

كان سمير مقرباً جداً من الحاج إبراهيم بيد أنهما ينحدران من نفس القرية الحدودية، ويدرسان بنفس الاختصاص والفوج، لكنه لم يكن يستلطفه أبداً، وكان يظهر له الولاء والطاعة، وبأنه يقف مع ابن مدينته إلا أن الحقيقة كانت غير ذلك فقد كان يمقته ويكره أفعاله، لذلك كان يفشي جميع أسرار له لكل من يحس أنه يعمل ضده.

وحيثما أدرك أن محمد ومجموعته يريدون إصلاح الوضع، ويتحينون الفرصة المناسبة للوقوف ضد الفساد المستشري في الجامعة، من كل النواحي، قرّر أن يقف بجانبهم ويزوّدهم بكل ما

يحتاجونه من معلومات وأخبار، وحتى بالأدلة والبراهين التي تسقط بين يديه، عن ما يقوم به هذا البارون داخل الجامعة وخارجها.

وقد أخبرهم أيضا بأن الحاج إبراهيم استطاع بماله الفاسد أن يسيطر على كل صغيرة وكبيرة في الجامعة برمتها، وقد اشترى الغالبية من المسؤولين والأساتذة والإداريين والطلبة بالمال، فلا أحد يستطيع أن يرفض له طلب، أو يقف في طريقه، حتى أنه العام الماضي تسبب بطرد عميد كلية، بعدما رفض له طلب مساعدة طالبتين في اجتياز السنة دون وجه حق، وقد أوعز إلى رئيس الجامعة بأنه يعطل مصالحهما، ويقف لهما حجر عثرة في طريقهما، وبالفعل أنهيت مهامه آخر تلك السنة، وعين مكانه رئيس قسم كان مقربا من الحاج إبراهيم، وينصاع لأوامره ويدين له بالولاء التام.

وكان سمير يصب عليهم وابلا من الكلمات الجافة المتكسرة، دون أن يستريح ليتنفس أو يتلقى جوابا.

وأضاف قائلا: إن الحاج إبراهيم مثل الإخطبوط، يملك العديد من المؤسسات الاقتصادية الخاصة، والشركات التجارية بفروعها وفي مختلف الاختصاصات، وتتوزع ملكيتها بينه وبين أبنائه وإخوته وحتى أصهاره، والعديد منها أبرمت اتفاقيات وعقود تمويل لبعض الهيئات الإدارية في الجامعة.

ومن ضمنها وكالة سياحية متعاقدة مع الجامعة تحتكر إرسال الأساتذة والموظفين إلى الإقامات والتظاهرات والمؤتمرات وإجراء التربصات العلمية في الخارج، ويمتلك أحد أبنائه أيضا شركة لاستيراد مختلف المواد الغذائية، وهي الممون الحصري والوحيد للمطاعم الجامعية، وأحد إخوته هو الآخر يختص بتوريد التجهيزات المكتبية لمختلف القطاعات، ومن ضمنها التعليم العالي، ونادرا ما تفوز مؤسسة أخرى منافسة بإحدى تلك الصفقات التي تكون مؤسسات الحاج إبراهيم أو شركة لأحد معارفه ومقربيه من رجال المال والأعمال طرفا فيها، وهو يترك فقط بعض الفتات من الصفقات الصغيرة، حتى لا يثير الريبة والشك يبعد عن الرئيس شبهات التواطؤ والفساد، كما يتوسط لبعض المقاولين والحرفيين للفوز بصفقات لإعادة الترميم والتأهيل والإنجاز.

ثم قاطعه صلاح عنوة وهو في حيرة واستغراب! ما دهاه للدراسة في الجامعة رفقة طلبة في عمر أبنائه إذن؟

سكت سميع لحظة واسترسل في الكلام قائلا: أما دراسته بالجامعة فهي ليرفع من مستواه التعليمي، حتى يستطيع الترشح للانتخابات البرلمانية القادمة، التي أصبح يشترط فيها المستوى الجامعي، ولتكتمل صورته أيضا أمام الناخبين، ويصبح صاحب المال والمستوى العالي

والجاء والنفوذ، والقصد من حصوله على مقعد في البرلمان هو كسب الحصانة البرلمانية التي تسهل له شتى الأعمال، وتجعله مقرباً من الطاقم الحكومي.

كان الجميع مشدوهون بين الحيرة والتعجب، مما يستمعون إليه، وبقوا إلى وقت متأخر من الليل يستمعون إلى ما يسرده سمير من القصص والأهوال التي حدثت وارتبطت بالحاج إبراهيم، ورئيس الجامعة ونوابه وبعض الإداريين.

توالت الأيام والأسابيع والشهور على تلك الحال، بل إن الوضع ازداد سوءاً أيضاً في الإطعام وزاد تدمير الطلبة، وكثر بينهم اللغط والكلام عن سوء التسيير لقطاع الخدمات الجامعية، وفساد مديره ومسؤولي الإقامات والمطاعم والمخازن ولجان الصفقات العمومية، وقد تشابهت الوجبات وانعدم فيها التنوع المطلوب لصحة الطالب الجامعي، وأصبح الكثير منهم يتضورون جوعاً خاصة الذين يتعففون ولا يتناولون الطعام الرديء.

وكثيراً ما يحدث عراك بين بعض الطلبة وعمال الطهي وتقديم الطعام، كان ينتهي بتدخل مدير المطعم ذلك الرجل السمين البطين، ذو الهندام الكلاسيكي الجميل، الرجل الأصلع ذو الوجه المنتفخ، وكان يأتي مسرعاً وهو يرفع نظارته عن أنفه المدور الذي يشبه المصباح،

وهو يبتسم بشهوانية معهودة ابتسامة باردة تنم عن كثير من الخبث والخداع، وأحيانا يتبدل في لحظة ويكشر تكشيرة الاستياء، يأتي متأخرا بعد أن تسوء الأحوال لتهدئة الأوضاع، ويتفقد بنفسه سيورة الأعمال، ومدى تنظيم إطعام الطلبة كما يفعل عادة، وليبرز أيضا لمسؤوليه وعماله والطلبة أجمعين حرصه على مراقبة كل صغيرة وكبيرة، وأنه ينزل للميدان ويقوم بعمله في مراقبة جودة العمل والإطعام، ومدى التزام عماله بأداء مهامهم، ويأمر بتحسين الوجبات، وذلك ما يحدث ليوم واحد أو يومين على أكثر تقدير، ثم ما يلبث أن يختفي لشهور وتعود دار لقمان على حالها، خاصة إذا سكت الطلبة والتزموا الصمت لوقت طويل.

وكان يأتي أيضا برفقته بائع التذاكر ذلك الفتى الصغير، الذي لم ينبت شارب به بعد، صاحب تسريحة الشعر الغريبة، وهو يبرز الخاتم الحديدي الذي كان يزين إصبعه، وكان يتدخل بصوته الهادئ ويقول للطلبة إني لكم ناصح أمين.

ويتقدم لتمثيل الطلبة المحتجين محمد وأمين وكانت منظمته تصدر البيانات الاحتجاجية في كل مرة، وتعقبها إرساليات وشكاوي للرئيس، تودع لدى سكرتيرته الأنسة سناء، والتي يبدوا أنها لا تعير أغلبيتها أي اهتمام، ما عدا البعض منها حيث تحولها لنائبة للتكوين



العالي والشهادات الدكتور سليمان، بحجة أن الرئيس مشغول وليس لديه الوقت للنظر في مثل هذه المواضيع والإشكاليات، التي تراها تافهة ولا تستحق الاهتمام، وكثيرا ما تنصح الطلبة بالتخلي عنها لان الرئيس سيغضب منهم، أما النائب الدكتور سليمان فكان يمتص غضبهم، ويسدي لهم الوعود التي سرعان ما تتبخر بعد أيام، بعدما يهدأ من غضبهم ويجعلهم يندسون الموضوع، ونادرا جدا ما كان يعاقب المخطئين من العمال بصفة رمزية بتحويلهم من مكان عملهم على سبيل المثال من تقديم الطعام إلى غسل الأواني أو تنظيف البلاط.

لقد مرّ ثلاثي دراسي بأكمله، وحانت دورات انعقاد مجلس الإدارة، بغية الإعلان عن الاستشارات القانونية، ودراسة العروض المقدمة من طرف مختلف المؤسسات والشركات، ومنح الصفقات التي يعاد فتحها كل سنة لأحسن واقل العروض المقدمة، وكان الرئيس قد أمر سابقا بجعلها جميعا تخرج من مجلس الإدارة المركزي، بدلا عن ما كانت عليه سابقا حيث كل هيئة تختص بصفقاتها، وقد أرسلت الدعوات لجميع أعضاء مجلس الإدارة، بمن فيهم الشركاء الاجتماعيين، من نقابة الأساتذة وممثلي المنظمات الطلابية، وقد وصلت أعضاء المكتب دعواتهم.

انعقد الاجتماع مساء يوم الخميس آخر أيام الأسبوع، كما هو معتاد طيلة حكم هذا الرئيس، وحضر باكرا رئيس الأمن والحراسة عثمان والمدير الفرعي لتنظيم النشاطات عبد الكريم كعادتهما، وهما يجريان في كل صوب وحذب، ويقفان على كل صغيرة وكبيرة، لتهيئة قاعة الاجتماعات بكلّ ما يلزم من الوسائل لراحة الرئيس، ثم بدأ المدعوون يتوافدون تباعا، فجاء ممثلو الطلبة من المنظمات الطلابية، فحضر أولا حسين ورفيقتة دلال وياسين وخالد ونذير، ثم التحق بهم البقية محمد وأمين وزهيرة ونورة واتخذوا لهم مكان في آخر القاعة، ووصل باكرا أيضا رئيس نقابة الأساتذة الدكتور بوعلام شيخ الأساتذة كما يلقبونه، ورئيس نقابة الموظفين والعمال عمي حمد، الذي لا يكاد يغيب عن حدث يذكر داخل الجامعة، وأينما حل الرئيس إلا وجده في استقباله، واتخذوا لهم مكان وسط القاعة، وتوالى وصول المدعوين فجاء أيضا أعضاء مجلس الإدارة الآخرين، من مدير الإقامة الجامعية للذكور السيد علي برفقة طاقمه الإداري، من مدير إقامة الذكور السيد أيمن ومديرة إقامة الإناث مدام زكية، وبرفقتهم مدير المطعم المركزي ذو البطن المنتفخ السمين، وشكلوا كوكبة لا تتوقف عن الكلام، واتخذوا لهم مكان خلف الصفوف الأولى من القاعة، وبعد حوالي نصف ساعة وصل الأمين العام للجامعة وكبير الموظفين السيد

نور الدين، وهو يحمل بين يديه مجموعة من الملفات، مُرفق برئيس ديوان رئاسة الجامعة الدكتور حسن وهو يحمل محفظته السوداء المنتفخة، ويرفع نظارته الطبية تارة ويدنها تارة أخرى وهو يميل برأسه نحو الأسفل ويتفحص الحضور، وجلسوا على الجانب الأيسر من المكان حيث سيجلس فيه الرئيس، ثم تبعهم نواب الرئيس كل من الدكتور سليمان والدكتورة أحلام والدكتور جلال الدين وكانوا يتحاورون كعادتهم دائما ولا يكفون عن النقاش، وجلسوا على الجانب الأيمن من مقعد الرئيس وبقي الجميع على تلك الحال لأكثر من ساعة. وأخيرا حضر الرئيس في أمهته المعتادة، يرتدي نظارته الطبية وبدلته الكلاسيكية السوداء، وتتبعه سكرتيرته الأنسة سناء وهي تحمل مجموعة من الملفات وحقيبته السوداء، ووضعتما أمام الرئيس.

وهب الجميع للوقوف من أماكنهم كالعادة، تعبيراً عن الهيبة والتقدير والاحترام، كما سارت به الأعراف والبروتوكولات منذ قدوم هذا الرئيس، وفتح ذراعيه مشيراً لهم بالجلوس.

ثم ألقى عليهم التحية قائلاً: أرحب بجميع أعضاء مجلس الإدارة من السيد الأمين العام ورئيس الديوان والنواب والشركاء الاجتماعيين، وبقية أعضاء مجلس الإدارة من أساتذة وموظفين، كل باسمه ومركزه، وأود أن أشكركم وأثنى على كل ما تقدمونه لخدمة الجامعة،

ثم استدار في مكانه وأخرج ورقة ليضعها أمامه وأكمل كلامه قائلاً: وهو ينظر للحضور تارة ويخطف نظرة لتلك الورقة تارة أخرى، إن هذا الاجتماع جاء لمناقشة نتائج دراسة لجان الصفقات وما يتبعها من لجان، لجنة الاستشارات القانونية، ولجنة فتح الأظرفة، ولجنة دراسة العروض، ولجنة الطعون، وغرس رأسه في تلك الورقة مكماً: قد انتهت نتائج تلك اللجان جميعاً إلى منح الصفقات العمومية الكبرى للمؤسسات الآتية:

صفقة التموين بالتجهيزات المكتبية وجلب الكتب للمكتبة المركزية الجامعية، فازت بها مؤسسة الحكمة للتجهيزات المكتبية.

صفقة التموين بالمواد الغذائية المختلفة للمطاعم الجامعية فازت بها مؤسسة السنابل الذهبية للتموين.

صفقة النظافة وإعادة تهيئة المساحات الخضراء فازت بها شركة غزال للتهيئة والتنظيف.

صفقة إعادة التهيئة والترميم فازت بها مقولة إعمار للبناء والتعمير.

صفقة الرحلات والأسفار فازت بها وكالة الإسراء للسياحة والأسفار.

صفقة الطباعة وإنجاز اللوحات والأختام فازت بها مؤسسة رائد للطباعة والإشهار.

صفقة دعم الحراسة فازت بها شركة الأنفال للأمن والحراسة.

صفقة النقل الجامعي فازت بها مؤسسة الإسراء للسياحة والأسفار.

ثم رفع رأسه قائلاً: تقريباً هذه جل الصفقات العمومية الكبرى، وقد فازت بها أغلب المؤسسات التي اعتدنا على التعاقد معها كل سنة، وهذا ناتج عن الخبرة الكبيرة والثقة التي اكتسبوها في الميدان، ثم التفت إلى يمينه قائلاً: والآن أترك الكلمة للسيد الأمين العام للجامعة ليشرح لكم، فهو الملم أكثر بمثل هذه الأمور.

أخذ السيد نور الدين الأمين العام للجامعة وكبير الموظفين الكلمة قائلاً: أشكر السيد الرئيس على كل التوضيحات، وأثني على اهتمامه الكبير والإمام بكل صغيرة وكبيرة في الجامعة، والإشراف بنفسه شخصياً على كل الأعمال، وحرصه الشديد على تحسين جودة الخدمات المقدمة داخل الجامعة، وبفضل مجهوداته ارتقت جامعتنا إلى مصاف الكبار، واترك الكلمة للسيد رئيس الديوان البروفيسور حسن.

رفع رئيس الديوان نظارته كعادته وقال مباشرة دون أي مقدمات، إن النجاح الباهر للجامعة وما حققته من إنجازات كبيرة، وما تحققه يوماً بعد يوم يعود الفضل فيه للسيد الرئيس، بفضل حنكته وتسييره

العقلاني المتفوق على أقرانه من بقية الجامعات الأخرى، حتى أصبحنا قوة علمية يحسب لها ألف حساب، وبذلك أجدد شكري وامتناني للسيد الرئيس، وأقول له نحن خلفك، إلى الأمام، إلى الأمام ثم سكت دفعة واحدة.

واسترجع الأمين العام الكلمة قائلاً: والآن أحيل الكلمة للدكتور سليمان نائب الرئيس للتكوين العالي في الطورين الأول والثاني والشهادات.

كح هذا الاخير عدة كحات مبحوحة وقال: أجدد ترحيبي بالسيد الرئيس والزلاء الأفاضل لمجلس إدارة الجامعة، وأود في مستهل كلمتي القصيرة هذه أن أذكر ببعض الإنجازات الرائعة، التي تحققت في عهد سيدي الرئيس المدير العام للجامعة، فقد أضيفت العديد من مسارات التكوين الأكاديمي، في ظرف وجيز في مختلف الكليات والتخصصات، وارتقت العديد من الأقسام إلى معاهد، والكثير من المعاهد إلى كليات، وانتزعنا عن جدارة ملحقة للطب، إضافة إلى ارتفاع نسب المتخرجين سنويا في طوري الليسانس والماستر لمختلف الاختصاصات، فالشكر وكل الشكر للسيد الرئيس الذي كان وراء كل تلك الإنجازات، وكان يتابع كل صغيرة وكبيرة عن كثب، وأحيل الكلمة

للدكتورة أحلام نائبة الرئيس للتعاون والعلاقات الخارجية والتنشيط العلمي والثقافي.

تبسمت كعادتها وقالت عمتم مساء جميعا، في مستهل حديثي أود أيضا أن أشكر السيد الرئيس، على كل الدعم والمجهودات الجبارة التي يبذلها في الارتقاء بالجامعة إلى مصاف الكبار، فبفضل حنكته أبرمنا عديد الاتفاقيات الدولية مع جامعات عالمية معروفة لا يسع المكان لذكرها، وأهمها اتفاقيات توأمة مع جامعات عالمية لتبادل الخبرات، واتفاقية سبعة زائد سبعة واتفاقية جنوب جنوب، كما استفاد ثمانين بالمائة من الأساتذة وأربعين بالمائة من الإداريين وعشرين بالمائة من الطلبة من تربصات ميدانية قصيرة المدى بالخارج، وعقدنا عديد المؤتمرات الدولية والوطنية، وأقيمت أكثر من تظاهرة علمية وثقافية طويلة السنة، وكل هذه الإنجازات بفضل سيدي الرئيس وأجدد شكري وامتناني له.

وقد توالى التدخلات من بقية أعضاء مجلس الإدارة، وقد كانت جل تدخلاتهم شكرا وثناءً وتعدادا لإنجازات الرئيس المختلفة، والذي كان يضع قبضتيه المتشابكتين تحت ذقنه وينظر بصمت لكل المتدخلين، والبسمة تعلو شفتيه، حتى أن رؤساء نقابتي الأساتذة والعمال البروفيسور بوعلام شيخ الأساتذة كما يلقب، وعمي حمد

رئيس نقابة العمال والموظفين، أثنوا كثيرا على إنجازات الرئيس  
عددها وشكروه على ذلك.

دام الاجتماع حوالي ساعتين من الزمن، وانتهى كالعادة بمأدبة غداء  
فاخر على شرف أعضاء مجلس الإدارة جميعا.

غادر بعدها أعضاء المكتب متوجهين مباشرة إلى مكثهم، وقد ساد  
في البداية صمت رهيب.

وبعد دقائق قال محمد بصوت عال: لا أعرف لماذا الجميع يثني  
وببارك ويشكر الرئيس، والجامعة في كل موسم تهوي للحضيض، وفي  
تدهور مستمر وتنحدر إلى أسفل السافلين، لا أحد يطالب بالإصلاح  
أو يذكر المشاكل المتعددة التي تغرق فيها الجامعة في مختلف الميادين،  
ثم أمسك برأسه بكلتا يديه وأخذ يضربها بخفة، الجميع يبارك ويثني لا  
أحد ينتقد أو يكشف الحقائق لا أحد لا أحد يجرؤ على ذلك.

ثم قاطعه ياسين وهو يسرح لحيته بيده السوداء الكبيرة، ويخلل  
أصابعه السوداء الغليظة بين شعيراتها، ويفركها إلى الأسفل لمرات  
متتالية، وبرودته المعتادة التي تخفي الكثير من الخبث والمكر، هذا  
مجرد اجتماع لمجلس الإدارة لكشف نتائج الاستشارات القانونية ومنح  
الصفقات العمومية لمختلف المتعاملين، ونحن والنقابات حضرنا



فقط بصفتنا مراقبين وشركاء اجتماعيين، وأردف قائلاً في لهجة واعظ هذه المرة: نحن ليس لنا الحق في الاعتراض أو التدخل، لذلك يجب أن نساير الأغلبية حتى نبقى على وفاق مع الجميع.

أمين وهو يقف من مكانه في حماسة، ويتقدم نحو ياسين محدقاً مباشرة في عينيه، وهو يفتحهما إلى أقصى حد حتى ظهر بؤبؤ عينيه الأخضر أمام جفنيه، الجميع يثني ويصفق لا شيء سوى لتدوم مصالحهم الشخصية، ويكسبون رضا الرئيس ويحافظون على مناصبهم وامتيازاتهم، ولا يهمهم الطلبة والأساتذة والموظفين والعمال والجامعة بأكملها.

وأكملت نورة كلامه عن أي إنجازات يتكلمون؟ هؤلاء جميعاً صم بكم عمي عن ما يحدث في الجامعة من فساد وتدهور كبير.

وتدخل حسين قائلاً وهو يبتسم كعادته دائماً ابتسامة استهزاء وسخرية أن هذه الحماسة الزائدة لن تفيدنا في شيء، أسألوني أنا الخبير في التعامل مع المسؤولين والإدارة لسنوات طويلة، سواء وافقتم أو عارضتم لن يجدي ذلك نفعا، فما يقوله الرئيس ينفذ دون أدنى نقاش، لذلك فلا فائدة من أن ندخل أنفسنا في دوامة صراع، لن تنتهي سوى بخسارتنا.

وبمجرد أن أنهى الكلام قفزت دلال كعادتها من مكانها، في خفة منقطعة النظير لتقف بجانب حسين مؤيدة له، وهي تبجح بالكلام دون أن تتوقف عن مضغ العلكة التي لا تنزعها على الدوام، نعم خبرتنا الطويلة أكسبتنا الحنكة للتعامل مع المسؤولين والإدارة بذكاء، لتحقيق أكبر قدر من المكاسب دون الاصطدام أو الدخول معهم في صراع وهذا أنسب طريق.

واختلست زهيرة النظر إلى دلال في امتعاض قائلة: وما فائدة أن نمثل الطلبة إذن؟ وأين الوعود التي قطعناها لهم؟ إذا كنا سنرضي المسؤولين والإدارة ليرضوا عنا، ونحقق فقط مكاسب شخصية لنا ولحاشيتنا؟

وأخيرا تدخل نذير بصوت خافت بعدما هدا الجميع لبرهة من الزمن قائلاً: يجب أن ننهي هذا الجدل العقيم والأيام وحدها كفيلة بكشف المستور.

وبعدها ساد صمت رهيب لمدة طويلة، تخللتها بعض الشوشات هنا وهناك، ثم تفرقوا في ثلاثة مجموعات، نذير وخالد كانا أول المغادرين، ثم تبعهم حسين ودلال وياسين، بينما بقي محمد رفقة أمين وزهيرة ونورة داخل المكتب لبعض الوقت، كما اعتادوا أن يخرجوا دائما متأخرين بعد مغادرة الأعضاء الآخرين.

قام محمد في هدوء وأخذ يسير ببطء، بين باب المكتب والشباك المقابل للباب جيئة وذهابا، ثم توقف فجأة في منتصفه وهو يرفع يده مشيرا بسبابته عدة مرات، إني أحذركم من أعضاء المكتب السابق، يبدو أنهم لن يخرجوا عن صف الطاعة والولاء ومن زريبة القطيع، فإذا كانت لدينا أي خطة للتحرك أو العمل يجب أن لا نعلمهم بذلك، وأن نبقى ذلك سرا فقد يوشون بنا لمصالح الإدارة أو النواب أو الرئيس.

رفع أمين كرسيه بظهره إلى الخلف حتى لامس الجدار وهو يدفعه بقدميه وقال: نعم هذا ما أردت أن أقوله أنا أيضا، وأظن أنهم سيكونون عالة علينا، بدلا من إعانتنا في استعادة حقوق الطلبة المهضومة، ونفض الغبار عن الجامعة وإنقاذها ممن يختطفونها منذ سنوات.

زهيرة صحيح هؤلاء سيعطلون لنا الكثير من العمل، وسيفسدون الكثير من الخطط، وأظن أن أمثالهم كثيرين وسيشقون صف وحدة الطلاب، بين مطالب بحقه ومدافع عن كرامته، وبين واش ذليل ملتقط للفتات وراتع للعلف مع القطيع.

نورة ستكون مرحلة أولية فقط، ومع مرور الوقت وانكشاف الحقائق سيتخلى عنهم الجميع، ويجب أن يكون أول عمل لنا هو

كشف خبثهم وعمالتهم أمام الجميع حتى يتخلى عنهم الطلبة ويجدون أنفسهم محشورين في الزاوية وحيدين.

محمد وهو بهم بالجلوس في مكانه من جديد، هل رأيتم كيف شتتوا أفكارنا؟ فبدلاً من مناقشة مخرجات هذا الاجتماع الذي حضرناه، والتكلم عن هذه الصفقات الكبرى، الممنوحة تحت الطاولة لمؤسسات تحتكر ذلك منذ سنوات، والطالب الجامعي والأستاذ والموظف في هم وغم كبير، أدخلونا في جدال عقيم وهم من كان يفترض بهم الوقوف معنا يدا واحدة للدفاع عن الجميع، ثم جلس وضرب المكتب بقبضة يده، مثل هؤلاء الانتهازيين الذين يعملون فقط لتحقيق مصالحهم الضيقة، باستعمال المناصب التي كان يفترض بهم أن يدافعوا بها عن من وثقوا بهم، فهم سبب التمكين للفاستدين والطغاة في الاستمرار والتغطية عليهم، وتخدير الطلبة ليبقوا في سبات عميق، ثم تنهد بعمق وأضاف، هل رأيتم أن الجميع يثني ويشكر ويتودد للرئيس؟ كلهم يعددون الإنجازات التي لا يراها غيرهم ويمجدون عمل الرئيس، حتى نقابات الأساتذة والموظفين والعمال التي كان يفترض بها، الدفاع عن حقوق منسبها، والتطرق للمشاكل العويصة والسلبيات الكثيرة التي يتخبطون فيها، والمطالبة بإصلاحها واقتراح الحلول التدريجية لها بدلاً من ذلك يمجدون الرئيس هم أيضاً، لا شيء سوى لبعض ما يحصلون

عليه من فتات ويرونها إنجازات عظيمة، بينما تبتلع أغلب حقوقهم وهم في غفلة لا يشعرون.

أمين وهو ينهض من مكانه: يجب أن نتحرى عن ملكية أغلب تلك المؤسسات، من سمير إن كانت لها علاقة بالأخطبوط الحاج إبراهيم؟  
زهيرة نعم يجب أن نعلم كل صغيرة وكبيرة عن هذه الصفقات، التي تتم كل سنة بالملايين، والطلبة يعانون الأمرين في أدق تفاصيلهم اليومية، فالكثير من الطلبة أصبحوا يتضورون جوعاً، نتيجة لرداءة الوجبات المقدمة على الدوام.

نورة هذا صحيح ولا تنسوا عديد المشاكل الأخرى، التي تتخبط فيها الجامعة بسبب سوء التسيير، من معاناة الطلبة اليومية في انتظار حافلات النقل الجامعي، فقد أخبرتني إحدى الطالبات تصاحب سائق حافلة متدمراً من ضغط العمل، أنه أخبرها سرا مهما قائلة: أن مالك الحافلات يؤجر على الورق خمسين حافلة لنقل الطلبة، لكنه في الواقع لا يستعمل منها إلا عشرون حافلة فقط، وهذا ما يخلق الاكتظاظ الدائم للطلاب، ويضيع عليهم الكثير من الوقت في انتظار قدوم حافلة بعد أخرى، وهذا طبعاً بتواطؤ مدير الخدمات الجامعية وربما حتى الرئيس نفسه.

أمين: هذا يشبه ما يحدث في مؤسسة الحراسة الخاصة التي تتعاقد مع الجامعة، فقد سمعت ذات مرة أحد مستخدميها وأنا على بعد بعض الأمتار من غرفة الحراسة، يصرخ في وجه زميله قائلاً: أن العمل جبار وهم يقومون مقام خمسة وستة حراس، وبأن صاحب الشركة يصرح على الورق أنه يشغل ألفي حارس بينما في الواقع لا يشغل سوى ربع ذلك العدد فقط، وأنه يحصل على مبلغ يساوي عشرة أضعاف من الأجرة الزهيدة التي يسددها للحراس، وأنه يستغل المطعم الجامعي بالتواطؤ مع مديره ذلك الرجل الأصلع السمين، ليدعهم يتناولون الوجبات رفقة الطلبة، بدلا من إطعامهم على حساب المؤسسة الخاصة التي تشغلهم.

وأضاف محمد على كلام أمين وهو ينهض من جديد، ويوزع على زملائه نظرات تملأها الحيرة والدهشة والحسرة، قائلاً: أن الفساد لا يقف عند هذا الحد، لقد علمت أيضا من أحد محاسبي الجامعة المتدمرين الذين لم يحصلوا على عملات ورشاي كغيره، أن الصفقات تفوز بها هذه المؤسسات نفسها منذ قدوم هذا الرئيس، الذي أزاح مؤسسات سابقة كانت تحتكر الصفقات أيضا في عهد الرئيس السابق، وأنها تدفع الكثير من العملات والرشاي موزعة بين المسؤولين كل حسب مركزه، بينما ترمي بعض الفتات للموظفين البسطاء أمثاله،

وفي كثير من الأحيان لا يحصلون على شيء سوى التعب والعمل المضني، كما أخبرني أيضا أنهم يضخمون الكثير من الفواتير، ويزيدون في أسعار أغلب التجهيزات والمواد التي تدخل المخازن، هذا بحجة خلق التوازن، وعدم وقوع اختلالات في ميزان المدفوعات، وأن تلك المبالغ المضافة تذهب لتمويلات أخرى يقررها الرئيس، لكنها في الحقيقة تقتسم بينهم حيث يأخذ نصفها المسؤولين، والنصف الآخر يعود لحساب المؤسسة التي ضخمت الفواتير، ووعدني بأنه سيقدم لي بعض النسخ من الفواتير التي يمتلكها سرا، إن أردت التحرك رفقة الطلبة في يوم ما.

زهيرة بنبرتها الهادئة الرصينة، لقد بلغ الفساد أوجه، ولا تنسوا أيضا الفساد الأخلاقي لأغلب طالبات الإقامة، وما حادثة عودة الطالبات مخمورات في منتصف الليل ببعيدة، وهي تتكرر كل أيام الأسبوع، وفساد عصابات الإدارة الذين يستغلونهم، والفساد الدراسي وتواطؤ الكثير من رؤساء الأقسام والأساتذة في منح العلامات، ثم تنهدت قائلة أظن أن الفساد يحيط بنا من كل الجهات وإن لم نتحرك في الأيام القادمة فإن الجامعة ستغرق وينتهي الجميع.

في تلك الليلة ذهب سليم وصلاح إلى غرفة سمير في الطابق السفلي بنفس الجناح، واقتاداه بمزحة القبض على قائد المخابرات إلى غرفة

محمد، حيث أعجبتة المزحة وكان يرفع رأسه مبتسما، وكأنه زعيم  
مخابرات حقيقي ألقي عليه القبض من طرف قوات العدو، ولم  
يتواجد سوى محمد وأمين في الغرفة، وقد انظم إليهما مؤخرا نذير  
وخالد بعدما تخلوا عن الانصياع إلى حسين ودلال وياسين، واقتنعوا  
أخيرا بأفكار محمد والمجموعة، وأنه حان وقت العمل على تغيير  
الأوضاع السائدة منذ سنين.

دخل سمير إلى الغرفة كعادته، واسترسل مباشرة في الكلام، فهو  
مهتز الشخصية، كان ثثارا كعادته ولا يتصف بالهدوء والزانة، ويبيدي  
رأيه في كل المواضيع، ويحب مخالطة الناس أيضا، ويحشر أنفه في كل  
صغيرة وكبيرة، قال بصوت عال، أعرف أنكم اشتقتم إلى معلوماتي  
المخابراتية التي لا تخطئ الهدف، وقد سبقتموني قبل أن آتيكم بنفسني  
بالخبر اليقين، ثم تبسم ضاحكا وهو يتكئ بمؤخرة رأسه على أحد  
الوسادات التي وضعت على جانب السرير، وقال: الحاج إبراهيم  
الأخطبوط له سيقان تلتف في كل مكان ثم صمت.

وفي هذه الأثناء اقترب منه محمد ودنا نحوه حتى كاد أنفه يلتصق  
بأنفه، وأمسكه من كلتا ذراعيه ورفعته حتى يعتدل في الجلوس، ثم قال  
له بصوت هادئ: وهذا ما نريد أن نعرفه بالضبط، سنسعي لك كل



المؤسسات التي فازت بالصفقات، وأنت ستخبرنا إن كانت لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالحاج إبراهيم وعائلته ورفاقه.

أخرج أمين أحد الأوراق من جيبه قائلاً: تفضل هذه جميع المؤسسات والشركات الفائزة بأغلب الصفقات.

أمسك سمير الورقة وقربها من أنفه، وراح يقرأ ما كتب فيه بصوت هجائي، تسمع منه فقط بعض الأحرف والكلمات، والبعض الآخر كأنه نين صوت مذياع قديم، ثم أثنى ركبتيه ليجلس جلسة الخنفساء كما يفعل دائماً وهو يرفع تلك الورقة فوق ركبتيه وقال: سجلوا كل ما تسمعون، أولاً مؤسسة الحكمة للتجهيزات المكتبية هي فرع من مؤسسة الاستيراد والتصدير التي تمتلكها عائلة الحاج إبراهيم وإخوته، وتسيرها زوجته الأولى وأم أولاده، ومؤسسة السنايل الذهبية للتموين بالمواد الغذائية ملك أيضاً لنفس العائلة، ويسيرها أخوه الأصغر وتعتبر هي المؤسسة الأم لبقية الشركات الأخرى المتفرعة منها، التي جاءت بعدها واختصت في مجالات أخرى، وكذلك وكالة الإسراء للسياحة والإسفار تابعة للعائلة نفسها ويسيرها ابن أخته الكبرى، الذي لا يحمل نفس اللقب العائلي، حتى لا يثير الريبة والشك، فلا أحد يعلم أنه ابن أخته إلا القليل من أبناء المدينة، وبذلك يكون الحاج إبراهيم وعائلته قد سيطروا على أغلب الصفقات الكبرى، أما مقابلة

إعمار للبناء والتعمير فهي ملك لأحد مرافقيه الذي يختص في هذا المجال، ومؤسسة رائدة للطباعة والإشهار فهي ملك لمرافقه الثاني، ومن المؤكد أن بقية المؤسسات الفائزة بالصفقات الأخرى ولا أعرف مالكيها، منحت لأشخاص هو من توسط لهم لدى الرئيس، مقابل عمليات ورشايي لمختلف القائمين على ذلك.

سليم يا للهول إنه حقا كما قلت أخطبوط فأذرعه الطويلة تلتف على أغلب الصفقات، وحتى إذا لم تكن المؤسسات تابعة لمجموعته، فهي قد تكون ملكا لأحد أصدقائه أو معارفه، لذلك هو يسيطر على كل صغيرة وكبيرة داخل الجامعة، ولا أحد يستطيع الوقوف في طريقه.

صلاح سمعت أيضا أن له علاقات ممتازة مع الوزير، وأنه هو من يقوم بحماية الرئيس ويوفر له الدعم داخل الوزارة، لذلك الرئيس لا يتزعزع من منصبه ولا أحد يستطيع أن يحاسبه.

أمين وإذا ما حصل على شهادات جامعية عليا، وفاز بمقعد بالبرلمان سيصير إمبراطورا، وستزداد أذرعه في التمدد أكثر والالتفاف على كل ما يعترض طريقه، وسيسعى جاهدا للحصول على منصب وزير أو ربما يعمل على التدرج ليصير رئيس حكومة.

بهت محمد لحظة وتجمد بصره في اتجاه واحد، ممسكا بذقنه ثم قال في حيرة وتساءل: لم أكن أعرف أبدا أنه بهذه القوة والجبروت؟ حقا إن المال يصنع المعجزات، ويرفع من كل وضع، والفقر يهدم كل ذوهمة شريف.

مرت بعض الأسابيع ساد خلالها هدوء رهيب، كانوا يذهبون للدراسة في اوقاتهم ويمرون بالمطعم أثناء وقت الوجبات، ثم يعودون إلى غرفهم، ونادرا ما يلتقون مع بقية الأعضاء داخل المكتب، وكانوا يتجنبون الخوض معهم في أي نقاشات تخص الجامعة، أو ما تغرق فيه من المشاكل التي تزداد حدة يوما بعد آخر، ويزيد معها تدمير أغلب الطلبة واختناقهم وانتقاداتهم للوضع المتعفن السائد في كل المجالات، لكنهم كانوا يلتقون سرا في غرفة محمد بالنسبة للطلبة وفي غرفة زهيرة بالنسبة للطالبات، حيث كانت زهيرة ونورة تعلمانهما بكل المستجدات والتوصيات، التي تتلقاها من محمد وأمين عندما ينفردون مع بعضهم داخل مدرجات وقاعات الدراسة، وعندما يلتقون أيضا في مكانهم المعتاد في الساحة المقابلة لإقامة الطالبات.

وأخذوا يعقدون اجتماعات سرية كثيرة في الغرفة ليلا، ويؤثرون أن يعقدوا هذه الاجتماعات ليلة الخميس آخر أيام الأسبوع، إنهم طلبة شباب يفيضون نضارة ويحبون الإنسانية حبا حارا، وقد دارت بينهم

عدة أحاديث حول الحاضر والمستقبل، والعلوم والأدب، والتسيير الإداري والعلمي، والإطعام والنقل والصفقات العمومية، والامتحانات ونتائجها الكارثية، ويتكلمون عامة عن كل ما يقود للتقدم ويؤدي إلى تحسين متطلبات الطالب، ويناقشون بعض مشكلات الساعة، ويتحدثون عن الإصلاحات الواجبة لتصحيح المسار العام للجامعة، ويحللون المشكلات لإيجاد الحلول المناسبة لها، ويتحدثون أيضا عن التّضالّات الطلابية في الجامعات الأخرى، وقضايا النضال الطلابي التي لا تنتهي من أجل الحرية، وكان الطلبة الذين بدأوا ينضمون إليهم تدريجيا ويزدادون أكثر كل يوم يصغون إلى تلك النقاشات الساخنة في سكون، وكانت رغبتهم في التحرر من هذه المشاكل والزبانية الفاسدة التي تسيطر على حكم الجامعة، تزداد أمام أعينهم وضوحا، وتصبح أقرب منازلنا من مداركهم وفهمهم يوما بعد يوم.

ظل الوضع على حاله وكأنه الهدوء الذي يسبق العاصفة، إلى أن علقت النتائج الفصلية للسداسي الأول، وكانت تلك النتائج بمثابة الفتيل الذي بدأ يشعل بعض الاحتجاجات الفردية، وحتى الجماعية في بعض الأقسام والكليات، من الطلبة الذين قالوا أن النتائج المعلقة لا تعبر عن الحقيقة المطلقة، فالكثير من أوائل الدفعات لا يستحقون ذلك، والعلامات تمنح حسب مكانة الطالب ومدى قربته من الأستاذ

ورئيس القسم، فالحاج إبراهيم ومرافقيه الاثنين يأتون دائما في مقدمة دفعة قسم العلوم القانونية لكلية الحقوق والعلوم السياسية، وهناك من الطلبة من هو أجدر منهم ليكون في مقدمة الدفعة، فمحمد يأتي دائما ثانيا بعد الحاج إبراهيم رغم أنه يتفوق عليه كثيرا في الالتزام بالحضور والذكاء وإنجاز البحوث، ونورة وأمين وزهيرة أيضا الذين يأتون في مراتب متباعدة ضمن قائمة العشرين الأوائل، ويجيئون أيضا خلف الحاج إبراهيم ومرافقيه الآخرين، وهناك أيضا ابنة أخ الأمين العام التي لا تحضر إلا نادرا، لكنها تأتي في المراتب الثلاثة الأولى لقسم العلوم الاجتماعية والإنسانية دوما دون نقاش، وقد اشتكى بعض الطلبة النجباء من ذلك عدة مرات، وأودعوا عدة طعون في نتائج العلامات على مستوى أمانات الأقسام ومصالح التدريس، لكنهم لم يتلقوا أي ردود تذكر، ما عدا بعض الوعود الكاذبة بالنظر في ذلك، من طرف نائب المدير المكلف بالتكوين العالي في الطورين الأول والثاني والشهادات الدكتور سليمان، الذي يستقبل وفودا منهم ويمتص غضبهم بمراوغاته ووعوده الكاذبة تارة وبالتهديد والوعيد على إحالة المحتجين منهم إلى مجالس التأديب تارة أخرى.

وعندما أغلقت كل السبل في طريق هؤلاء الطلبة، التجؤوا إلى ممثلهم عبر مكتب منظمة الطلبة الأحرار، وأودعوا عديد الشكاوي

مطالبين من ممثلهم التحرك القانوني الفوري، لرفع هذا الظلم عنهم واستعادة حقوقهم، وفي هذه المرة قرر محمد وأعضاء المكتب أن يكتبوا بيان احتجاج للرئيس وترسل منه نسخ لنوابه والأمين العام، يشكون فيها في مدى مصداقية النتائج الفصلية، والتميز الذي يتعرض له الطلبة داخل الحرم الجامعي، من طرف بعض الأساتذة ورؤساء الأقسام والمصالح الإدارية، ومحذرا من مغبة استمرار هذا الفعل والذي سيؤدي حتما إلى تزايد الاحتجاجات الطلابية، التي تطالب بأكثر شفافية للنتائج الدراسية، وعلقت نسخ من هذا البيان على لوحات الإعلانات وعلى جدران مكتب المنظمة، وفي مدخل المطعم وعلى باب الخروج.

وقد بدأ صدى مكتب المنظمة ينتشر بين الطلبة كالنار في الهشيم، وبدأ الطلبة يتحدثون عن هؤلاء المناضلين الذين يوزعون المنشورات ويصدرون البيانات المتتالية، التي تنتقد بشدة وعنف إدارة الجامعة والطريقة التي تسير بها، واللاعادلة والإجحاف والظلم الذي يتعرض له أغلب الطلبة، بينما تستفيد القلة الخاصة من مزايا كثيرة لا تستحقها، وتحدث عن وقفات احتجاجية وإضرابات قادمة، وتدعو الطلبة إلى الاتحاد والالتفاف حول المنظمة الشرعية التي تمثلهم وتدافع عن حقوقهم.

واستشاط غضب بعض رؤساء الأقسام والمصالح الإدارية، وشرعوا يقولون أنهم مشاغبون، وحملوا تلك البيانات والمنشورات إلى رؤسائهم. أما ثلثة من الطلبة المؤيدين لمحمد والمتذمرين من الوضع السائد، فقرأوها في حماسة وقالوا أنهم يقولون الحقيقة، وأخذوا يتجمعون في بعض الغرف ليلا، وجل حديثهم يدور عن كيفية مساعدة أعضاء المكتب، وتنظيم وقفات احتجاجية وإضرابات طلابية قانونية لاسترداد الحقوق.

لكن العديد من الطلبة الآخرين لم يبدووا الحماسة نفسها لتلك البيانات والمنشورات، وكانت الدراسة والحياة الجامعية المهكة قد أرهقتهم وامتصت قواهم، وقالوا في نبرة لا مبالية لن يجدي ذلك نفعا، فهل يمكن أن تنقذنا مثل هذه الأشياء.

ومع ذلك أحدثت البيانات والمنشورات اضطرابا وهيجانا عظيمين، لبعض رؤساء الأقسام والمصالح الإدارية، ومن يسير في فلكهم، لكنها لم تحدث أي ردة فعل تذكر من بقية المسؤولين، واعتبروها طيش شباب ما فتى أن يزول، أما الرئيس يبدو أنه لا يعرف عن الأمر شيء وأنه لا يهتم بمثل هذه الأمور، التي ألفها من أعضاء المنظمة السابقين، وأنهم سرعان ما ينسون الأمور وتعود الحياة الجامعية لطبيعتها.

ازدحمت الغرفة وفاحت بقوة من أرجائها، وبدأت تلفت الأنظار وتثير الفضول، وأخذت عشرات من أعين أعوان الأمن والحراسة والعمال والطلبة الواشين، الظانين ظن السوء تتفحص جدرانها بعناية كبيرة، وأجنحة الشائعات تحوم في اضطراب حولها والأعوان والحراس يسعون جاهدين لاكتشاف ذلك الأمر الخفي، الذي أحسوه مختبئاً وراء جدران تلك الغرفة، وأن شيئاً ما يطبخ على نار هادئة، قد تفيض به القدر بين لحظة وأخرى، وفي بعض الأحيان يتلصصون ليلاً من تحت النوافذ وفي أروقة الأجنحة، ويسترقون السمع على غرف وتجمعات الطلاب، عليهم يحصلون على بعض المعلومات التي يطيطون بها على جناح السرعة إلى مسؤول الأمن والحراسة السيد عثمان، والذي لا يدخر أي جهد في أن يوصلها على حين غرة لبقية المسؤولين، محذراً إياهم من مغبة احتجاجات وإضرابات طلابية قادمة قد تشل حركة الجامعة.

وفي إحدى الليالي بينما كان محمد وأمين وصلاح وسليم وخالد ونذير مجتمعين، في الغرفة رفقة بعض الطلاب المؤيدين والداعمين لهم، طرق باب الغرفة بقوة عدة مرات، ظن الجميع أن أعوان الأمن والحراسة جاءوا ليتفقدوا الغرف، كما اعتادوا أن يفعلوا ذلك في دوريات رفقة مسؤول الجناح عمي بلقاسم، وأحياناً نادرة يأتي برفقتهم



مدير إقامة الطلبة السيد أيمن بنفسه، فتح سليم الباب حيث كان يقف، وقابله طالبا أحمر الوجه منتفخ الوجنتين يتصبب عرقا، ثم قال بلهجة متقطعة لا تكاد تفهم من شدة أنفاسه المتتالية وهو يلهث، العديد من الطلبة أصيبوا بالغثيان والدوار والقيء وهم في العيادة منبطحين ولا نعرف ما الذي أصابهم.

هب محمد من مكانه مفزوعا وهو في حيرة وتعجب، وقال ماذا تقول هل هذا صحيح؟ وأمسكه من يده وخرجا معا مسرعين، وسار خلفهم أمين وبقية الطلبة الآخرين الذين كانوا معهم في الغرفة، وهم في طريقهم سمعوا صوت سيارات الإسعاف آتية من الطريق المحاذي للحرم الجامعي، نزلوا السلالم مسرعين يتتابعون مباشرة إلى عيادة الإقامة، التي كانت تقع أسفل الجناح أ، وكان في الباب تجمعاً لعدد كبير من الطلبة، اندفع محمد وبقية أعضاء المنظمة الطلابية وسط الحشد يشقونه، وقد أفسح لهم الطريق ليصلوا إلى غرفة العلاج، حيث كان عشرات الطلبة منبطحين في وسط الغرفة، التي امتلأت عن آخرها وتمدد آخرون في غرفة الانتظار، وآخرون استندوا إلى الحائط في الرواق، وكان الطبيب والممرض واقفين في حيرة من أمرهما لا يعرفان ماذا يفعلان.

اتجه محمد صوبهما قائلاً: ماذا أصابهم أيها الطبيب؟

الطبيب لقد كشفت عن أغلبيهم وهم جميعا مصابون بنفس الأعراض: آلام في البطن والقيء والغثيان ودوار شديد، وهي أعراض تسمم غذائي بكل تأكيد، وبما أن العيادة لا تتوفر على الأدوية اللازمة، والعدد الكافي من الأسرة والمستخدمين لتغطية هذا العدد الكبير من الطلبة، فإني أرسلت برقية إلى جهاز الحماية المدنية لتوفير سيارات إسعاف على جناح السرعة لنقلهم جميعا لمستشفى المدينة، وقد منحتم بعض الأقراص المهداة في انتظار وصول سيارات الإسعاف.

محمد أصوات سيارات الإسعاف تقترب وأكد ستصل عن قريب، لكن الشيء المخيف أن يصل الطلبة المصابين لعدد كبير؟

الطبيب لحد الساعة وصل العدد لثلاثة وعشرين طالبا، وحسب تشخيصنا الأولي أنهم أصيبوا بتسمم غذائي جراء تناول طبق معكرونة، الذي طبخ لهم خصيصا بعد نفاذ طبق العدس في الوجبة الأساسية، بسبب تأخرهم في الذهاب للمطعم فهم جميعا من فريق كرة القدم الذي يخوض دورة كروية محلية خارج الجامعة وطيلة هذه الأيام يصلون دوما متأخرين.

وأخيرا وصلت سيارات الإسعاف ونزل منها أعوان الحماية المدنية بسرعة، وكان يرافقهم مجموعة من أعوان الأمن والحراسة ويتقدمهم المنسق العام السيد عثمان، كما وصل للتو أيضا مدير الإقامة

الجامعية نفسه برفقة رئيس الجناح عبي بلقاسم ومدير المطعم ذلك الرجل الأصلع السمين، وحمل المصابون تباعا في مجموعات إلى سيارات الإسعاف، وقد اضطروا لحمل كل أربعة مصابين في سيارة واحدة، وبالرغم من قدوم ثلاثة سيارات إسعاف كاملة، إلا أنها لم تكفي لحمل جميع المصابين دفعة واحدة، وحمل البقية في السيارات خاصة إلى المستشفى الواقع بوسط المدينة.

اكتظ المستشفى على غير العادة بعشرات الطلبة، الذين نقلوا على جناح السرعة في حالة يرثى لها، وبعد معاينتهم تقرر إجراء غسيل للمعدة على أقصى سرعة، ثم حقنوا بأدوية مضادة للتسمم ومسكنة للآلام، وتقرر مبيتهم جميعا في المستشفى حتى تخف عنهم الأعراض نهائيا.

ولحق بهم عديد الطلبة الفضوليين بالإضافة إلى بعض المسؤولين، وبات المستشفى يغلي بمجموعات الطلبة المتواجدين بسبب هذه الحادثة التي نادرا جدا ما تحدث.

ومع نسمات الصباح الباكر تعافى الجميع وقرر الأطباء مغادرتهم المستشفى، وأن التقارير الطبية المفصلة بخصوص الحادثة سترسل بعد صدور جميع التحاليل إلى إدارة الجامعة.

وفي مساء ذلك اليوم تجمهر مئات الطلبة أمام مكتب المنظمة، مطالبين من ممثلهم التدخل لكشف نتائج التقارير الطبية والتحاليل للرأي العام في الحرم الجامعي، حال صدورها مباشرة ومحاسبة المتسببين في هذه الحادثة، التي لولا لطف الله لتحولت إلى كارثة، ومشوا في مجموعات يحثون الخطى في ضجيج خلال ساحات الحرم الجامعي، وكان جمهور أيضا من الطالبات يتصايحن عند بوابة مدخل إقامة الطالبات، ثم تقدمن وانضممن لتلك المجموعات الأخرى من الطلاب إلى أن وصلوا إلى الساحة الرئيسية حيث تقع رئاسة الجامعة، ونياباتها والأمانة العامة، ثم احتشدوا على جانبيها الأيمن أمام مكتب المنظمة الطلابية الحرة، وعند بلوغ الخبر أسمع أعضاء المكتب، بعد عودتهم من المستشفى، اتجه محمد وأمين ونذير وخالد وخمسة آخرون صوبهم مسرعين، وما إن وصلوا ذلك الحشد، حتى تسللوا بينهم إلى أن وجدوا أنفسهم على عتبة باب المكتب، وفي مقدمة الجميع، فتح أمين باب المكتب وأحضر كرسيًا خشبيًا، وصعد محمد فوقه وصاح بصوت عال وقد اتجهت سائر الأنظار إليه، أيها الرفاق، أيها الرفاق وما فتى أن تعالت أصوات من أماكن مختلفة هدهده؟ فانخفض الضجيج وساد صمت رهيب، والكل يتقرب ما سيقوله ممثلهم ورئيس المنظمة الطلابية الحرة، ثم كرر ذلك للمرة الثالثة وهو يقف على

أصابع قدميه على ذلك الكرسي الخشبي، أيها الرفاق نحن نعلم ما الذي أتى بكم اليوم ونحس بما تتألمون من أجله، ونحن لسنا نناضل من أجل حل مشكلة الإطعام وتحسين الوجبات فحسب، بل في سبيل العدالة للجميع داخل هذا الحرم الجامعي، تلك هي القضية الأساسية التي نعمل عليها بالتدريج، وليست مشكلة واحدة أو اثنتين، بل عديد المشاكل التي تتخبط فيها الجامعة، في مختلف الميادين، الميدان الاجتماعي والتعليمي الدراسي وحتى الثقافي والأخلاقي التربوي، ونحن منذ أن انتخبتمونا على رأس هذه المنظمة لتمثيلكم، ونحن نعمل بصمت على جمع الأدلة والبراهين التي تدين المذنبين، وكنا ننتظر اللحظة المناسبة لإسقاط هذا الظلم وإصلاح الأوضاع، فما عليكم إلا الوقوف بجانبنا والاستمرار في هذه الوقفات الاحتجاجية، في انتظار صدور نتائج التحقيقات بخصوص حادثة التسمم، وفي الوقت المناسب أيضا سنكشف عن القضايا الأكثر فسادا.

سقطت كلماته في قلب الحشد الذي تلقفها بلهفة فأثارت بينه هتافات حادة.

أنت على حق... أنت على حق...

قول حسن أيها القائد... هو ذا محمد... هو ذا محمد...

واختلطت الأصوات بهتافات في إعصار من الضجيج، وما هي إلا لحظات حتى تجمع أعوان الحراسة والأمن حول الساحة لكن عددهم كان ضئيلاً مقارنة بالحشد الطلابي الذي أخذ يتزايد شيئاً فشيئاً.

وشق منسق الأمن السيد عثمان وعوني أمن وثلاثة حراس آخرون طريقهم، وسط الحشد متجهين صوب محمد، وما إن وصل حتى خاطب محمد قائلاً: أنت تعرف أنه يمنع التجمعات داخل الحرم الجامعي إلا بإذن من الإدارة.

محمد نحن نعرف ذلك جيداً، وهل تعرف أنت أيضاً أنه من حقنا التجمع السلمي والاحتجاج والتنديد بما آلت إليه أوضاع الجامعة من فساد؟ ونحن من نمثل الطلبة ونعمل على تهدئة الأوضاع، حتى لا تتطور الأمور وتخرج عن مسارها السلمي المسموح به.

عثمان أكيد نحن نعول عليكم لتكونوا سنداً لنا في تهدئة الأوضاع، وعدم خروج الأمور عن السيطرة.

ثم تعالت هتافات من بين الحشد غادر واتركنا لحالنا، واشتدت تلك الأصوات حتى أصبح الحشد بكامله يرددها بصوت واحد، فنظر إليه محمد قائلاً: هيا غادر وسأهدأ الأوضاع، ثم انسحب عثمان

منسق الأمن والحراسة وأعوانه وابتعدوا عن الحشد ووقفوا يراقبون من بعيد.

وتراكم الطلبة من كل حذب وصوب وهم يلوحون بأذرعهم، ويحرضون بعضهم بعضا بكلمات حادة وقاسية، حيث كان الاستياء والضغينة والتذمر كامنا في تلك الصدور المتعبدة.

وعاود محمد الظهور فوق الكرسي الخشبي من جديد مخاطبا الحشد، أيها الرفاق اليوم سنعود جميعا إلى غرفنا، وسننتظر صدور التحاليل والتقارير الطبية، وغدا صباحا سنصدر بيانا بخصوص تطور الأحداث، وسنكمل تجمهرنا وتجمعاتنا واحتجاجاتنا لغاية محاسبة المتسببين، وإذا اضطررنا سنلجأ للإضراب العام غير آبهين، وسنطالب بالإصلاح الشامل.

كانت زهيرة ونورة تقودان حشد الطالبات اللواتي وقفن على الجانب الأيسر من حشد الطلاب، ولمحت زهيرة شحوبا شديدا في وجه محمد فتحركت إلى الأمام دون وعي، تشق لنفسها طريقا خلال الازدحام الشديد، وتبعتها نورة ولم تقل عزيمة بل استمرت تشق طريقها بكتفها ومرفقها وهي تقترب ببطء تحذوها الرغبة الشديدة للوقوف بجانبه.

عندما أفرغ محمد ما في صدره من كلمات، ذات المعنى الكبير والمغزى الخطير، التي عرج ولخص فيها كل مشاكل الجامعة، طالبا من رفاقه التريث لغاية حصوله على بعض الأدلة الملموسة، حينها امتلكته رغبة جامحة في إلقاء قلبه إلى هؤلاء الطلبة، هذا القلب الممتلئ بأحلام العدالة.

ثم قال بصوت عال مبحوح، أيها الرفاق عودوا إلى غرفكم وموعدا غدا صباحا في نفس هذا المكان، ثم نزل من على كرسيه ودخل مكتبه رفقة الأعضاء الآخرين، وطلب منهم عقد اجتماع مستعجل في الحين، بينما بدأ الحشد في التفرق ومغادرة الساحة المركزية.

التحق حسين ودلال وياسين ببقية أعضاء المنظمة الطلابية الحرة ودخلوا المكتب وعلى وجوههم نوع من الهلع والخوف، حيث قال حسين مخاطبا محمد مباشرة، ما الذي تفعلونه؟ ما هذا الهراء؟ هل تريدون إدخالنا في متاهة ليس لها نهاية؟

نظر إليه محمد نظرة حادة تنم على شدة من الغضب والازدراء، ورد عليه قائلا: وهل جئتم لتقفوا معنا وتساندونا؟ أو لتكونوا محامين للإدارة والمذنبين؟



ثم التفت إليه أمين مخاطبا إياه وأين كنتم طيلة هذه الأيام؟  
الكوارث تتوالى على الطلبة وأنتم في سبات عظيم؟ ظهرتكم فقط حينما  
أراد الطلبة التحرك لاستعادة حقوقهم، وحماية أنفسهم وإنهاء هذه  
المعاناة التي دامت سنين؟

كشر حسين عن أنيابه مبتسما راضيا عن دهائه وخبثه، وقال: لا  
أنا لست ضد تحرك الطلبة؟ لكن ضد التصعيد والاحتجاج بهذه  
الطريقة؟

ثم خطف منه زميله ياسين الكلمة وهو يمشط لحيته بأصابعه  
السوداء الغليظة قائلا: نحن فقط أردنا أن تكون مساعينا سلمية  
كالعادة وأن نتجنب الصدامات مع الإدارة.

ووقف نذير وهو ينظر إلى حسين ومن معه نظرة استغراب قائلا:  
لقد تجاوزنا هذه المرحلة ودخلنا في طريق مسدود وسنواصل  
احتجاجاتنا، ولا رجعة لنا حتى تحقيق كل الأهداف وإنهاء معاناة  
الطلبة في مختلف المجالات.

ثم تدخلت زهيرة ونورة معا في نفس الوقت هيا بجب أن نعقد  
اجتماعنا، ونصدر بيان الإضراب الشامل والاعتصام الكامل بداية من  
الغد، وتلخيص المطالب الأساسية في عدة نقاط.

أمين نعم ليس هناك من الوقت الكثير يجب أن نسن البيان الآن،  
وأن نكتب الإشعار بالإضراب، وأن نعلق البيانات في كل مكان ونرسل  
نسخا للإدارة في أول الصباح.

خالد الوقت ضيق فلنبداً اجتماعنا وصياغة البيان وإصدار  
الإشعار بالإضراب.

نورة نعم الوقت ضيق فلنبداً سريعاً.

دام الاجتماع قرابة الساعة صيغ خلاله بيان يطالب فيه ممثلو  
الطلبة بأربع نقاط أساسية.

أولاً إصلاح المنظومة الدراسية برمتها وجعلها أكثر شفافية.

ثانياً إصلاح المنظومة الاجتماعية بتحسين الإطعام والإسكان والنقل  
للطلبة، وكشف حقيقة التسمم الغذائي ومعاقبة المتسببين فيه.

ثالثاً تطبيق قوانين منح الصفقات العمومية ومعالجة الأخطاء  
السابقة، ومنح الصفقات للمؤسسات التي تخدم مصلحة الجامعة.

رابعاً إصلاح المنظومة الأمنية الداخلية والحرص على مراعاة  
الأخلاق المجتمعية ومحاربة الفساد.

كما أصدروا إشعارا بالإضراب المفتوح والاعتصام في الساحة المركزية أمام مكتب المنظمة ورئاسة الجامعة لغاية تلبية جميع المطالب.

وفي صباح الغد اطلع طلبة الجامعة على البيان والإشعار بالإضراب اللذان علقا في أغلب الأماكن، وتفاجأت الإدارة أيضا بما يحدث، لكنها لم ترد ولم يصدر عنها أي بيانات رسمية، فالرئيس في مهمة رسمية في إحدى الجامعات الأجنبية خارج الوطن، وفي رحلة علاج أيضا فهو يداوي منذ زمن على مرض مزمن ألم بكلتيه في أحد أرقى المستشفيات بالخارج، ولم يصدر أيضا الدكتور سليمان نائبه للتكوين العالي في الطورين الأول والثاني والشهادات المكلف بخلافته مؤقتا أي ردود تذكر، وسط هذا الغليان الطلابي الذي يزداد يوما بعد يوم، ما عدا اجتماع طارئ للأمين العام ونواب المدير ورئيس الديوان لرئاسة الجامعة ومنسق الأمن والحراسة كان سريا للغاية ولم يصدر عنه أي قرارات رسمية.

ويبدو أن مناشير جديدة ظهرت في كل أرجاء الحرم الجامعي، فشرع الطلاب وحتى العمال والأساتذة يتهايمون ويلغظون وكثرت الإشاعات، وأصبح حديث الساعة ما يحصل في الجامعة، من احتقان وتذمر واعتصامات، وظهر في المحيط الجامعي البعض من أعوان الأمن

والحراسة الذين لم يكونوا معروفين من قبل، ويبدو أنهم من مناوبي الليل، وقد انتشروا في عديد النّقاط الحساسة وزوايا وأركان الجامعة، وكانوا لا ينفكون يراقبون ما يجري حولهم، ويطرحون الأسئلة على الطلاب، ويدسون أنوفهم في أمور الجميع على حد سواء، فيلفتون الأنظار إليهم إما بحذرهم الشديد أو بفرض أنفسهم على الجميع.

بدأ الطلبة في التجمع منذ الصباح الباكر في الساحة المركزية، أين تقع رئاسة الجامعة والأمانة العامة وبقية النيابات، ومكتب المنظمة الطلابية الحرة أيضا، وتعلت الأصوات بينهم وكان جلهم يطالب بالاعتصام المفتوح، بداية من اليوم وشن إضراب عام، وعدم مغادرة الساحة لغاية إيجاد حلول لجميع المطالب المعلنة في البيان، وقد حضر أمين والبقية باكرا أيضا، لكن محمد تأخر ولم يأتي بعد، فقد توجه إلى موعد خارج أسوار الجامعة، بغية ملاقة شخصين اتصلا به سابقا، وأرسلا إليه خطابا يخبرانه فيه أنهما سيسلمانه أشياء مهمة وسرية للغاية.

اتجه محمد بسرعة إلى وسط المدينة، إلى مقهى يقع بأحد الأزقة الضيقة العتيقة ومكث في أحد الزوايا، كانت الساعة تشير إلى الثامنة والنصف صباحا، ومرت ساعة من الزمن كانت دقائقها وثوانها تمر كأنها شهور، تخيل ورسم فيها عديد القصص والحوادث، فقد تخيل

أن من استدعاه جماعة تابعة للإدارة، بغية تهديده وإخافته للتراجع عن ما يقوم به، وقد تخيل أيضا جماعة أخرى تابعة للحاج إبراهيم ومؤسسته تريد إغرائه بالمال، وازدحم عقله بالتخيلات، وفي حدود التاسعة والنصف ظهر أخيرا الشخصان المجهولان اللذان كان ينتظرهما على أحر من الجمر، وتنفس الصعداء وعادت الروح إلى وجهه الشاحب، أنهما المحاسب الذي أخبره سابقا بكل التفاصيل عن الصفقات والاختلاسات، والممرض المساعد لطبيب الحي الجامعي، وقد دخلا بسرعة، وقال المحاسب بسرعة البرق وهو يهب بالجلوس، لقد أحضرت لك كل الدلائل والبراهين التي تحتاجها، وأخرج من تحت معطفه ظرفا أصفرَ كبيرا، وسحب منه مجموعة من الوثائق وأخذ يقسمها ويدها ترتعشان، ويمدها إلى محمد قائلا: هذه نسخ من فواتير حقيقية مضخمة، وهذه الوثائق المحاسبية والمخزنة وهذه أيضا تقارير عن كيفية إقصاء عديد المؤسسات المنافسة بطرق تعسفية، وكيفية منح الصفقات لنفس المؤسسات دون الالتزام بتطبيق القوانين الخاصة بالصفقات العمومية.

وفي نفس الوقت أخرج ذلك الممرض ظرفا آخر أبيض اللون من محفظته وسلمه لمحمد قائلا: وهذه نسخة من التحاليل الطبية لحالات التسمم الأخيرة، وكذلك نسخ من التقرير الطبي الرسمي كاملا،

فأرجو أن لا يعلم أحد عن مصدر وصولها إليك، فقد يتسبب ذلك في طردنا من وظائفنا.

نظر محمد إليهم وارتسمت على محياه مزيج من الابتسامة المبطنة بالحيرة والخوف والأمل، ثم قال أنا ممتن لكما على هذه المساعدة والخدمة، التي هي خدمة عظيمة لصالح الوطن، ولن يعرف أحد أبدا ما قدمتماه لنا من خدمة جليلة، ثم قام من مكانه وعانق كلاهما، وقال: الآن سأترككما لأن الزملاء بدأوا للتو الاعتصام والإضراب المفتوح بساحة الجامعة المركزية وعلي الالتحاق بهم بسرعة، أجدد شكري وامتناني لكما، ثم خرج مسرعا وهو يقول سنلتقي بإذن الله.

عاد محمد مسرعا وفي طريق عودته التقى بالأستاذ عز الدين والأستاذة حفيظة اللذان أحضرا له نسخا متباينة من محاضر مداولات آخر السنة الماضية، إحداها صدرت من طرف الأستاذة المداولين وهي الصحيحة، والثانية نسخا من المداولات التي عدلتها الإدارة بعد ذلك ونشرت على أساسها النتائج النهائية، واتجه مباشرة إلى غرفته وخبأ بأحكام تلك الأظرف، بعدما اطلع عليها في طريق عودته ونسخ عنها نسخا أخرى، وذهب يسعى مباشرة إلى الساحة حيث فوجئ بامتلائها عن آخرها بالمعتصمين، ويبدو أن دعوتهم للإضراب قد بلغت أسماع الجميع، وأنها لقت صدى كبير لدى الغالبية العظمى من

الطلبة، وشق طريقه وسطهم إلى أن وصل للمقدمة أمام باب مكتب المنظمة الطلابية، وصعد فوق ذلك الكرسي الخشبي أمام الباب، ثم صاح بأعلى صوته قائلاً: السلام عليكم أيها الرفاق.

رد الجميع بصوت واحد وعليكم السلام.

وأكمل قائلاً: مرحبا بكم أيها الزملاء، وأجدد شكري وامتناني لكم على حضوركم الكبير، في سبيل استعادة حرية الطالب وكرامته المهدورة، وما أردت أن أخبركم به وأدخل السعادة على قلوبكم، هو أنني تحصلت من مصدر خفي على نسخة من التحاليل والتقارير الطبية للتسمم، وكذلك حصلت أيضا على نسخ من مختلف الفواتير، والعديد من الوثائق المحاسبية والمخزنية، وكذلك على تقارير عن كيفية إعداد الصفقات، وكيف منحت الصفقات لنفس المؤسسات دون الالتزام بتطبيق القوانين الخاصة بالصفقات العمومية، وأيضا على محاضر للمداولات أولية وأخرى مزورة تلتها ضخمت فيها الكثير من علامات بعض الطلبة دون الآخرين، وكل هذه الأدلة القاطعة تدين العديد من المتجبرين والمعتدين على حقوق الطالب، ولن نتراجع إلا بمحاسبتهم واسترجاع كرامة وحقوق الطلبة وإصلاح كل هذه المفاسد والاختلالات.

وتعالت الهتافات وسط الحشود محمد... محمد... محمد... نحن معك... وراحت الهتافات الحماسية تعاد من جديد... وتكررت كثيرا قبل أن يأخذ محمد الكلمة من جديد قائلا: أيها الرفاق وكرر تلك الكلمة بحيوية واندفاع إننا نحن الطلبة الشباب، عماد هذه الأمة وحاضرها ومستقبلها، بفضلنا نحن تبني المدارس والجامعات، وتشيد المصانع والمستشفيات، وجل ما تقوم عليه ركائز البلاد، إننا القوة المطلقة التي تصنع للناس الخبز وتنشر العلم، وتنير الطرقات وتهب لهم المملكات.

وهتف طالب من وسط الحشود أصبت... وتعالت الهتافات من جديد وخرج من بينها أصوات لن نتراجع... لن نتراجع...

ويبدو أن الطالبات تجمعن أيضا في الساحة المقابلة لإقامة الطالبات، كانت الطالبات يصرخن ويتقدمن في موجة واحدة، متجهين إلى الساحة المركزية حيث احتشد الطلاب منذ الصباح الباكر، وشققن طريقهن نحو الجدار الجانبي لمكتب المنظمة حيث يقف محمد وبقية أعضاء المكتب.

وكانت زهيرة ونورة من تقودان كوكبة الطالبات، ولاحظت زهيرة أن وجه محمد ممتقع وشفتيه ترتعشان، فراحت تشق لها طريقا عبر الجماهير حتى تكون قريبه كما فعلت بالأمس.



شعر محمد عندما رآها بفرحة كبيرة فرحة النضال، وأحس بالرغبة في أن يلقي بقلبه إلى الطلبة المحتشدين جميعا.

وراحت الشمس ترتفع في قبعة السماء، وتبعث الدفء في النفوس التي كانت تظللها الغبطة بهذا اليوم الموعود، الذي كان الجميع يتمنى حدوثه ليخرج ما في جعبته من الألم وحسرة وعذاب، ويعبر عن ما في نفسه من تطلعات وآمال، وتعالى أصوات الطلبة التي كانت طيلة سنين طي الكتمان، وليس لها صدى أو مكان، وغدا لها رنين قوي يصدع في كل الأذان.

لم ينقض ذلك اليوم واللييلة التي أعقبته، إلا بعد طول سهاد لا ينتهي، وحل اليوم التالي وهو يجر أذياله أكثر من سابقه، وكانت الجامعة برمتها تفور باضطراب شديد، والطلبة يتكتلون في جماعات صغيرة وهم يتهايمسون ويلغطون ثم يتوجهون مباشرة إلى الساحة المركزية، لمواصلة الاعتصام والإضراب، وأعوان الأمن والحراسة يتنقلون في اضطراب شديد من مكان إلى آخر وهم يراقبونهم من بعيد، والشتائم ترتفع من هنا وهناك ترافقها بعض الشعارات الطلابية المتداولة وتندس بين طياتها بعض الاستهزاء والضحكات الخبيثة.

وفي مساء ذلك اليوم عاد الرئيس من سفره بالخارج، والذي دام أسبوعين كاملين، وقد أشيع في الأوساط الإدارية وبين مجموعة من

الأساتذة أنه كان في رحلة استجمام، أهديت له من مجمع الحاج إبراهيم للمؤسسات الاقتصادية، وانتشر الخبر في أوساط الطلبة كالنار في الهشيم، وأصبح حديث الساعة، وهذا ما زاد من الاحتقان والتذمر في الوسط الجامعي برمته، وبمجرد أن علم الرئيس بالإضراب والشلل العام الذي أصاب الجامعة، دعي مباشرة إلى اجتماع طارئ لمجلس الإدارة ذلك المساء، حضره نوابه والأمين العام ورئيس الديوان والدكتور بوعلام رئيس نقابة الأساتذة وعيي حمد رئيس نقابة الموظفين والعمال والمنسق العام للأمن والحراسة ومدير الخدمات الجامعية ومديري إقامتي الذكور والإناث.

أما محمد وبقية أعضاء المنظمة الطلابية الحرة فقد رفضوا المشاركة في الاجتماع، إلى غاية تلبية جميع المطالب المرفوعة في البيان أولاً، لكن الأعضاء السابقين حسين ودلال وياسين خالفوا زملاؤهم والتحقوا بالاجتماع.

وقد صدر بيان من رئاسة الجامعة، علق في كل الأماكن وأرسلت منه نسخاً إلى جميع الشركاء الاجتماعيين، حيث كشف في عدة نقاط عن نتائج التحقيق بخصوص التسمم الغذائي الأخير، حيث أديننت فيه خالتي صليحة المعروفة والمحبوبة في الوسط الطلابي ومعها عاملين بالمطعم، واتهموا بالتقصير في عملية تنظيف مجموعة من أطباق حمل

الطعام، وصدر قرار بتوقيفهم عن العمل إلى غاية مثولهم أمام مجلس التأديب، كما صدر أمر أيضا بإقالة مدير المطعم ذلك الرجل الأصلع البدن، واتهم أيضا بالتقصير في أداء مهامه كمسؤول، وعين خلفا له ذلك الفتى الذي لم تنبت لحيته بعد، وكان مسؤولا عن بيع التذاكر، كما أمهل المتظاهرين مدة ثلاثة أيام لإنهاء الإضراب العام، وفض الاعتصامات والجلوس لطاولة الحوار والعودة لمقاعد الدراسة فورا.

وقد جلب حسين ودلال وياسين نسخة من البيان، بعد مغادرتهم اجتماع مجلس الإدارة وعودتهم إلى مكتب المنظمة حيث يعتصم زملاؤهم ويحتشد الطلاب، وطلبوا اجتماعا طارئا للمنظمة حالا، وخلال ذلك الاجتماع وقعت مشاحنات كثيرة وجدالات بين محمد وأمين وزهيرة ونورة ونذير وخالد المعارضين لقرارات الإدارة من جهة، وحسين ودلال وياسين المؤيدين لها من جهة أخرى، وطلبت خلالها المجموعة التي حضرت اجتماع مجلس الإدارة والمؤيدة لقراراتها من زملائهم الانصياع لأوامر الإدارة، وفض الاعتصامات وإنهاء الإضراب وإصدار بيان بذلك، لكن محمد ومجموعته رفضوا ذلك، وأكد أن كل التقارير الواردة من مجلس الإدارة والمنبثقة عن الاجتماع الأخير مزورة، وأنه يملك نسخ من التقارير الرسمية الصحيحة وسيقدمها في الوقت المناسب، وأنه يرفض نتائج التحقيق التي تتهم زورا خالتي

صليحة رفقة عاملين آخرين بالمطعم بالتسبب في التسمم الأخير، واتهم ثلاثتهم بالتواطؤ مع الإدارة، وخيانة الموائيق والمبادئ التي بنيت عليها المنظمة الطلابية الحرة للدفاع عن حقوق الطالب بأمانة وشرف، وأنهم يبحثون فقط عن إرضاء الرئيس والإدارة، بحثا عن مصالحهم الشخصية فقط، والدوس على المصلحة العامة للطلبة والجامعة، وقام بطردهم فورا وإصدار بيان بالإجماع على سحب الثقة من نائبه حسين والعضوين الآخرين دلال وياسين، وعلق البيان فورا بعد نهاية الاجتماع في كل مكان، ووزعت منشورات جديدة تتحدث عن كل ما حصل في هذا الاجتماع ومخرجاته.

خرج محمد من جديد أمام باب المكتب، وصعد على ذلك الكرسي الخشبي، وصرخ بصوت عالي، أيها الرفاق والزملاء أود أن أخبركم بأخر المستجدات التي وصلتنا في بيان صادر عن مجلس الإدارة ثم رفع أمامه نسخة من ذلك البيان، وأخذ يقرأ محتواها وبعدها أتمها، هز رأسه وهو يشمل تلك الحشود بنظراته قائلا: هل رأيتم مدى الظلم والجور الذي يحكم هذه الجامعة؟ إنهم يريدون تلفيق تهم خطيرة لخالتي صليحة وعاملان آخران في المطعم وهم بريؤون من ذلك، وأنتم جميعا تعلمون أنني أحوز على نسخ من التقارير الرسمية الصحيحة التي تفند قطعاً ما يزعمون.

وصاح طالب طويل أشقر ومجدد الشعر، إنهم لم يجدوا مخرجاً سوى إلصاق التهم بالضعفاء، لن نسكت على هذا.

وارتفع صوت آخر من بين أولى الصفوف يقول: خالتي صليحة بريئة... خالتي صليحة بريئة، وارتفعت أصوات أخرى من الحشود تردد نفس العبارة، خالتي صليحة... بريئة... خالتي صليحة بريئة... ثم اجتمعت الأصوات جميعاً وأصبح صوتاً واحداً يزلزل أركان الجامعة.

وما إن خفتت تلك الصيحات حتى عاد محمد لإكمال الخطاب، أيها الرفاق والزملاء أخبركم أيضاً بأننا سحبنا الثقة من بعض الأعضاء المتواطئين ضدنا، فلا تسيروا خلفهم ولا تسمعوا لهم نداء، حسين ودلال وياسين.

ثم ارتفع ذلك الصوت من جديد، وأعقبه تتابع أصوات أخرى من بين الحشود، يا حسين يا دلال يا ياسين الخائنين، ودوى صداها من جديد.

أما حسين ودلال وياسين فقد تسللوا خارج أسوار الجامعة، والتقوا سرا مع الحاج إبراهيم، واستدعوا أيضاً الدكتور بوعلام رئيس نقابة الأساتذة، وعي حمداً رئيس نقابة الموظفين والعمال المهنيين، وعقدوا اجتماعاً سرياً في الفندق الجديد، الذي بني على أطراف المدينة، والذي

يمتلكه الحاج إبراهيم نفسه، وكان محور الاجتماع تكسير الإضراب وفض الاعتصامات بأي طريقة كانت ومهما كان الثمن، والتخلص من نسخ نتائج التحاليل والتقارير الطبية المتسببة في التسمم، وأيضا من نسخ الفواتير الحقيقية المضخمة، وكل الوثائق المحاسبية والمخزنة وتقارير منح الصفقات للمؤسسات، وأيضا محاضر المداولات الأولية والنهائية المزورة التي ضخمت فيها علامات بعض الطلبة دون الآخرين، وكل الأدلة القاطعة والملموسة التي تدين الإدارة وبعض المؤسسات، التي بحوزة محمد وبعد أخذ وجذب خلص الجميع أنه لا سبيل لذلك، سوى بإغراء محمد ومن معه بأي طريقة للرجوع عن ما أقدموا عليه، والتستر عن ما يملكونه من دلائل وبراهين تدين الإدارة وكل المتواطئين.

بحث الحاج إبراهيم عن شخص مناسب ليرسله إلى محمد، فلم يجد سوى سمير ابن بلدته والذي يعرف أن له علاقة جيدة تربطه بمحمد وببقية أعضاء المنظمة، أرسل في طلبه من داخل الحشود المعتصمة في الساحة المركزية بواسطة أحد الطلاب، وبمجرد وصوله إلى الفندق وجد الحاج إبراهيم في انتظاره، حيث دعاه لتناول عشاء فاخر برفقته، ثم فاتحه بالموضوع وحمله رسالة شفوية إلى محمد، قائلا: أخبره أنه إذا أوقف الإضراب فورا، ودعا الطلبة لفض

الاعتصامات وجلس لطاولة الحوار مع الإدارة، سيحصل على سيارة فاخرة، وتأشيرة لاستكمال الدراسة في طور الماجستير في أي بلد أجنبي يختاره، وسيستفيد زملاؤه أيضا من نفس الامتياز، وله جائزة أخرى ستبقى مفاجأة بيني وبينه، كما وعد سمير بأنه في حالة إقناع محمد بالعدول عن ما أقدم عليه وقبول هذا العرض، مع إحضار نسخ التقارير والفواتير التي يمتلكها سيحصل على نفس الجائزة أيضا.

خرج سمير مسرعا واتجه مباشرة صوب مكتب المنظمة، ليجد الحشود كما هي بل ازدادت اتساعا لتشمل الطرقات المؤدية للساحة المركزية أيضا، وأغلقت ابواب المطعم والقاعات الدراسية والمدرجات أيضا، والباب الرئيسي لرئاسة الجامعة حيث اضطر الموظفون للدخول والمغادرة من الباب الخلفي، شق طريقه وسط تلك الحشود، وبمجرد وصوله طلب من محمد ان يتكلما على انفراد، دخلا الاثنين إلى المكتب، نظر سمير إلى محمد نظرة ممزوجة بالخوف ثم نطق قائلا: أتعرف أين كنت؟

محمد لقد عهدتك معنا في مقدمة الحشود، ثم اختفيت فجأة ولم ألاحظك؟

سمير نعم كنت كذلك لكن منذ ساعتين أرسل الحاج إبراهيم في طلبي، وذهبت لمقابلته في فندقه الجديد، وقد تكلمنا كثيرا لكنه أصر على أن أوصل إليك هذه الرسالة الشفوية والتي مفادها ما يلي:

إذا أوقفتم الإضراب فورا ودعوتكم الطلبة لفض الاعتصامات، وجلستم لطاولة الحوار مع الإدارة، ستحصلون جميعا على سيارة فاخرة لكل عضو منكم، وتأشيرة لاستكمال الدراسة في طور الماستر في أي بلد أجنبي تختارونه، ولك جائزة أخرى ستبقى مفاجأة بينك وبينه، إذا سلمته النسخ والتقارير والفواتير التي بحوزتك، ولم تترك أحدا يطلع عليها كما قال.

محمد وهو يقفز من مكانه ويخفق سмир من رقبتة بقميصه، ويصرخ في وجهه بكل قوة، ماذا تقول؟ هذا الملعون يريد رشوتي، أه... يريد أن يشتريني بالمال؟ أنا لا أبيع قضيتي وقضية هؤلاء الحشود من الطلبة الذين يقفون خلفي، ثم أفلته واستدار بسرعة وضرب الطاولة التي كان يقف أمامها بقبضة يده اليمنى، أنا حر لا أشتري بالمال، أنا ابن مجاهد ضحى بالنفس والنفيس، من أجل كل ذرة تراب على هذه الأرض، وفي سبيل رقي وازدهار هذه البلاد، ثم استدار إليه مرة أخرى، وأخذ نفسا عميقا وقال: عد إليه أيها الزميل وأخبره أنني وزملائي لسنا للبيع.



خرج سمير مسرعا دون أن ينبس ببنت شفه، وانطلق مباشرة إلى الحاج إبراهيم الذي كان ينتظره في فندقه الجديد.

دخل سمير لمكتبه ووجهه تعلوه الحشمة والحياء مطأطئا رأسه، ثم قال دون أن ينظر مباشرة في عينيه، أنا آسف يا حاج إنه يرفض أي مساومة، وكل ما اقترحتة عليه من مساعدات، كما أخبرني أنه لن يتراجع أبدا، عن مواصلة الإضراب والاحتجاجات والاعتصامات.

استشاط الحاج إبراهيم غضبا وقام من مكانه، وهو يضغط بكلتا قبضتيه على المكتب الخشبي الفاخر الذي كان يجلس عليه، ثم سأل سمير بغلظة وماذا يريد إذن؟ هل يريد أن يدمر الجامعة ويفسد كل ما بني خلال سنوات؟

سمير إنه يرفض أي حوار ويؤكد أنه لن يتراجع حتى توفد الوزارة لجنة تحقيق.

الحاج إبراهيم وهو يضحك بسخرية، ماذا يعرف هذا الفرخ الصغير عن الوزارة ولجان التحقيق؟

ثم جلس في مكانه من جديد وحمل سماعة هاتفه وهو يقول سيندم ندما شديدا.

لقد اتصل بالرئيس وأخبره أنه قادم إليه في الحال، وأنه يحمل بعض الأخبار السيئة، ثم خرج بسرعة وأقل سمير في طريقه إلى الإقامة، وممر بسرعة لمكتب الرئيس الذي كان بانتظاره، رفقة الأمين العام ورئيس الديوان ونوابه جميعا ومنسق الأمن وبقية أعضاء مجلس الإدارة، حيث دخل متخفيا من الباب الخلفي لرئاسة الجامعة.

عُقدَ اجتماع طارئ احتدم فيه الكثير من النقاش والجدال كيف يمكن فض الاعتصامات، وإنهاء الإضراب بأي طريقة ممكنة وفي أسرع وقت.

وانتهى هذا الاجتماع المستعجل بإصدار بيان شديد اللهجة، يأمر الطلبة بالعودة إلى مقاعد الدراسة فورا، ويتوعد المخالفين بالعقاب الشديد، كما أعطيت الأوامر لأعوان الأمن والحراسة للتدخل وفض الاعتصامات بالقوة بعد أربعة وعشرين ساعة من صدور هذا البيان، في حال لم ينصاع الطلبة المعتصمون والمضربون للأوامر الصادرة من مجلس الإدارة وفض الاعتصام.

أما محمد فصعد على الكرسي الخشبي كما اعتاد طيلة أيام الإضراب، ليعلوا الحشد وصاح قائلا: أيها الرفاق والزملاء، أود أن أخبركم أن الاعتصامات ستستمر، والإضراب سيمتد ويطول دون رجعة، وغدا صباحا سنصدر بيانا آخر، وسنرسل رسالة مطولة

ومفصلة ومدعومة البراهين والدلائل القاطعة والحجج الدامغة والتقارير الرسمية التي بحوزتنا، إلى الوزارة لإيفاد لجنة تحقيق، ولا عودة للدراسة حتى تتحقق مطالبنا.

وبعد صدور البيان من رئاسة الجامعة، أمر منسق الأمن والحراسة السيد عثمان بإيفاد الدعم من أعوان الأمن الحراسة من بقية الكليات إلى رئاسة الجامعة حيث الاعتصام، وقد أحاطوا بالحشد من كل مكان وحاصروه من كل الجهات، في انتظار نهاية المهلة المحددة بأربع وعشرين ساعة قبل تنفيذ فض الاعتصام بالقوة.

وفي صباح الغد تسلل امين من بين تلك الحشود، وهو يحمل الرسالة الموجهة إلى الوزارة الوصية، والتي أرفقت بنسخ من جميع التقارير والبيانات التي أصدرت عن المنظمة الطلابية الحرة، خلال فترة الإضراب وأيام الاعتصامات، واتجه مسرعا لمركز البريد ليودعه بالبريد السريع المضمون، ويعود متخفيا دون أن يلاحظه أعوان الأمن والحراسة.

وقبل انتهاء المهلة المحددة لفض الاعتصامات بالقوة وتفريق الحشود بسويغات، التقى سرا نائب الرئيس المكلف بالطورين الأول والثاني والشهادات الدكتور سليمان، ونائب الرئيس لما بعد التدرج في الطور الثالث والتأهيل الجامعي البروفيسور جلال الدين، ونائبة

الرئيس للتعاون والعلاقات الخارجية الدكتوراة أحلام، ومنسق الأمن والحراسة السيد عثمان، في مكتب مدير الخدمات الجامعية السيد علي، حيث تسللوا الواحد تلو الآخر خفية، وفي غفلة أمر من الجميع ليعقدون اجتماعا سريا للغاية.

استهل الكلمة السيد عثمان منسق الأمن والحراسة قائلا: أود أن أخبركم أيها الزملاء أن المسألة خطيرة، وأنها تجاوزت الجميع وأننا لن نستطيع فعل شيء، ولن نستطيع إيقاف الإضراب، أو فض الاعتصامات المتواصلة بالقوة، كما أود أن أعلمكم أنه بلغني من مصدر سري موثوق، أن المنظمة الطلابية الحرة قد بعثت برسالة إلى الوزارة، محملة بكل الدلائل والبراهين القاطعة على تورط الرئيس وبعض المسؤولين الآخرين، ومجمع الحاج إبراهيم وبعض المؤسسات الأخرى في كل ما جرى، لذلك وجب أن ننأ أنفسنا عما حدث ويحدث، وأن نبرأ ذمنا أمام الجميع، فربما ستصل لجان التحقيق على جناح السرعة.

وأيده الدكتور سليمان قائلا: نعم جميعنا نعرف ما حدث ويحدث، وقد أكرهنا على السكوت طيلة هذه المدة، ولم تكن لدينا القدرة على فعل شيء، فقد كان الرئيس إمبراطورا حقيقيا ومحما من كل الجهات، بواسطة جاه وجبروت الحاج إبراهيم وسلطته الكبيرة، أما

اليوم وقد انكشفت كل الأعيهم، واتحد الطلبة في الوقوف ضدهم، فسقوطهم قريب ولم يبق لهم من أمل البقاء.

وخطفت الدكتورة أحلام الكلام قائلة: نعم، نعم إن ما تقوله صحيح، فكل السلطات والقرارات كانت مركزية، ولا تنفذ إلا بإمضاء وموافقة الرئيس، ونحن ما كنا سوى مراقبين ومنفذين للقرارات الفوقية، ولا نستطيع التفوه بكلمة أو رفض أي أمر، ثم اعتدلت في مكانها وهي تلتفت وتنظر مباشرة في وجه البروفيسور جلال الدين الذي كان على جانبها الأيسر، نعم لم نكن سوى أداة تنفيذ في يد الرئيس، أليس كذلك أيها الزميل؟ ثم صمتت تنتظر رده.

وقال وهو يومئ برأسه ويوافقها الكلام، أكيد نحن لم يكن في يدنا أي سلطة قرار، ولم يترك لنا أي فرصة تذكر لممارسة صلاحياتنا الإدارية بالقبول أو الرفض، كان دكتاتورا ويصدر الأوامر وينتظر التنفيذ، لذلك يجب أن نسرع وننقذ أنفسنا قبل فوات الأوان، السفينة تغرق وعلينا السباحة إلى بر الأمان، وليتحمل الربان الذي قادها إلى الغرق مسؤوليته كاملة، لم نكن مشاركين في القيادة، بل كنا مجرد ركاب وعمال منفذين.

ثم قال مدير الخدمات الجامعية السيد علي أنا أؤيدكم الرأي، لذلك يجب أن نصدر بيانا سريا ونرسله للوزارة فوراً، ونبرأ ذمتنا قبل

فوات الأوان، أما أنت يا سيد عثمان عليك تجنب فض الاعتصامات بالقوة، وأن تعصي أوامره الفضة، وأن تأمر بمرافقة الاعتصامات بسلمية تامة، إلى غاية وصول لجان التحقيق الوزارية، وبذلك نقود الجامعة برمتها إلى بر الأمان.

صدر بيان سري من طرف تلك المجموعة، وأرسل في يوم الغد إلى الوزارة الوصية، كما لم ينفذ السيد عثمان منسق الأمن أمر الرئيس بفض الاعتصامات بالقوة، متحججا في ذلك بعدم كفاية أعون الأمن والحراسة لتنفيذ الأمر، والخوف من تحول الاعتصامات السلمية إلى احتجاجات ومظاهرات عنيفة تأكل الأخضر واليابس، وطلب من الرئيس التريث في الأمر إلى وقت لاحق.

وبعد يومين من ذلك وصلت لجنة وزارية على جناح السرعة، وجاءت بهم من المطار سيارة سوداء اللون ذات زجاج معتم لا يرى من بداخلها، وكانت مرفقة بحراسة أمنية مشددة، وتكونت من أربعة رجال متشابهين يرتدون بدلات كلاسيكية موحدة، ونظارات سوداء كأنهم غربان، لا يتكلمون كثيرا وأول ما وصلوا اجتمعوا أولا بالرئيس ونوابه والأمين العام للجامعة ومجلس الإدارة، وفي المساء التقوا بممثلي الطلبة الذين يقودون الاعتصامات والإضراب المفتوح، واجتمعوا كذلك ببقية الشركاء الاجتماعيين من ممثلي نقابة الأساتذة ونقابة

الموظفين والعمال، وكانوا قليلي الكلام ولا ينطقون إلا بكلمات موجزة ومحددة، ويطرحون أسئلة متقطعة كأنهم مبرمجين مسبقا على ذلك، ويدركون جيدا ماذا يقولون، وإلى أي نتيجة ستؤول الأمور ثم اختفوا بعد ذلك، ويقال أنهم قدموا في طائرة عمودية خاصة، أعادتهم إلى العاصمة في نفس الليلة.

بقيت الأوضاع على حالها لثلاثة أيام متتالية، لم يغادر خلالها الطلبة المضربون مكان اعتصامهم في الساحة المركزية، التي تتوسط رئاسة الجامعة والنيابات التي تتبعها والأمانة العامة للجامعة، وقد قسموا الحشد المضرب إلى مجموعتين تتناوب على الاعتصام بين الليل والنهار، وكان خلالها ممثلي الطلبة للمنظمة الطلابية الحرة لا يغادرون مكثهم المتواجد أيضا في نفس الساحة، حيث يقود محمد وزملأوه الإضراب المفتوح، وينضمون الاحتجاجات المتتالية والاعتصام المتواصل، ما عدا الطالبات اللواتي كن ينضمن للاعتصام في الصباح، ويغادرن إلى غرفهن آخر المساء، وكانت زهيرة ونورة من يقدن تحركهن جيئة وذهابا، بين مكان الاعتصام حيث يحتشد المضربون وغرفهن بالإقامة.

وفي اليوم الرابع وصل بيان من الوزارة الوصية على جناح السرعة، حيث علق في جميع الأماكن العامة، وسلمت منه نسخ إلى الإدارة

المركزية والشركاء الاجتماعيين، وقد تسلم محمد لتوه نسخة أيضا من البيان ليسارع ويركب على ذلك الكرسي الخشبي الذي اتخذه كمنبر ليخاطب الحشد ويعلمهم بكل المستجدات.

وصاح بأعلى صوته أيها الرفاق، لقد وصل للتو هذا البيان الوزاري لنتائج التحقيقات، والذي سأتلو عليكم مباشرة ما فيه من قرارات، ثم أخذ يقرأ بصوت عالي كل كلمة كتبت في ذلك البيان، تبعا للتحقيق الوزاري الذي فتح في الأيام الأخيرة، ثم واصل كلامه إلى أن وصل إلي، فإن الوزير قرر ما يلي:

إقالة الرئيس المدير العام للجامعة، وتنحية الأمين العام فورا ورئيس الديوان الجامعي.

فصاح الحشد جميعا بصوت واحد، وتعالى من بينه أصوات من هنا وهناك تحيا العدل... تحيا العدل...

ثم أكمل كلامه قائلا: توقيف كل من السادة مدير المالية والمحاسبة، ومدير المطعم، وحل مجلس الإدارة وكل اللجان المختصة في الصفقات العمومية وإحالتهم للتحقيق.

صاح الحشد جميعا بصوت واحد مرة أخرى تحيا العدل... تحيا العدل...



وما إن خفت الأصوات حتى أكمل قائلاً: وتبرئة عاملة النظافة بالمطعم الملقبة بخالتي صليحة، والعاملين الآخرين معها بالمطعم أيضاً، إلغاء كل الصفقات العمومية التي تمت مؤخراً، وإسناد جميع عمليات التموين الجامعي لمؤسسات تابعة للدولة، وارتفعت الأصوات أيضاً من جديد بشدة خالتي صليحة، خالتي صليحة.

وتابع تلاوته للبيان كما تقرر ما يلي:

تعيين الدكتور سليمان لتسيير مرحلة انتقالية بالنيابة في منصب الرئيس المدير العام.

تحويل البروفيسور جلال الدين لشغل منصب نائب الرئيس المكلف بالتكوين العالي في الطورين الأول والثاني والشهادات.

إسناد منصب رئيس الديوان مؤقتاً للدكتورة أحلام، إضافة لبقائها في منصبها السابق كنائبة للرئيس مكلفة بالتعاون والعلاقات الخارجية.

تعيين الأستاذ عز الدين في منصب نائب الرئيس المكلف بالتكوين العالي فيما بعد التدرج والبحث العلمي والتأهيل الجامعي.

ساد صمت رهيب تخللته بعض الوشوشات التي فرحت لتعيين الأستاذ عز الدين، بينما انتقدت بشدة بقية التعيينات.

ثم نزل محمد مسرعا ودخل إلى المكتب وتبعه بقية أعضاء المنظمة، وعقدوا اجتماعا طارئا في الحال، للرد على بيان وقرارات الوزارة الوصية.

جلس محمد في مكتبه والتف البقية حوله في حلقة مستديرة، ثم نطق محمد قائلا: لقد سمعتم قرارات الوزارة الوصية فما رأيكم في ذلك؟

أمين أظن أن الوزارة قامت بالمطلوب وهو تنحية هذا الرئيس الفاسد، وألغت جميع الصفقات المشبوهة، وبرأت المتهمين الذين لفقت لهم تهم باطلة، وعاقبت المتسببين الآخرين في التدهور الذي وصلت له الجامعة، والذين سيطروا على مقدراتها طيلة سنين، وجعلوا الطالب في الحضيض ونشروا الظلم والضعينة والحقد بين مختلف فئات الحرم الجامعي برمته، لكن هناك بعض القرارات الأخرى التي لم نكن نتوقعها، مثل تكليف تسيير المرحلة الانتقالية بأغلبية من حرس الرئيس القديم نفسه.

زهيرة نعم هذا ما كنت أود قوله أيضا، كيف لنفس الوجوه التي كانت تأكل مع الراعي القديم، أن تحرس الزريبة اليوم، كيف للدكتور سليمان أن يسير مرحلة انتقالية وننتظر منه التغيير المنشود، وهو نفسه من كان ينفذ أوامر الرئيس المخلوع؟ وكيف لنفس الأشخاص

أن يحولوا من هنا إلى هناك، ويتبادلون فقط الأدوار، ويمكن أن تكون الأشياء الإيجابية فقط هي إقالة الرئيس القديم، وتعيين الدكتور عز الدين على رأس نيابة الجامعة للطورين الأول والثاني وما بعد التدرج والشهادات، وتبرئة خالتي صليحة وعاملي المطعم الآخرين.

نورة هذا صحيح فقرارات الوزارة متباينة فيما الشيء الإيجابي الكثير، وفيها بعض الاحترازاات كترك بعض المسؤولين القدامى وتغيير مراكزهم فقط لا غير.

خالد أظن أنه من الصعب أن يكون هناك تغييرا كليا، وليس هناك من هم مؤهلون لتسيير المرحلة الانتقالية، فليس من السهل التسيير الإداري والدراسي والاجتماعي للحرم الجامعي، إلا إذا كان المسيرون أصحاب خبرة قديمة، فربما الوزارة لم تجد الأشخاص المؤهلين كليا لتسيير هذه المرحلة الانتقالية، فاضطرت للاستيجاد ببعض الوجوه القديمة التي لم تتلطح أيديها بالفساد، حسب ما تراه هي وما يتوفر لديها من معلومات عنهم.

نذير أنا أرى أن أبرز القرارات كانت تليي مطالبنا، وهي إقالة الرئيس الفاسد ومدرء الخدمات الجامعية والمطعم والمالية والمحاسبة، وتبرئة العمال البسطاء خالتي صليحة وعاملي المطعم، وأما التعيينات الجديدة فقد تكون للضرورة القصوى وسننتظر ربما سيكون تغييرا

حقيقيا للجامعة، ويفرح بها الجميع من طلبة وأساتذة وموظفين وعمال.

محمد بعدما استمع للجميع وهو يتفحص البيان الوزاري من جديد، أظن أنني أشاطركم الرأي جميعا، والآن يجب أن نقرر هل ننهي الإضراب والاعتصام ونصدر بيانا للطلبة في الخارج ونطلب منهم العودة لمقاعد الدراسة، وأننا سنواصل حوارنا مع الإدارة الجديدة لتحقيق كل ما خرجنا من أجله، وخضنا هذا الإضراب الطويل وهذه الاعتصامات المتتالية لتحقيق رفاهية الطالب والعدل المنشود بين جميع الفئات.

والآن أطلب منكم التصويت فمن يؤيد إنهاء الاحتجاجات والإضراب يرفع يده؟

رفع الجميع أيديهم بما فهمهم محمد، ثم قال الآن سنصدر بيانا عاما بما حدث في هذا الاجتماع الطارئ.

ثم خرجوا جميعا ووقفوا أمام باب مكتب المنظمة، في صف واحد مقابلين لحشد الطلاب، وصعد محمد على ذلك الكرسي الخشبي وهو يحمل البيان الذي أصدرته المنظمة في التو، ورفع رأسه قائلا: بصوت عال أيها الرفاق، أيها الزملاء، إنكم منحتمونا ثقتكم لنكون ممثلين

لكم، ونتكلم نيابة عنكم ونحافظ على مكتسباتكم وندافع عن حقوقكم، وقد عاهدناكم على أن نصون الأمانة ونحفظ العهد التي بيننا، والوعود التي قطعناها على أنفسنا، واليوم نحن في لحظة فاصلة، لتشكيل مستقبل أفضل للأجيال القادمة من الطلبة، وكل هذا بفضل الله، وبفضل جهودكم وتضحياتكم جميعا، وبعد الشدة يأتي الفرج، واليوم قد أتى اليسر بعد العسر، ونحن لن نبقي طوال أعمارنا في هذه الجامعة، وسيأتي من الأجيال القادمة من ي خلفنا لا محالة، لذلك فنحن من سنترك بصمتنا لتلك الأجيال القادمة، ونحن من نزرع البذور ليقطف ثمارها من بعدنا، إذا ما حافظوا على الاعتناء بتلك البذور، وليحي الجميع حياة أكثر كرامة وعزا، ثم رفع تلك الورقة وقرأها إلى أنفه قائلا: اليوم سأتلو عليكم الرد الحاسم على قرارات الوزارة الأخيرة، إنه على ما يبدو فإن الوزارة الوصية قد لبت لنا أغلب مطالبنا التي كنا ننادي بها، والتي تمثلت في خلع الرئيس المدير العام من منصبه، وارتفعت أصوات الحشد من جديد إلى الجحيم... إلى الجحيم... وما إن خفت قليلا حتى أكمل قائلا: وإقالة الأمين العام وتوقيف مدير الخدمات الجامعية، وتعاليت صيحات المحتجين من جديد إلى الجحيم إلى الجحيم... ومع ذبولها واصل قائلا: ومدير المطعم ومدير المالية والمحاسبة، وهؤلاء جميعا كانوا فاسدين، وإلغاء جميع

الصفقات التي تمت مؤخرا مع المؤسسات الفاسدة وأصحابها المتواطئين، وتبرئة المتهمين ظلما وجورا من العمال، وفتح تحقيقات جديدة ومحيدة فيما حدث سابقا.

وكان كل ما ذكر شيئا إلا وتعالص أصوات الحناجر بكلمات نابية تمقثم، وتمجد الطلاب بشعارات المنظمة الطلابية الحرة، واشتد الحماس إلى الذروة، وملأت الفرحة جل القلوب.

أيها الرفاق أظن أننا لن نستطيع البقاء طويلا على هذا الحال، وأن مطالبنا الأساسية قد تم تلييتها، تبقى بعض الاحترازات على بعض التعيينات الجديدة، سنواصل حوارنا مع الوزارة والإدارة من أجل معالجتها مستقبلا، ونظن أن ذلك حتمية لمرحلة انتقالية، يمر بها كل تحول في شتى الميادين.

ثم تعالص الأصوات بشعارات المنظمة، المجد والخلود للطلاب عماد الأمة، ومستقبل البلاد، واختلط بصيحات أخرى، من هنا وهناك تشتم بعض المسؤولين السابقين، وما إن هدأت الأصوات حتى أكمل محمد خطابه قائلا: لذلك فقد قررنا بالإجماع إنهاء الإضراب المفتوح فورا، والعودة إلى مقاعد الدراسة، وفض الاعتصامات والاحتجاجات، ومتابعة تنفيذ بقية المطالب مع الإدارة المعنية حديثا.

مر أسبوعين كاملين ساد خلالهما الكثير من الحذر، فقد ركن قادة الإضراب والاعتصامات إلى الراحة، للتخلص من الإرهاق والتعب الذي أنهك قواهم خلال الأيام الماضية، جراء تواصل الاعتصامات اليومية، والإضراب المفتوح لعدة أيام متتالية دون توقف، لكنهم كانوا يجتمعون مساء كل خميس واثنين بمكتب المنظمة، بعد عودتهم من مقاعد الدراسة لتقييم الوضع ودراسة المستجدات، في انتظار التنصيب الرسمي للرئيس الجديد وطاقمه النيابي والإداري، بينما كان الطلبة يجتمعون هنا وهناك أثناء ذهابهم للمطعم، وأحيانا في الساحات قبل الدخول لقاعات الدراسة وفي نادي الطلبة، ولا حديث لهم سوى عن التغييرات المنتظرة، وعن الجامعة الجديدة التي وعدت بها الوزارة الوصية، بينما كان أعوان الأمن والحراسة يراقبون الوضع من بعيد.

وفي بداية الأسبوع الثالث علق إعلان في شتى الأماكن والزوايا، يدعو الطلبة والأساتذة والموظفين وعمال الخدمة جميعا، وكل مكونات الأسرة الجامعية إلى حضور حفل تنصيب الرئيس الجديد وطاقمه يوم الاثنين بقاعة المؤتمرات الكبرى.

مر اليومين الأولين من الأسبوع كأنهما شهرين، والجميع يتربص بقلق شديد بزوغ فجر يوم الاثنين لسماع ما سيقوله الرئيس المدير العام

الجديد، وهل سيظهر تغيير على ما سبق وما عهده، وكثر على إثرها الكلام واللغط والتأويلات، وأطلقت العديد من الشائعات.

وفي صباح يوم الاثنين استيقظ محمد باكرا كعادته، وأيقظ زملاؤه في الغرفة، واستعدوا لهذا اليوم المشهود، فلبسوا أفخم اللباس ونزلوا باكرا متجهين حيث سيكون الحفل بقاعة المحاضرات الكبرى، وقد وجدوا زميلاتهم ينتظرهم أمام باب إقامة الطالبات، وتوجهوا في كوكبة وهم يسرون إلى مكان تنصيب الرئيس الجديد، كانوا يتلقون التهاني والتبريكات من طرف الطلبة الذين يصادفونهم أثناء الطريق، وحتى من بعض العمال أيضا واصفين إيّاهم بالأبطال.

وصاح سليم قائلا: إن حفل التنصيب سينطلق متأخرا، ربما أثناء منتصف النهار، ما رأيكم أن نمكث بمكتب المنظمة لحين اقتراب التوقيت.

أمين فعلا ما زال اكثر من ثلاث ساعات كاملة على انطلاق حفل التنصيب، فلنتوجه للمكتب وننتظر أيضا قدوم خالد ونذير.

زهيرة وهي تبسّم ابتسامة سخرية بلهاء، صحيح فنحن الآن أصبحنا ذوي شأن كبير، ولا يصح لنا أن نصل باكرا، يجب أن ندخل خلف الجميع.



نورة نحن أبطال الجامعة الذين خلصنا الطلبة وحتى الأساتذة والعمال من جور وظلم الرئيس القديم، قالت ذلك وهي ترفع رأسها أمامها وتسير في أبهة وفي فخر شديد.

محمد نعم سنذهب أولا للمكتب فأنا أصبحت لا أطيق هذه الاحتفالات والتنصيبات، وطول الانتظار والترقب الذي يصحبهم خلال الساعات الأولى.

مكثوا في المكتب لبضع ساعات، والتحق بهم خالد ونذير أيضا، وقبل انطلاق حفل التنصيب بنصف ساعة توجهوا لقاعة المحاضرات الكبرى التي كانت تبعد عن مكتبهم ببضعة أمتار، وما إن وطأت أقدامهم القاعة إلا ووجدوها ممتلئة عن آخرها.

تقدم منهم رئيس الأمن الداخلي السيد عثمان الذي لم يزحج من منصبه قائلا: مرحبا بكم، تستطيعون التقدم أسفل القاعة، فهناك مكانكم.

محمد شكرا لك سيدي، ثم تقدموا نحو مقدمة القاعة حيث ترك صف بأكمله فارغا لأعضاء المنظمة، وسار خلفه البقية متتابعين، وعند جلوسهم ارتفعت وسط الحضور بعض الصيحات، تهتف باسم

محمد وزملائه، ثم زادت الصيحات والتصفيقات وعمت القاعة أغاني وأهازيج طلابية تمجد نضال الطلاب.

وبعد لحظات التحق فيها أغلب المدعويين من الطاقم الإداري والأساتذة والموظفين والعمال والطلبة إلى القاعة.

وصل الرئيس الجديد في أبهة وأناقة لم يعهد بهما من قبل عندما كان نائبا للرئيس السابق، وبرففته النواب المعينين حديثا، والأمين العام الجديد أيضا، ومدير الخدمات الجامعية، والطاقم الإداري المعين حديثا كذلك، حيث لم تختلف البروتوكولات والإجراءات عن ما كانت عليه سابقا، بل على العكس يبدو أن الحراسة الأمنية قد شددت أكثر، حيث ظهر الكثير من أعوان الأمن والحراسة يحيطون بالرئيس ونوابه والأمين العام، ولا يتركون مجالا لأي كان أن يقترب منهم، حتى زملاؤهم الذين يريدون فقط تهنئتهم، وكان عثمان منسق الأمن والحراسة يوجههم ويسدي لهم الأوامر، وهم يتراكمون في كل صوب وحذب، وكذلك الحال لعبد الكريم المدير الفرعي للنشاطات الذي يشرف على مثل هذه المناسبات حيث يقفز هنا وهناك ويوجه الأوامر للعمال التابعين له، ولا يكاد يتوقف لحظة واحدة حتى لالتقاط أنفاسه، كما يبدو أن أولئك الرجال المتشابهين الذين قدموا في الأيام الماضية من الوزارة، قد عادوا من جديد وأنهم هم أنفسهم من

سيشرفون على تنصيب الرئيس ونوابه والأمين العام ومدير الخدمات الجامعية وبقية الطاقم الإداري، وكانوا آخر الوافدين على القاعة.

وعلى غير العادة المتوارثة، افتتح حفل التنصيب هذه المرة أحد أولئك الرجال القادمين من الوزارة والذي لم يكلف نفسه نزع نظارته السوداء قائلاً: بعد السلام على الجميع نود أن نشارككم اليوم حفل تنصيب الرئيس الجديد ونوابه لمختلف الميادين الأمين العام ومدير الخدمات الجامعية وبقية إدارات الطاقم الإداري المعينين حديثاً، ونشارككم أيضاً انطلاقاً الجامعة الجديدة التي حلم بها وأرادها كل منتسبي الحرم الجامعي من أساتذة وموظفين وعمال خدمة وطلبة، وقد تخلصنا جميعاً بفضل النضال الطلابي الحر من مخلفات عصابات الجامعة القديمة التي كانت تسير بالجامعة إلى الهاوية.

وتعالت الصيحات بين مدرجات القاعة وبعض الهتافات الطلابية التي كانت شعارات للإضراب السابق والاعتصامات، وما إن خفت الأصوات حتى أكمل قائلاً: ولا أطيل عليكم الخطاب فلنبداً حفلنا في بهجة وسرور، وأقدم لكم سيادة الرئيس المدير العام للجامعة الدكتور سليمان وهو غني عن التعريف، وهو من منتسبي الجامعة المكافحين الذين عملوا طيلة سنوات بصدق وتفان، وكان من الأيادي النظيفة التي لم تتلطخ بالفساد والجور والظلم.

ودوت القاعة بالتصفيفات وارتفعت بعض الأهازيج الطلابية المعتادة التي تمجد العمل الطلابي الحر، وما إن هدأت الأصوات حتى قال؛ الرئيس الجديد السلام عليكم جميعا لكل منتسبي الجامعة فردا فردا، ما أود قوله في البداية هو تجديد شكري للوزارة الوصية التي منحتني الثقة لإنقاذ الجامعة من براثن الفساد التي كانت تأكلها، كما أجدد شكري وامتناني وتقديري للعمل الجبار الذي قامت به منظمة الطلبة الأحرار التي استطاعت بفضل صبرها وعملها الدؤوب وسلميتها المتواصلة، أن تنقذ الجامعة من السقوط في الهاوية.

وأعهد من منبري هذا منذ اليوم الأول، بأنني سأحدث التغيير المنشود من طرف الجميع، بتحسين رواتب الأساتذة والموظفين والعمال ورفع منحة الطلبة، والعمل على تغيير النظام الدراسي المعتمد ليكون أكثر شفافية، وكذلك تحسين الحياة الاجتماعية للطلاب سواء من جانب الإطعام بزيادة كمية الوجبات وتحسين جودتها، وتوفير أكبر عدد من الحافلات بالتعاقد مع مؤسسات جديدة لتحسين جودة النقل وتخفيف معاناة الطالب من الانتظار، كما سأعمل على زيادة عدد المنح الممولة الممنوحة للأساتذة والموظفين والطلبة للخارج، لإجراء التريصات الميدانية لتحسين المستوى، والمشاركة في التظاهرات العلمية والمؤتمرات الدولية، والتزم أيضا

بتحسين الجوانب الترفهية والثقافية للطالب ببناء قاعتين رياضيتين جديديتين بالإقامتين، لتكون متنفسا للطلبة، وفيما يخص الصفقات العمومية سنحاول قدر الإمكان التقليل من الاعتماد على الشركات الخاصة، والتحول نحو الاعتماد على المؤسسات العمومية، كما سنحاول فتح مخبزة على مستوى المطعم المركزي وتحقيق الاكتفاء الذاتي من الخبز مطلع هذه السنة، وإذا أمكن الأمر الاعتماد على معهد البيولوجيا لإنتاج الكثير من أنواع الخضروات بالشراكة مع قطاع الفلاحة العمومي، وكل هذا يندرج في إطار التقليل من فتح الصفقات العمومية، وتخفيض التكاليف، ثم سكت برهة وأكمل وأخيرا أود أن أطلب من جميع زملائي المسؤولين وإخوتي الموظفين والعمال وأبنائي الطلبة، مناداتي باسمي فقط بدلا من الاسم المتعارف عليه منذ العهد البائد، السيد الرئيس المدير العام، ومناداتي فقط باسم الرئيس لا غير، واهتزت القاعة بالتصفقات الحارة، ووقف الجميع وهم يصفقون لبضع دقائق، وزادت حماسة الحاضرين وارتفعت صيحات، يحيا الرئيس، يحيا الرئيس.

وبعدما عاد الهدوء، ختم كلامه قائلا: وأخيرا أشكر الجميع على ثقتهم بي.

ثم استعاد ذلك الرجل القادم من الوزارة الكلمة من جديد، قائلاً؛  
وقد كانت قرارات الوزارة الوصية كما يلي:

تعيين الدكتور سليمان لتسيير مرحلة انتقالية بالنيابة في منصب  
الرئيس المدير العام.

تحويل البروفيسور جلال الدين لشغل منصب نائب الرئيس المكلف  
بالتكوين العالي في الطورين الأول والثاني والشهادات.

إسناد منصب رئيس الديوان مؤقتاً للدكتورة أحلام، إضافة لبقائها  
في منصبها السابق كنائبة للرئيس مكلفة بالتعاون والعلاقات الخارجية.

تعيين الأستاذ عز الدين في منصب نائب الرئيس المكلف بالتكوين  
العالي فيما بعد التدرج والبحث العلمي والتأهيل الجامعي.

تعيين مدام زكية مديرة للخدمات الجامعية.

تعيين السيد غلام مديراً للمطعم المركزي، إنه بائع التذاكر ذلك  
الفتى الصغير، الذي لم ينبت شاربته بعد، صاحب تسريحة الشعر  
الغريبة.

وبقية التعيينات الإدارية الأخرى سيعلن عنها السيد الرئيس في  
المناسبات اللاحقة.

وكان في نفس الوقت كلما ذكر اسم معين جديد، إلا ونزل إلى مقدمة القاعة، ليستلم مقرر تعيينه الوزاري، الذي كان يقدمه لهم الثلاثة من الرجال المتشابهين الآخرين القادمين من الوزارة، وبعد اكتمال تقديم مقررات التعيين للمسؤولين المعينين الجدد، قال: والآن سنقوم بتكريم أعضاء منظمة الطلبة الأحرار، الذين أخرجوا الجامعة من الظلمات إلى النور، بفضل تضحياتهم والتزامهم وسلميتهم طيلة مدة الإضراب والاحتجاجات، وتقدمت المجموعة تحت تصفيقات وأهازيج وشعارات الطلبة التي كانت تنبع من القاعة من بين الحضور، واصطفوا في مقدمة القاعة وتقدم أولئك الرجال المتشابهين الذين يرتدون بدلات كلاسيكية متشابهة، وبدأوا في تسليمهم شهادات شرفية وتعليق أوسمة نحاسية على قمصانهم، وانطلقت وراءها بعض الاحتفالات والأهازيج وتلقي التهاني من الجميع، لكن أولئك الرجال المتشابهين غادروا فوراً، ومن ورائهم الرئيس الجديد ونوابه والأمين العام وبقية المسؤولين.

وبعد هذا الحفل تواصلت الاحتفالات والأفراح والأهازيج، رقص خلالها الطلبة في الساحات والأقسام والغرف وفي كل مكان، وفتحت نادي الطلبة على مصراعيه لبعض الأيام، قُدمت فيه الحلويات مجاناً لكل الطلبة، كما تنوعت وجبات الإطعام بين اللحوم الحمراء والبيضاء

والخضر والفواكه والعصائر والمشروبات، وزُيّنت قاعات الدراسة بالأعلام والرايات المختلفة الألوان، وأُقيمت الحفلات الراقصة والمسابقات الرياضية خلال أيام عطل الأسبوع.

وبعد ما خف الحماس وهدأت الأصوات وانتهت الأفراح والليالي الملاح، عادت الدراسة إلى روتينها العادي، وقد شارف العام الدراسي على النهاية، فدعا الرئيس الجديد الدكتور سليمان جميع مكونات الأسرة الجامعية إلى حفل الختام، الذي يقام سنويا بمناسبة اختتام السنة الجامعية، وقد أعلنت النتائج الدراسية، حيث علقت علامات الطلبة ومعدلاتهم الفصلية والسنوية بمصالح التدريس، لكن الشيء الملفت للانتباه أن لا شيء تغير، وبقيت دار لقمان على حالها، فرغم اختفاء الحاج إبراهيم طيلة هذه الفترة، وتواريه عن الأنظار، إلا أنه تصدر قائمة أعلى المعدلات في قسم الحقوق، وجاء على رأس الدفعة قبل محمد الذي عرف عنه النبوغ في القانون والعلوم الإدارية، ولم يختلف الأمر كثيرا بالنسبة لبقية الأقسام، وهذا ما جعل الطلبة يستشيطنون غضبا.

وقرر أعضاء منظمة الطلابية الحرة إقامة اعتصام أمام رئاسة الجامعة، تعبيرا عن رفضهم لتلك النتائج التي لم يتوقعها أحد، بعدما ظنوا أن الأوضاع ستغير وقد ولى عهد الجور وانتهى زمن الظلم للأبد.



وفي يوم الاعتصام تفاجأ محمد وزملاؤه بانتشار كثيف لأعوان الأمن والحراسة على غير العادة، وبمجرد أن وقفوا أمام رئاسة الجامعة، وهم يحملون بعض اللافتات التي كتبت عليها شعارات تندد بما حدث، وتذكر بوعود الرئيس الجديد، حتى التف حولهم عشرات من أفراد الأمن والحراسة وظهر رئيسهم السيد عثمان فجأة دون سابق إنذار، ثم تقدم من محمد في خيلاء وعجرفة وهو يهز بكتفيه قائلاً: أنت تعرف أن القانون الداخلي يمنع التجمعات والاعتصامات غير المرخصة؟ لذلك عليكم التفرق ومغادرة الساحة فوراً.

فأجفل محمد عينيه ونظر إليه بذهول، مندهشاً مما يسمعه ويراه، ثم تقدم من السيد عثمان حتى كاد أنفه يلتصق بأنفه وقال؛ لكننا نمثل الطلبة ومن حقنا التجمع والاعتصام متى نشاء وأينما نريد؟

رد عليه السيد عثمان وقد احمرت وجنتاه، قلت لك أنّ التجمعات والاعتصامات ممنوعة بأمر من السيد الرئيس، ومن له مطالب فهناك سبل قانونية، وأنت أعلم بها مني فلتحترموا السلم الإداري وتودعوا طعونكم لدى رؤساء الأقسام أولاً، لقد مضى وقت المرور مباشرة إلى السيد الرئيس، وإذا أردتم الاعتصام في أي مكان في الحرم الجامعي عليكم استظهار الترخيص من الأمين العام للجامعة أو من الرئيس

نفسه، لذلك عليكم مغادرة الساحة فوراً، قبل أن نستعمل القوة لتفريقكم.

تقدم أمين وحال بينهما وأمسك يد صديقه بإحدى يديه، ووضع اليد الثانية على كتفه، وكأنه يريد أن يهدئ الأوضاع ويمتص غضب محمد وقال: يبدو أنه قد سنت قوانين جديدة لا نعرفها لخنق الحريات.

أدرك محمد أنه سيعرض نفسه وزملائه لمخاطر جمّة، واستدار نحو زملائه منكسر الصوت قائلاً: فلنغادر إلى المكتب، ثم التفت إلى عثمان قائلاً: ستندمون على أفعالكم عاجلاً أو آجلاً.

عثمان ليست أفعالنا إنها أوامر الرئيس وجهازة الإداري الذي باركتكم تعيينه بأنفسكم، أما نحن أعوان الأمن فإننا مجرد منفذين لأوامر الرئيس، ونسهر على تنفيذ القانون وبسط الأمن وإنهاء كل مظاهر الفوضى.

تمعن محمد فيه النظر ولم ينبس ببنت شفة وبرح المكان، رفقة بقية أعضاء المنظمة واتجهوا مباشرة إلى المكتب، وبمجرد أن وطأت أقدامهم المكتب، صاح أمين قائلاً؛ ما هذا الهراء هل عدنا للخلف بدلاً من التقدم للأمام؟

وقالت نورة وهي ممعنة التفكير: أظن أن الأوضاع ستسوء، ونحن الآن هم المستهدفون لأننا مركز قوة الطلبة، لذلك علينا توخي الحذر وعدم التصادم مع أعوان الأمن والحراسة وأن نتجنبهم حتى نفهم الأمر.

برقت عيني محمد وهو يراقب نورة ويحك ذقنه بسبابته، ثم قال يجب أن نصدر بيانا فورا، للتنديد بما يحصل من تضيق على الحريات، أما بخصوص المشكلة نفسها سنودع الطعون لدى رؤساء الأقسام.

وصاح نذير قائلا اكتبوا البيان ببساطة حتى تستطيع البغال أيضا أن يفهموه؟

وقالت زهيرة متهمدة بصوت مسموع، أظن أن الأوضاع ستسوء وما أت أعظم، لكننا يجب أن نتحرى أيضا من الأستاذ عز الدين فهو المسؤول الأول عن الجانب الدراسي في الجامعة، ثم استدارت وحملت في الجميع، أليس كذلك؟

خالد لقد عهدناه رجل ذو سمعة وأخلاق، أتمنى أن لا يغيره منصب النائب الذي عين فيه؟

وهتف صلاح من خلفه قائلاً: أظن أنه علينا التروي وانتظار خطاب الرئيس في الحفل الختامي، فنحن لم نتعافى بعد من ثورة طلابية أنهكت قوانا فلننتظر.

سليم لا تندسوا أيضا أننا على أبواب ختام السنة الجامعية، وجميع الطلبة قد خارت قواهم، ولا ينتظرون سوى إعلان العطلة السنوية ليعودوا لمنازلهم ويأخذوا قسطا من الراحة.

فقال نذير متمهلاً: علينا التريث ومراقبة الوضع أولاً، يبدو أن الكثير من الأشياء قد تغيرت.

وأجاب محمد في كآبة، نعم صحيح إن ما تقولونه عين الصواب، يجب أن نتريث حتى نسمع خطاب الرئيس الجديد ونرى توجهاته، وفي نفس الوقت نودع الطعون ونحاول الاستفسار عن الأمر من الأستاذ عز الدين، ونؤجل أي تحرك طلابي إلى بداية السنة القادمة.

وقبل يومين من الحفل الختامي استجمعوا قواهم وذهبوا إلى الأستاذ عز الدين نائب الرئيس للتكوين العالي والشهادات، وقد فتح لهم الأبواب واستقبلهم دون أي بروتوكولات، فهم طلبته الأعضاء، وبعدما هنؤوه بمنصبه الذي عين فيه، عبروا له عن عدم رضاهم وأغلب الطلبة أيضا عن النتائج السنوية الدراسية الأخيرة، وكان رده بأن هذه

النتائج كانت معدة مسبقا، قبل أن يستلم مهامه على رأس النيابة، وأنه لا يستطيع أن يفعل شيء حيال ذلك.

وفي يوم الحفل الختامي كانت الاستعدادات قد بدأت صباحا على قدم وساق كالعادة، ويبدو أن لا شيء تغير عن العهد السابق، فالسيد عبد الكريم يجري في كل صوب وحذب، والسيد عثمان رئيس مصلحة الأمن والحراسة يسدي التعليمات الصارمة، لأعوان الأمن والحراسة الذين ينتشرون في كل مكان، وأغلب الأساتذة والإداريين والعمال قد بدأوا يتوافدون على القاعة باكرا ليضفروا بمقعد يجعلهم على مقربة من الرئيس، ولم يختفي أو يتغير أي مظهر من تلك المظاهر المعهودة عن الفترة السابقة، وبمجرد وصول تلك السيارة السوداء المعتمدة التي تحمل الرئيس، اصطف بقية المسؤولين من عمداء للكلليات ورؤساء للأقسام ومدراء فرعيين للإدارة على جانبي مدخل القاعة، لينزل الرئيس مرفوقا بالأمين العام، ورئيسة ديوانه ونائبته ويتبعه بقية نوابه، وأخذ في مصافحة المستقبلين إلى أن ولج إلى داخل القاعة في هيلمان كبير، وتقدم رفقة كوكبة من المسؤولين الذين تبعوه، وجلسوا في أول القاعة بالمكان المخصص للرئيس وضيوفه وكبار المسؤولين من الأمين العام ورئيس الديوان والنواب والمدراء الفرعيين.

وافتح مقدم الحفل السيد عبد الكريم المدير الفرعي للنشاطات الثقافية والرياضية الحفل بالترحيب بسيادة الرئيس وكل المسؤولين ثم دعاه مباشرة لإلقاء كلمة، فنهض الرئيس وتقدم إلى المنصة وهو يحمل مجموعة من الأوراق المهيأة مسبقا ووضعها أمامه، وقال: السلام عليكم جميعا، أجدد ترحيبي بضيوفنا الكرام كل باسمه وحسب مقامه، نحن اليوم في ختام السنة الجامعية، التي تميزت هذه السنة بالوقف الطلابية الحرة التي أخرجت الجامعة من عهد الاستبداد إلى النور، وبفضل ذلك ستشهد الجامعة قفزة نوعية بانفتاحها على محيطها الخارجي، وتطورها على المستوى الداخلي، وقد سطرنا برنامجا ثريا ستلمسون نتائجه في القريب العاجل، بداية من السنة الجامعية القادمة، وسأذكر لكم بإيجاز أهم النقاط فيه.

أولا: سنفتح مسابقة للالتحاق بأعوان الأمن والحراسة خلال هذه العطلة الصيفية وقبل بداية العطلة الإدارية، ليكونوا جاهزين مع بداية السنة الجامعية الجديدة، لتغطية النقص الواضح في عدد أعوان الأمن والحراسة وتكثيف تغطية بعض النقاط السوداء على مستوى الحرم الجامعي.

ثانيا: سندسن قوانين جديدة فيما يخص الترشح لعضوية نقابات الأساتذة والعمال والمنظمات الطلابية والهيئات الاجتماعية، لندماشى مع الظروف الراهنة اللى تشهدا البلاد.

ثالثا: العمل على تقليص فواتير التعاقد مع مؤسسات خارج المحيط الجامعي وتشجيع كل ما يمكننا من ذلك.

رابعا: منع التجمعات والاعتصامات داخل الحرم الجامعي إلا بترخيص من السيد الأمين العام للجامعة أو الرئيس.

خامسا: وضع شروط صارمة وجديدة للذين يودون الترشح للحصول على تربصات ميدانية قصيرة المدى أو المشاركة في التظاهرات والمؤتمرات العلمية بالخارج، من أجل الحفاظ على المال العام ومنع التلاعبات.

ثم رفع رأسه وتابع قائلا: هذه أهم النقاط اللى سنعمل عليها بجد في أقرب الآجال وفي الأخير أبارك لكل الطلبة الناجحين وأتمنى لكم عطلة موفقة وسعيدة، ثم دوت القاعة بالتصفيفات الحارة حتى أن أغلب من في القاعة وقفوا وهم يفعلون ذلك من شدة الحماس.

وتواصل الحفل كالمعتاد حيث ألقى الأمين العام ورئيسة الديوان الجديدة أيضا كلمة، وكرم الطلبة المتفوقين، وتعالّت الأناشيد والأغاني في مختلف اللحظات واختتمت السنة الجامعية.

التقى محمد وأمين وزهيرة ونورة وبرفقتهم صلاح وسليم هذه المرة في الساحة المقابلة لإقامة الطالبات، وركبوا معا حافلة نقل الطلبة إلى وسط المدينة، ومن ثم استقلوا حافلة النقل الجماعي عائدين إلى البلدة، وقد خيم الصمت والسكون عليهم طيلة الرحلة، فالجميع أنهكهم التعب جراء تتابع الأحداث بين الاعتصامات المتتالية والامتحانات والإضراب، بالإضافة إلى صدمة النتائج غير المتوقعة، وبقاء أغلب الأشياء على حالها، بل ازدادت سوءا أكثر من ذي قبل، فقرر الجميع الركون إلى الراحة وعدم الخوض في أي شيء حتى تتضح بعض الأمور مع بداية السنة القادمة.

بدأت العطلة الصيفية التي ستدوم أكثر من ثلاثة أشهر بحرارة تلفح الأجساد، خاصة وأن البلدة ذات مناخ شبه صحراوي ويغلب عليه في أغلب أيام الموسم الحر، مما يجعل سكان البلدة يتميزون عن غيرهم بعادات خاصة بهم، فيخرج أغلبهم في الصباح الباكر لقضاء حاجاته ويعود سريعا قبل الظهيرة لل قيلولة، حيث لا مفر لهم من الشمس المحرقة سوى المكوث ببيوتهم طيلة بقية النهار، ثم ما يلبثوا



أن يبدأوا في الخروج من جحورهم بعد غروب الشمس، حيث تمتلئ الأزقة وتشتد الحركة في الشوارع وتكتظ المقاهي بالساهرين الذين يبقون لساعات متأخرة جدا من الليل فالقرية على بساطتها لا يجد أهلها من ملجأ لتمضية أوقات فراغهم سوى بلعب الورق والدومينو وبعض الألعاب الشعبية التي يمارسها شيوخ القرية.

كان محمد كأقرانه من شباب القرية الجامعيين لا ينهض باكرا إلا نادرا، ويبقى في فراشه لوقت متأخر من النهار وإذا ما حدث وإن صحى صباحا فيخرج من منزله ليلتقي أصدقاءه ياسين وسليم وصلاح ويذهبون سويا إلى وسط المدينة في جولة صباحية، لقضاء بعض حاجياتهم ثم يعودون قبل الظهيرة إلى بيوتهم للقليلولة، ويلتقون عادة في المساء بعد المغرب بدار الشباب الواقعة على أطراف الحي حيث يقطن محمد، حيث تخلوا عن موقعهم القديم مقهى النجمة بوسط المدينة، وكانت لا تحمل في طياتها للشباب سوى الاسم، كانت مجرد جدران مبنية وفي إحدى قاعاتها الفسيحة نصبت طاولة مهترئة لتنس الطاولة وفي جنبها مقهى شبابي لا يوفر إلا القهوة والشاي ونوع وحيد من المشروبات الغازية، وأحجار الدومينو ولعبة الأوراق، ولا يحمل من برامج تنشيط الشباب سوى ما كتب في أوراق مجدولة علقت بمدخله في لوحة الإعلانات، والتي لم يحدث أن استبدلت منذ سنوات وقد

اهترأت وتغير لونها، من شدة تراكم الغبار، وانتشار أعشاش العنكبوت.

كانوا يلتقون مساءً هناك ويمضون وقتهم بين لعب تنس الطاولة، ولعب الدومينو أو الأوراق، وأحيانا يبقون يتسامرون حول الجامعة وما حدث وما يمكن أن يحدث في السنة القادمة، وفي آخر السهر يتفرون فكان سليم وصالح يعودان معا إلى الحي العتيق حيث يسكنان، بينما يتجه محمد وأمين في نفس الاتجاه فمحمد يقطن بنفس الحي بينما يسكن أمين في الحي المجاور له من الشرق، وفي طريقهما قبل العودة لمنزلهما، كانا يمران على حي العمارات حيث تقطن زهيرة ونورة والذي يقع بين حيي محمد وأمين ويعتبر جزءا من حي محمد، ويجلسان تحت شجرة الصفصاف كما اعتادا سابقا وأحيانا يبقيان لوقت متأخر جدا بعد منتصف الليل، وكانت نورة تطل برأسها من الشباك وأحيانا ترمي بعض الرسائل وبطاقات المعايدة لأمين الذي يلتقطها سريعا دون أن يلمحه أحد، ففي هذا الوقت المتأخر من الليل تخف الحركة ويدب السكون، أما محمد كان لا يرى من زهيرة سوى بعض النظرات القليلة جدا حينما تطل عليه، وهي تقوم بغلق النافذة أو ردها فيحظى بنظرة وابتسامة وأحيانا إشارة بيدها تجعله يطير فرحا وينسى كل همومه.

وفي أحد الليالي بينما كان محمد جالسا لوحده تحت شجرة الصفصاف وقد تصادفت تلك الليلة مع عيد ميلاده، أطلت زهيرة من نافذتها وأشارت إليه بيدها أن يتقدم نحوها، فمض سريعا وفي لمح البصر كان واقفا تحت رأسها، فرمت له كيسا مزركش الألوان فخطفه محمد مباشرة وعاد لمكانه تحت شجرة الصفصاف، ثم فتح ذلك الكيس ليتفاجأ بما فيه، إنها المرة الأولى في حياته التي يتلقى فيها هدية بمناسبة عيد ميلاده، إنه دب أحمر صغير وبطاقة معايدة تحمل أحلى عبارات التهاني وتمنياتها له بطول العمر ورسالة أيضا فتحها ليقراها كانت تقول فيها:

إلى الإنسان الذي صبر على كبريائي طيلة هذه السنين، إلى الإنسان الذي بقي إلى جانبي في كل الظروف، وبعدها كنت مترددة وخائفة طيلة هذه السنين، فبمجرد أن عاشرتك وكنت قريبة منك اكتشفت أنك الإنسان الوحيد الذي يستحق أن يفوز بقلبي، وأن أمنحه ثقتي، لذلك أردت أن أقول لك بمناسبة عيد ميلادك أنني أحبك، وسأكون لك وحدك، وسأبقى إلى جنبك إلى آخر العمر، فهنيئا لك بقلبي الذي أتمنى أن تحافظ عليه وتصونه، كما أقول لك لا تحمل هما لما يحدث في الدراسة، فلتنسى وتفكر فقط في مستقبلنا فلم يبق لنا سوى عام واحد ونتخرج ودمنا لبعضنا.

لم يصدق محمد ما قرأت عيناه، واجتاحه شعور بالفرح وغمرته سعادة لم يحسها من قبل، وكأنه يطير في الأفق البعيد، ثم قام وعاد إلى غرفته وقرأ تلك الرسالة وأعاد قراءتها عشرات المرات وكان يحتضن ذلك الدبدوب الأحمر الصغير ويغدقه بالقبلات أيضا، ولم ينم وتغفو عيناه إلا مع تباشير الفجر.

وفي مساء يوم الغد بعدما التقى بأصدقائه بدار الشباب كعادتهم، انزوى بأمين جانبا وأخبره أن زهيرة أخيرا أصبحت له، وأنها صرحت له بحبها وأنها ستكون إلى جانبه دائما وإلى الأبد.

اعترت أمين فرحة كبيرة بما سمع من محمد وعانقه بشدة لكنه لم يخبر البقية بالتفاصيل سوى أنه قال لهم كلمة واحدة وأخيرا زهيرة أصبحت لمحمد، وعبر الجميع عن فرحتهم أيضا دون أن يسألوه عن التفاصيل، ومرت تلك الليلة كأنها عيد وكانت مشروبات السهرة على حساب محمد، وبعد عودته رفقة أمين مرا كما يفعلان كل ليلة على مكانهم المفضل شجرة الصفصاف، وجلسا سويا تحتها وكل منهما يراقب شباك حبيبته عسى أن يحظى بطلّة أو إشارة تشجن عواطفه وتملأ قلبه فرحا، وسهرا طويلا إلى بعد منتصف الليل وهما يتسامران معا، وكان قلب كل منهما يخفق كلما اشتعلت أو انطفأت الأنوار أو تحركت ستائر الشبابيك.

مرت أيام العطلة على هذا الروتين بين جولات التسوق صباحا والقيولة وسط النهار والسهرة في دار الشباب مساءً والجلوس تحت شجرة الصفصاف ليلا، ما عدا أسبوع قضى فيه أمين بعض الأيام على شاطئ البحر رفقة عائلته، بينما لم يغادر البقية البلدة طيلة الصيف.

ومع العودة لمقاعد الدراسة لاحظ الجميع أن أعداد أعوان الأمن والحراسة قد ازدادت بشكل مهول، وأنهم أصبحوا يرون وجوها كثيرة لم يألّفوها طيلة السنوات الماضية، فقد أصبحت تحركات الطلبة مراقبة من كل جهة، حتى أنهم يسمعون ليلا صوت نعال دوريات من أعوان الأمن والحراسة يتجولون في أروقة الأجنحة ويراقبون كل صغيرة وكبيرة، وأثناء إعادة تسجيل الطلبة لاحظوا أيضا أن مصالح التدريس والأقسام قد ملأت أيضا بأعوان الأمن والحراسة في كل ركن وزاوية، وكانوا يقحمون أنفسهم في كل صغيرة وكبيرة، حتى موظفي الإدارة لم يسلموا من تدخلاتهم المستمرة في أبسط الأشياء وضاقوا بهم ذرعا، لكنهم لا يستطيعون التفوه بأي كلمة إنها أوامر الرئيس التي أصدرها مؤخرا بعدما وظف ألفي عون أمن وحراسة في ظرف وجيز خلال العطلة الصيفية الأخيرة، ويبدو أنه لا زال هناك المزيد من مسابقات التوظيف لمناصب الأمن والحراسة.

وقد لاحظ الطلبة أيضا هذه السنة زيادة الطوابير خلال التسجيلات الأولية وإعادة التسجيل لطلبات السنوات الأخرى، وتذمروا من الأوضاع التي أصبحت أصعب من قبل، ومع التقدم في الدروس علقت إعلانات كثيرة تقول بأن الرئيس قد حل مكاتب الطلبة، وأنه نزع عنهم الاعتماد وأنه سيصدر في القريب العاجل قوانين وشروط جديدة للترشح في المنظمات الطلابية، وستجرى انتخابات مسابقة لاختيار ممثلي الطلبة، وأن كل ذلك يهدف حسب بيان الرئيس إلى إعادة إنجاح هذه المرحلة الانتقالية، وتنظيم صفوف الطلبة وبسط الأمن والأمان في الحرم الجامعي.

تفاجأ محمد وزملاؤه بهذه القرارات المفاجئة التي اتخذها رئيس الجامعة، وقرروا أن يجتمعوا سريعا للرد على ذلك في بيان مستعجل يرفضون فيه كل ما صدر أثناء العطلة من قرارات وأوامر، واتجهوا إلى المكتب بغية عقد اجتماع طارئ ليردوا على تلك القرارات الأخيرة التي صدرت عن الرئيس، وبينما هم يناقشون هذه المستجدات دق باب المكتب بقوة، فتح أمين الباب وإذا به السيد عثمان رئيس مصلحة الأمن والحراسة، وبرفقته مجموعة كبيرة من الأعوان والحراس، فدخل مباشرة دون سابق إنذار وتبعته تلك المجموعة ثم قال بصوت خشن وحازم: ألم تقرأوا الإعلانات المعلقة في كل مكان؟ جميع

المنظمات الطلابية قد حلت بقرار رئاسي، وبذلك أتينا لتسلم منكم أختام المنظمة ومفاتيح المكتب، كما نود أن نعلمكم أيضا أن التجمعات ممنوعة في أي مكان إلا بإذن وتصريح مسبق من الأمين العام للجامعة.

محمد ما هذا الهراء؟ إنها قرارات مفاجئة ولم تكن ندري بها، حتى نرد عليها في وقتها؟

أمين لقد باغتونا ونحن في غفلة من أمرنا في العطلة الصيفية، ولم نعرف أبدا بما يجري وما يخطط له؟

السيد عثمان إنها القوانين الداخلية الجديدة التي أصدرها الرئيس الجديد، وما علينا سوى تطبيقها، وما عليكم سوى الامتثال إلها، وإذا كانت لكم اعتراضات فما عليكم سوى تدوينها في طعون إلى الأمين العام وانتظار الردود، قال ذلك بسخرية واستهزاء.

نورة لقد فاجأتنا كل هذه القرارات دفعة واحدة، وخاصة مسألة حل المنظمات الطلابية وإجراء انتخابات مسبقة لاختيار ممثلي الطلبة، وبشروط وقوانين جديدة سنتها الإدارة نفسها؟

نذير كنا ننتظر التغيير للأفضل لكننا نرى أن التغيير سيكون للأسوأ.

السيد عثمان نحن لا دخل لنا في كل ذلك، مهامنا فقط تطبيق القوانين الداخلية والقرارات التي تصدر عن الرئيس ونوابه والأمن العام وبقية المسؤولين، لذلك أرجوا أن تسلمونا الأختام الخاصة بالمنظمة ومفاتيح المكتب وأن تغادروا سريعا.

زهيرة ما عسانا أن نفعل علينا الاستجابة للأوامر وعدم تعريض أنفسنا لمشاكل جمة، قد تؤثر على دراستنا وحياتنا الجامعية، ولا أحد سيخسر سوانا.

نهض محمد وهو في دهشة وحيرة مما يسمع ويرى، وقام بتحرير محضر لما يجري ثم قام بتسليم أختام المنظمة ومفاتيح المكتب إلى السيد عثمان رئيس مصلحة الأمن والحراسة، وأمر زملاؤه بمغادرة المكتب فورا.

وهم يهيمون بالخروج نطق السيد عثمان قائلا: لا تنسوا أن الاجتماعات السرية والاعتصامات والتجمعات غير المرخصة هي ممنوعة أيضا، وتعرض أصحابها لعقوبات صارمة.

خالد بتشدد وتكبر نعرف ذلك، فلا داعي لأن نسمعنا هذه النغمة في كل دقيقة.

وغادروا معا في كتلة واحدة.



محمد لا سبيل لنا للالتقاء معا إلا الغرفة ليلا أو المكتبة نهارا، دون أن نثير الشبهة، فأکید أننا سنكون مراقبين بجواسيس تلتقط كل كلماتنا وحركاتنا لتوصلها للإدارة.

أمین يبدو أنهم أخذوا العبرة مما حدث العام الماضي وأرادوا خنق كل تحركات الطلبة وتخويفهم.

نذیر لقد استغلوا العطلة الصيفية وغياب الطلبة تماما ليفعلوا ما فعلوه.

زهيرة علينا الحذر والتريث حتى نرى الشروط الجديدة للترشح للمنظمات الطلابية التي سيفصح عنها الرئيس.

نورة أظن أنهم سيخيطونها هذه المرة على مقاس من يناسبهم مثل حسين ودلال وياسين.

محمد نعم علينا الحذر الشديد والتريث، نحن في عامنا الأخير للتخرج فمن المؤكد أن لا نضيع تعب السنين.

مرت الأيام والأسابيع والشهور تغيرت فيها الأوضاع العامة في الجامعة للأسوأ، فقد ازدادت الطوابير من أجل الطعام، لحصول الطالب على كوب حليب في فطور الصباح، وفي وجبات الغداء والعشاء لأجل حصول الطالب عادة على طبق عدس أو لوبيا لا يغني ولا يسمن

من جوع، أو كسكسي خلال أيام عطل الأسبوع، كما أن الأوضاع الدراسية قد ساءت أكثر، وزادت المحسوبية والتفرقة بين الطلاب، وازدحمت محطة الحافلات بمئات الطلبة وهم ينتظرون قدوم حافلات النقل الجامعي، ومنع الطلبة من الحصول على منح دراسية خارج البلاد بحجة عدم توفر السيولة، وكأن الإدارة أرادت أن تعاقب الطلبة على الإضراب الذي شنوه العام الماضي لتخليص الجامعة من برائين الفساد، بدلا من مكافأتهم على ما قاموا به، وانتشر أعوان الأمن والحراسة في كل ركن وزاوية يراقبون كل صغيرة وكبيرة، مما زرع الرعب والخوف في قلوب ونفوس أغلب الطلبة، وأصبحوا يرفضون التحرك والمشاركة في أي نوع من الاحتجاجات أو الاعتصامات أو الدخول في أي إضرابات، وهذا ما زاد من تسلط الإدارة وجبروتها وتدخلها في كل صغيرة وكبيرة، وخنقت الطالب وجعلته يسير في دوامة مبرمجة حسب أهوائها، لا يفكر سوى في الدراسة أو الظفر بطبق الأكل أو اللهو بين الجنسنيين في الحفلات التي أصبحت تقام كل نهاية أسبوع.

انتصف العام الدراسي وأخيرا أفرج الرئيس عن شروط الترشح للمنظمات الطلابية.

وقد علقت الإعلانات في شتى أرجاء الحرم الجامعي، في الساحة المركزية وفي جدران المطعم وفي مداخل أجنحة غرف الإقامة.

كان محمد وزملاؤه في الغرفة، عندما قدم سمير إليهم مهرولاً، وأخبرهم بنشر شروط الترشح لتمثيل الطلبة في المنظمات التي حلها الرئيس آنفاً، فخرجوا سوية وفي باب الجناح وجدوا الإعلان معلقاً، تنهد أمين بعمق وأخذ يقرأ بصوت مرتفع؛

إن الرئيس المدير العام للجامعة يدعو جميع الطلبة الراغبين في الترشح لعهد نيابية لتمثيل الطلبة في المنظمات الطلابية أن يودع ملفه حسب الشروط التالية:

اولاً ان يكون الطالب الراغب في الترشح لم يتعرض لأي عقوبة ادارية.

ثانياً: أن يكون المترشح قد مارس العمل النقابي في أحد المنظمات لعهد واحد، أو اشترك كعضو في أحد لجانها على أقل تقدير.

ثالثاً يجب أن يجمع المترشح توقيعات تزكية من الطلبة تفوق ألف وخمسمائة توقيع.

محمد أظن أنها شروط تعجيزية للكثيرين، ليسدوا الأبواب على الأحرار، ويفسحوا الطريق لمن تريدهم الإدارة أن يفوزوا، ويكونوا لها كلاباً مطيعين.

صلاح مثل هذه الشروط ستمنع الأغلبية المطلقة من الطلبة للترشح، وستسمح فقط للمعتادين على ذلك تكرار العملية لسنوات عديدة.

سليم هم يضعون هذه الشروط التعجيزية لغلق الطريق فقط على الأحرار الذين يمثلون الطلبة بصدق ويدافعون عن حقوقهم.

عادوا إلى الغرفة سريعا وهم خائبي الظنون، ويعتريهم الحزن البادي على وجوههم.

محمد لقد سئمت من هذه الصراعات التي لا تنتهي وأظن أنني لن أترشح مجددا، فالأوضاع اختلفت كثيرا عما سبق، والجامعة أصبحت دكتاتورية لا تؤمن بحرية الرأي، وتخدم فقط المطبليين والموالين للإدارة والرئيس.

أمين ما رأيكم في أن نقابل الأستاذ عز الدين ونطرح عليه انشغالاتنا بخصوص ما يحدث؟

صلاح إنها فكرة، سنذهب لطلب لقائه هذا المساء.

سليم أكيد أنه سيقف إلى جانبنا كما اعتاد دائما.

وفي مساء ذلك اليوم اتجهوا جميعا إلى نيابة مديرية التعليم العالي للطورين الأول والثاني والتكوين المتواصل والشهادات، وبمجرد

وصولهم استوقفهم عون الأمن والحراسة، وطلب منهم تحرير طلب مقابلة أولاً، ثم سلمه إلى السكرتيرة، وطلب منهم الانتظار، ومكثوا في قاعة الانتظار لأكثر من ساعتين، فالنائب الدكتور عز الدين مشغول جداً هذا المساء، لكنه سمح لهم بمقابلته لفترة وجيزة فقط.

دخلوا إلى مكتبه الشاسع، فرحب بهم قائلاً: أهلاً بطلبتي الأعزاء.

نطق محمد مباشرة دون أي مقدمات قائلاً: استسمحك دكتور على أن أخذنا من وقتك الثمين، فنحن أتينا نستفسر عن الأوضاع التي آلت إليها الجامعة برمتها، فبعدما كنا نأمل التغيير للأحسن، وفرحنا بالتعيينات الجديدة التي أجرتها الوزارة الوصية، إذ بنا نتقهقر إلى الوراء، فالجامعة هوت إلى أسفل السافلين، الطواير في كل مكان، وشح الطعام يؤرق الطلبة كل يوم، وإلغاء مشاركة الطلبة في التبرصات والمؤتمرات والتظاهرات العلمية خارج الوطن، وبقاء نفس المشاكل الدراسية ولم يتغير شيء، فهل هناك من تفسير؟

احمر وجه الدكتور عزالدين وأخذ يرخي ربطة عنقه وهو يبتسم ابتسامة مبطنة بالازدراء قائلاً: هذا ما تراه أنت والبعض الآخر فقط، لكن الأغلبية يرون العكس، ونحن نعمل على قدم وساق رفقة الرئيس لإصلاح كل ما أفسدته العصابة السابقة، وقد غيرنا الكثير في فترة وجيزة، تبقى فقط بعض الصعوبات التي يغرسها اعوان الرئيس

السابق وزبانيته المتغلغلين في الإدارة، لكننا سنكشفهم يوما بعد يوم ونتخلص من شرهم، لذلك ما عليك عزيزي سوى الصبر فقط وكل شيء بأوانه.

بعدها سمع محمد هذا الكلام عرف لب الموضوع ولم يضيف أي كلمة أخرى والتفت إلى زملائه وغمزهم، غمزة خفيفة ثم استدار للدكتور عز الدين قائلا وهو بهم بالوقوف شكرا لك دكتور لقد وصلت الفكرة.

رد عليه النائب عز الدين قائلا؛ على الرحب والسعة، أرجو أن تكون الأمور قد اتضحت لكم وإلى لقاء قريب.

غادروا مكتب النيابة مباشرة دون أن يضيفوا أي كلمة، وأثناء الطريق قال أمين: إنني متفاجئ من الأستاذ عز الدين هل هذا هو نفسه الذي كان يدرسنا؟ أكيد لا، هذا شخص آخر.

نورة المناصب والمال والجاه تغير النفوس يا عزيزي.

زهيرة لقد صدمتني ردت فعله.

محمد صحيح المناصب والأموال والجاه تغير النفوس الضعيفة ولكنها لا تستطيع فعل شيء في النفوس الزكية الالبية والمخلصة.

خالد اظن انه مغلوب على امره، وان ارادة الرئيس اكثر من طاقته.

نذير كان الاجدر به ان يستقيل وان يحفظ كرامته بدلا من هذه الالهانة.

نورة المناصب العليا والكراسي تغوي النفوس، فليس من السهل فعل ذلك.

مرت أسابيع وأيام والأوضاع تزداد سوءا، وكانت المجموعة لا تجتمع إلا أحيانا في المكتبة المركزية، وكانت جل حواراتهم بالإشارات والألغاز، وكان أعوان الأمن والحراسة وحتى بعض الإداريين والطلبة أيضا، يراقبون كل صغيرة وكبيرة وشكلوا مجموعات وخلايا مترابطة من الواشين وناقلي الأخبار لرئيس مصلحة الأمن والحراسة السيد عثمان والذي يعد بدوره تقارير أمنية ترسل مباشرة في نسخ إلى بقية المسؤولين وإلى الرئيس شخصيا والأمين العام للجامعة أيضا.

وحدث أن عقد محمد وأمين وصلاح وسليم وخالد ونذير وسمير اجتماعا سريا في أحد ليالي عطلة الأسبوع، وقد وشى بهم أحد الطلبة الذي كانت غرفته تقابل غرفتهم، وحضر عشرات أعوان الأمن والحراسة وعلى رأسهم السيد عثمان وأعدوا تقريرا أمنيا خطيرا إلى السيد الرئيس والأمين العام للجامعة ومدير الإقامة الجامعية في الحال، دونوا فيه أشياء خطيرة تهم المجموعة بعقد اجتماعات سرية تهدد أمن واستقرار الجامعة، ودعوة الطلبة للاحتجاجات والإضراب،

للإضرار بسيرورة الدروس والخدمات الجامعية المختلفة، واستفزاز أعوان الأمن والحراسة والدخول معهم في جدال.

وفي منتصف نهار الغد علقت إعلانات كثيرة بخصوص ما حدث البارحة مؤكدة توقيف المجموعة مؤقتا عن الدراسة لغاية مثلهم أمام مجلس التأديب للجامعة يوم الخميس القادم.

تذمر محمد والتزم المكوث في غرفته، وأصبح لا يغادرها إلا للالتقاء بزهيرة مساءً أمام إقامة الطالبات، والجلوس سويا تحت شجرة التوت في تلك الحديقة الصغيرة رفقة أمين ونورة، اللذان كثيرا ما يسيران ذهابا وإيابا على طول الحديقة أو أمام باب الإقامة، على عكس محمد وزهيرة اللذان يفضلان المكوث طويلا تحت تلك الشجرة.

وفي يوم الخميس انعقد مجلس التأديب بحضور الرئيس نفسه وجميع نوابه والأمين العام للجامعة، وبقية أعضاء المجلس التأديبي، حتى أنهم لم يمنحوا لهم الفرصة الكاملة للدفاع عن أنفسهم بل كان الرئيس يحتكر الكلمة وهو في حالة من الهيجان والغضب، ثم خرجوا من القاعة لإجراء المداولات وقالوا بأن النتائج ستظهر يوم الأحد القادم.



مر ذلك الأسبوع ومحمد وزملاؤه مكتئبين، وقد وجدوا أنفسهم وحيدين في الدفاع عن أنفسهم من غطرسة وانتقام الإدارة، ولا أحد من بقية الطلبة يقف إلى جانبهم، فالكل خائف على نفسه ووقف يتربص ما ستسفر عنه فحوى مجلس التأديب، وكان عزاء محمد الوحيد في حبيبته زهيرة التي كانت تدعمه وتشجعه وكان يفضي لها بأسرارهِ ويشحن قوته من عواطفها.

وصباح يوم الأحد علقت نتائج مجلس التأديب التي جاء فيها ما يلي:  
توبيخ إلى كل من محمد وأمين وصلاح وسليم أصحاب الغرفة التي عقد فيها الاجتماع.

إنذار لكل من خالد ونذير وسمير.

وبعد اطلاع محمد وزملاؤه على النتائج رفضوا أن يودعوا طعون، لأنهم يعلمون أنها لن تجدي نفعا، وأن ما قامت به الإدارة مجرد مسرحية ظاهرة للعيان، وهي تعريضهم لعقوبات إدارية حتى يقطعوا عنهم الطريق للترشح لتمثيل الطلبة في المنظمات الطلابية التي حُلَّت مؤخرا بقرار من الرئيس، والتي ستجرى انتخاباتها المسبقة بعد أيام.

لقد انتصف العام واجتاز الطلبة الامتحانات الفصلية، وجاءت النتائج كعادتها وتصدر الحاج إبراهيم دفعة الحقوق قبل محمد

وأُجريت انتخابات المنظمة الطلابية، وفاز بها حسين وقائمه التي ضمت أيضا صديقه الخبيث ياسين ذو اللحية وصاحب القميص وصديقه دلال، وعادت الجامعة إلى سابق عهدها وكأن شيئا لم يتغير، فرجعت شركات الحاج إبراهيم للواجهة لتفوز بجل الصفقات العمومية، وعادت المنظمة الطلابية الحرة بقيادة حسين تزكي كل مشاريع الإدارة دون اعتراض، وظهرت نقابة الأساتذة بقيادة البروفيسور بوعلام للواجهة من جديد، وأيضا نقابة الموظفين والعمال المهنيين بقيادة عبي حمد تعتاش من مختلف الأحداث.

إنَّ الحياة العصرية أصبحت معقدة ومتسارعة، فاشتبكت واختلطت وتنوعت فيها الأحداث الاجتماعية المختلفة، حيث ظهرت عادات وتقاليد وآفات أخرى جديدة، لم تكن موجودة من قبل ومعهودة في الأزمان الماضية، مما فتح افقا جديدة ومتعددة لفن الكتابة والتأليف، على تنوعه واختلافه خاصة فن كتابة القصة والرواية، وأصبح للكاتب طرقا أوسع، ومجالات متعددة، وتوفرت له المادة الدسمة الأولى للتأليف والكتابة، وفتحت أمامه سبلا كثيرة، لكن هذا تزامن أيضا مع ظهور مئات بل آلاف الكتاب، وازدحمت الساحة الفنية بالمؤلفين، بعدما تيسرت وتوفرت شتى الطرق الميسرة لهذا الفن، وأصبح ليس من السهل لأي كاتب مبتدأ جديد، إيجاد موطأ قدم ومكان في هذا الطابور وسط الساحة الفنية التي أصبحت تعج بالكتاب والمؤلفين.

وفي خضم هذه الأحداث المتسارعة والتغيرات المستمرة التي يشهدها المجتمع، ولدت هذه الرواية من رحم المعاناة وحاولت فيها معالجة العديد من المشاكل التي يتخبط فيها المجتمع، بأسلوب سلس ومرن وبسيط وواضح، وبأحداث مستسقة من الواقع المعاش، حتى تلج الى قلب القارئ دون تأشيرة او حواجز، ليسرح فيها بخياله الى ابعد

الحدود، وقد اخترت حصر الاحداث في مؤسسة عمومية ضيقة، لكنها اوسع كلما أسقطها القارئ على محيط اجتماعي اكبر.

ومن خلالها حاولت أن أجد مكانا، وسط هذا الزحام من الأدباء والمؤلفين، وتعويض الزمن الطويل الذي فات من عمري، بسبب الظروف القاهرة والمعقدة، التي حالت دون ولوجي إلى عالم الكتابة والتأليف.

فبعد هذا الجهد المضني الذي بذلته في سبيل إخراج هذه الرواية إلى الوجود، أتمنى أن تجد موطأ قدم بين ما تعج به الساحة في عالم الأدب، من روايات وقصص متنوعة، وان تنال الإعجاب وتجد بما تحمله من أفكار أدبية وقيم إنسانية، طريقها إلى قلوب وأرواح ووجدان وعقول القراء، وان تنال حظا من النجاح في عالم الأدب والفن.